جامعة طنطا
كلية الآداب
قسم التاريخ

تطور استراتيجية الحروب الصليبية فى القرن الرابع عشر الميلادى فى ضوء كتاب مارينو سانودو

The development of the Crusading strategy in the fourteenth century in the light of Marino Sanudo's Book

رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير فى الآداب

(تاريخ – عصور وسطى)

إعداد الطالب

جمال فاروق السيد محمد الوكيل

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور
حسين محمد عطية
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
ووكيل كلية الآداب سابقاً
جامعة طنطا

الأستاذ الدكتور
أسامة زكى زيد
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
وعميد كلية الآداب سابقاً
جامعة طنطا

٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ

جامعة طنطا
كلية الآداب
قسم التاريخ

تطور استراتيجية الحروب الصليبية في القرن الرابع عشر الميلادى في ضوء كتاب مارينو سانودو

The development of the Crusading strategy in the fourteenth century in the light of Marino Sanudo's Book

رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير فى الآداب

(تاريخ - عصور وسطى)

إعداد الطالب

جمال فاروق السيد محمد الوكيل

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور
حسين محمد عطية
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
ووكيل كلية الآداب سابقاً
جامعة طنطا

الأستاذ الدكتور
أسامة زكى زيد
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
وعميد كلية للآداب سابقاً
جامعة طنطا

٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ

الفهرس

إهداء

إلى كل من

- والدي ووالدتي ثمرة تعبهما وكفاحهما .
- كل أفراد عائلتي .
- كل أعمامي وأخوالي .
- أساتذتي الإجلاء بقسم التاريخ.
- روح جدتي وخالي شهيد الواجب .

الملازم أول / محمد جمال طيب الله ثراهما.

المقدمة

المقدمــة

كانت الحروب الصليبية هى أهم حلقات الصراع بين الشـــرق والغـرب فـــى العصور الوسطى ، و هى أول رد فعل للغرب المسيحى ضد الشرق الإسلامى . فطيلـــة أربع قرون من الزمان كانت الإمبراطورية البيزنطية هى الكيان المسيحى الـذى تعـامل معه المسلمون ، وحققوا على حسابه إنجازات كبيرة ، وحتى بعد فتح المسلمين لأسبانيا كان غرب أوروبا بمنأى عن هذا الصراع . وبعد الاستقرار السياسى فى غرب أوروبـا ، وانفراد البابوية بالسيطرة على مقدرات الغرب الأوروبى بدأت تنفذ المشروع الصليبـــى الذى يخدم مصالحها فى الغرب والشرق المسيحى على حد ســـواء ، إلــى جــانب درء الخطر الإسلامى الجديد المتمثل فى المد السلجوقى من جهة الشرق . فكـــانت الحركـة الصليبية التى حققت أولى حملاتها إنجاز عسكريا بتكوين أربع إمارات صليبيـــة بســبب تفكك العالم الإسلامى والصراعات الداخلية فمالت الكفة لصالح الصليبيين ، وهو الإنجـاز الذى لم يتكرر مع أى من الحملات الصليبية الست التى تلتها .

وبعد فترة بدأ العالم الإسلامى يعد نفسه لصد هذا العدوان ، فكان بداية هذا الدور على يد عماد الدين زنكى ، ثم سار على النهج نور الدين محمود ، وكانت تتمـــة هـذا الدور زمن صلاح الدين الأيوبى ، باسترداده لبيت المقدس فى عام ١١٨٧م/٥٨٣هـــــ من أيدى الصليبيين وفشلت الحملات الصليبية من الثالثة حتى السابعة فـــى تحقيــق أى هدف صليبى على حساب المسلمين حتى تمكنت القوة الإسلامية فى الشرق الأدنى مـــن القضاء على الكيان الصليبى إبان الدولة المملوكية الأولى وخروج آخر صليبى من عكـا عام ١٢٩١م/ ٦٩٠هـ ولما ثبت فشل المشروع الصليبى برمته بحثت البابوية فى ظـل سيطرة دولة المماليك على طريق التجارة البحرى بين الشرق والغرب ، وازدياد القـــوة الاقتصادية للمماليك . فبحثت عن وسيلة لإحياء الحماسة الصليبية فى غرب أوروبـــا، فجاءت التقارير التى تثبت أن القوى العسكرية لم تجد مع المسلمين ، وإنمـــا الجـدل الدينى هو الأجدى ولم تحقق البابوية هدفها . وخلال العقد الأخير من القرن الثالث عشر الميلادى/ السابع الهجرى بحثت البابوية عن وسيلة جديدة لاسترداد الأراضى المقدسة .

ولم يظهر فى هذا المجال إلا مشروعات لحملة صليبية على الشرق الإســـلامى. وقد استهل هذه المشروعات فيدنزيو بادوا الذى أهدى مشروعه إلى البابا نيقولا الرابع، ثم تبعه شاهد عيان اسمه ثاديو من نابولى عن طريق كتابه تاريخ الأرض المقدسة ثـــم مشروع رامون لل الذى أهداه إلى الملك فيليب الرابع ملك فرنسا ومشـــروع بيـــيرديبوا الذى قدمه إلى نفس الملك . ثم مشروع الأمير الأرمينى هيثوم كوريكوس الذى صدر فى فرنسا عام ١٣٠٧م وتبعه مشروع مقدم الداوية جيمـــس مـــولاى ١٣٠٧م ثـــم مقـــدم الاسبتارية فولك فيلاريه ولم تنجح هذه المساعى إما لقصور شاب هـــذه المشـــروعات الصليبية أو لعدم صدق نية الملك الفرنسى آنذاك فى تنفيذ أى من هذه المشروعات .

وكان أهم هذه المشروعات المشروع الصليبى الذى قدمـــه التـــاجر والمـــؤرخ الإيطالى مارينو سانودو ، الذى سجل تاريخ الحروب الصليبية كاملا فـــى كتابـــه الـــذى أسماه باسم مشروعه كتاب "أسرار المؤمنين بالصليب لاســـترجاع الأراضـــى المقدســـة والحفاظ عليها " وضمنه مشروعه محل الدراسة . ويتمتع هذا المشروع بالأهميـــة لأن مارينو سانودو لم يضع خطة مشروعه بناء على رغبة أحد الملوك أو الحكام كما فعـــل سابقيه ، أو لتمجيد شخص بعينه ، وتسجيل أعماله بل إن دوافع مارينو سانودو كـــانت صليبية بحتة. والكتاب عبارة عن مشروع صليبى للاستيلاء على الأراضى المقدسة مرة أخرى من أيدى المسلمين والحفاظ عليها ، على أن تكون مصر هى أولى أهداف الحملة الصليبية و أن يسبق الهجوم على مصر حصار اقتصادى لها .ولو قدر لهذا المشـــروع أن يتم حسب ما رأى مارينو سانودو و خطط له لكان تغير ما قدر للشـــرق الإســـلامى بعامة و الأراضى المقدسة بخاصة أن يكون عليه من تحرر الحكم الصليبـــى والأوربـــى لبقية العصر الوسيط وما يقرب من ثلاثة قرون من العصر الحديث .

كل هذا يبرز أهمية الموضوع الذى يكاد الشرق الإسلامى يواجه مثله اليوم ، و هذا ما دعا الباحث إلى اختيار" تطور إستراتيجية الحروب الصليبية فى القـــرن الرابـــع عشر الميلادى فى ضوء كتاب مارينو سانودو " موضوعا للدراسة إلـــى جـــانب خلـــو المكتبة العربية من كتاب قائم بذاته يعالج هذا الموضوع إلى جانب أن لأعمال التاريخية الحديثة الخاصة بتاريخ الحروب الصليبية لم تتناول هذا الموضوع إلا فى عبارات لا تكاد تغطى نصف صفحة مثل ما قدمه لنا المؤرخ الإنجليزى سيتفن رنســـيمان فـــى عملـــه

الضخم تاريخ الحروب الصليبية ، ألا أن أهم وأول الأعمال الحديثة الجادة التى تناولت هذا الموضوع كان ما قدمه الدكتور عزيز سوريال عطية فى كتابه الكبير "الحملات الصليبية المتأخرة فى العصور الوسطى"[١] إلا أن تناوله كان للأفكار العامة للموضوع دون الخوض فى تفاصيلها . ويلى هذا العمل المؤلف القيم الذى وضعه المؤرخ أنطونى ليوبولد Antony leopold بعنوان "كيفية استرداد الأراضى المقدسة "[٢]الذى يعرض فيه المشروعات الصليبية التى ظهرت فى أوروبا للاستيلاء على الأراضى المقدسة فى نهايات القرن الثالث عشر الميلادى و بدايات القرن الرابع عشر الميلادى إلا أن معالجته لمشروع مارينو سانودو كانت سريعة ضمن ما تعرض له من مشروعات صليبية دون التعرض لتفاصيل أى مشروع وإنما عرضا لأفكار أصحاب هذه المشروعات . وبذلك لم يكن هذا العمل يمثل نهاية المطاف بالنسبة لدراسة مشروع مارينو سانودو . ومع ذلك فقد أفاد الباحث من هذا العمل على الأقل فى الوقوف على أعمال أخرى حديثة ومصادر أصلية أفادت البحث و أماطت اللثام عن ما أكتنفه الغموض من بعض جوانب هذا البحث.

وإذا كان الباحث قد حدد عنواناً لموضوع بحثه "تطور استراتيجية الحروب الصليبية فى القرن الرابع عشر الميلادى فى ضوء كتاب مارينو سانودو" فلا شك وأنه كان مدركا تماماً بأن الحروب الصليبية قد انتهت تماما من الشرق الأدنى الإسلامى بمفهومها الواسع أواخر القرن الثالث عشر الميلادى "السابع الهجرى" وعلى وجه الخصوص عام ١٢٩١م / ٦٩٠هـ ، وأن كل ما قصده الباحث تلك المشروعات التى أعدها بعض من الدعاة وقدموها إلى البابوية بهدف خروج حملات صليبية من الغرب الأوروبى تجاه الشرق الأدنى الإسلامى بعد تدارك السلبيات والأخطاء التى وقعت فيها الحملات الصليبية ضد الشرق الأدنى الإسلامى طوال القرنين الثانى عشر والثالث عشر من الميلاد / القرنين السادس والسابع من الهجرة .

---

(١) Atiya, *A., The Crusade in the Later Middle Ages* (London, 1938)

(٢) Leopold, A., *How to recover the holy Land. The crusade proposals of the late thirteen and early fourteenth centuries* (Burlington, 2000)

وقد قسم الباحث موضوع الدراسة إلى خمسة فصول يسبقها تمهيد عن أهميـــة الموضوع وسبب اختياره ودراسة تحليلية لأهم مصادر البحث . يعـــالج الفصـــل الأول وعنوانه " فكره الحروب الصليبية فى غرب أوروبا بعد استردا المسلمين عكـــا"(١٢٩١ – ١٣١١م / ٦٩٠هـ–٧٢٠هـ) سقوط الكيـان الصليبـى فـى الشـرق فـى عـام ١٢٩١م/٦٩٠هـ و أثر ذلك على دول الغرب الأوروبـــى ، والبابويـة ، ومحاولتـها لإحياء فكرة الحروب الصليبية مرة أخرى فى نهايات القرن الثالث عشر الميلادى . وكما تعرض الفصل إلى المشاريع السابقة على مشـروع مـارينو سـانودو و أصحابـها لإعطاء فكرة عامة عن هذه المشاريع الأمر الذى يعتـبر مدخـلا ضروريـا لموضـوع الدراسة يساعد على تفهم الكثير من القضايا التى عالجها بالمناقشة والدراسة فى بقيـة الفصول .

أما الفصل الثانى وعنوانه "مارينو سانودو ودوافع حملته والإعداد الروحى لها". وتناول فيه الباحث نشأة مارينو سانودو منذ الصغر والعوامل التى ساعدت على تشـكيل فكره الصليبى، ثم عرض الباحث دوافع الحملة كما حددها مارينو سانودو وما صحـــب ذلك من دعاية دينية قام بها مارينو سانودو بمختلف الوسائل.

أما الفصل الثالث وعنوانه "الإعداد المادى للحملة" فقد تناول الباحث بالدراســـة التحليلية القوات المشاركة فى الحملة وأهم الأسلحة والمؤن التـــى يحتاجـها الجيـش يعتمدون عليها مع الإشارة إلى آراء بعض السابقين عنه ثم عرض الباحث تنظيم الحملة وقيادتها وشروط تولى القيادة وأهم الإجراءات التى يتبعها القـــائد . وأتممـت الفصـل بالحديث عن الموارد المالية اللازمة للحملة وطرق الحصـــول علـى الأمـوال سـواء بالتبرعات أو فرض الضرائب وجمعها عن طريق الكنيسة.

وجعلت عنوان الفصل الرابع "استراتيجية حملة مارينو سانودو " فقـــد تنـــاول الباحث الأهداف الاستراتيجية للحملة من حيث فرض الحصار الاقتصادى للسلطة وقطـع أهم الصادرات إليها مثل الرقيق والحديد وتحويل طرق التجارة عنها ثم تناولت بعد ذلـك المرحلة الثانية من الاستراتيجية المبنية على الغزو العسكرى لمصر مع الإشـارة إلـى استراتيجية الدعاة السابقين له. ثم تناولت خط سـير الحملـة والأهـداف التـى تريـد

الاستيلاء عليها الحملة. وأتممت الفصل بالحديث عن أهم الحلفاء الذين اقترحهم مارينو سانودو مع بيان دوافعه والإشارة أيضا إلى وجهة نظر سابقيه بخصوص الحلفاء.

وفى الفصل الخامس والأخير وعنوانه "وسائل نجاح وصول الحملــة الصليبيــة إلى الأراضى المقدسة وضمان الاحتفاظ بها".

فقد تناول فيه الباحث إلى شكل الحكومة التى يجــب أن تحكــم فــى المملكــة الصليبية وشروط نجاحها ثم تعرض الباحث للوسائل التى حددها مارينو سانودو اللازمة للدفاع عن الكيان الصليبى الجديد فى مواجهة ردود الفعل لإسلامية المتوقعة .

وأتبع الباحث ذلك بخاتمة وضح فيها الباحث أهم الخطوط العريضــة لموضــوع الدراسة مع تقييم الموقف بصفة عامة. ثم استعرضت أهم القضايا والنقــاط والمشــاكل التى تعرض لها موضوع الدراسة، مع إبراز الآراء والاستنتاجات التى استطعت التوصل إليها وأخيرا ذيلت الرسالة ببعض الملاحق التى مازالت بلغاتها الأصلية ولم تنشر بلغـات حديثة، وقد قمت بنقلها للمرة الأولى إلى اللغة العربية. وهى تلقى الضوء على القضايــا التى تمت مناقشتها خلال البحث .

وختاما لا يسعنى إلا أن أقدم جزيل شكرى وعظيم امتنانى وعرفــانى لأســتاذى الفاضل الأستاذ الدكتور حسين محمد عطية أستاذ تاريخ العصور الوسطى بالكلية ووكيل كلية الآداب السابق لشئون البيئة والمعار حاليا إلى المملكة العربيــة الســعودية الــذى تتلمذت على يديه طوال مدة دراستى منذ أن التحقت بالجامعة وحتى الســنة التمهيديــة للماجستير ثم شرفت بالعمل تحت إشراف سيادته حيث منحنى من وقته وجهده الكثــير، وكان له الفضل فى توجيهى إلى اختيار موضوع البحث، كما كان لتشجيعه المستمر لــى وإمداده لى بكثير من الكتب أكبر الأثر فى إتمام هذا العمل وخروجه إلى النور فلســيادته منى كل الشكر والعرفان بالجميل فجزاه الله عنى كل خير.

كما أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى أستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور أسامة زكــى زيد أستاذ تاريخ العصور الوسطى بالكلية وعميد الكلية السابق الــذى تفضــل بقبولــه الإشراف على الرسالة فأعطانى من وقته الكثير وقدم لى من نصائحه وملاحظاته البناءة

الكثير وكانت إرشاداته الصائبة عونا لى على إنجاز هذا العمل فلسيادته منى كل الشكر والتقدير فجزاه الله عنى كل خير.

كما يطيب لى أن أتقدم بعميق شكرى إلى الأستاذ الدكتور إسحاق عبيد تاضروس أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة عين شمس لتفضله بالحضور والمشاركة فى مناقشتى على الرغم من أعبائه ومشاغله . كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور محمد محمود النشار أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة طنطا ووكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب لتفضله بالحضور والمشاركة فى مناقشتى على الرغم من أعبائه ومشاغله .

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل أساتذتى الإجلاء فى قسم التاريخ على ما قدموه لى من تشجيع معنوى ومساعدة علمية وأخص بالشكر الدكتور الأمين أبو سعده مدرس تاريخ العصور الوسطى بالكلية الذى أمدنى بالعديد من الكتب من مكتبته الخاصة، ولم يبخل فى مساعدتى مما كان له أكبر الأثر فى إتمام هذا العمل . كما أتقدم بالشكر إلى الدكتور/ أحمد عبد السلام ناصف مدرس التاريخ الإسلامى بالكلية على إمداده لى بالمصادر الإسلامية فضلاً عن تشجيعه المستمر لى . كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذ أحمد عبد العزيز مدرس اللغة العربية بطنطا لمراجعته الرسالة لغوياً . كما أتقدم بالشكر إلى القائمين بمكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة ودير الآباء الفرنسيسكان ونيافة الأب منصور مستريح ومكتبات كلية الآداب بجامعة طنطا والقاهرة والمنصورة وعين شمس وكلية التربية بطنطا . وختاماً شكرى إلى والدى ووالدتى وكل أفراد عائلتى وهذا مبلغى من العلم فإن كنت قد أصبت فمن عند الله ، وإذا كانت الأخرى فمن نفسى وحسبى إننى اجتهدت ، وأتمنى من الله العلى القدير أن أكون عند حسن الظن وأن يوفقنى إلى ما فيه الخير والسداد والله ولى التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الباحث

دراسة تحليلية ونقدية

لأهم مصادر البحث

أولاً : المصادر الأجنبية.

أ- المراسلات والوثائق الرسمية

ب- المصادر اللاتينية

ثانياً : المصادر العربية.

تحليل المصادر والمراجع

لما كان موضوع البحث يتناول تطور استراتيجية الحروب الصليبية فى القرن الرابع عشر الميلادى فى ضوء كتاب مارينو سانودو ، لذا تحتم على الباحث الرجوع إلى مصادرة الغربية والشرقية المتوفرة على قدم المساواة ، و تأتى المصادر الغربية سواء كانت معاصرة أم متأخرة زمنيا عن موضوع البحث فى المقام الأول من حيث الأهمية حيث أمدتنا بمعلومات غزيرة و مادة وفيرة عن موضوع الدراسة. لذا كان لزاما على الباحث الاهتمام بالمصادر الغربية لعرض مختلف الآراء و الروايات.

و سعياً وراء الحقيقة التاريخية عمد الباحث إلى الموازنات والمقارنات التاريخية التى استقاها من تأليف المعاصرين لهذه الفترة من مراسلات ووثائق رسمية، لضبط الأحداث، وسد الثغرات، والرد على كافة التساؤلات التى فرضت نفسها على موضوع الدراسة. وقد راعينا فى تحليل المصادر الرجوع إلى أهمها، وثمة ملاحظة، هى أن عددا منها لا يزال بلغته الأصلية التى دون بها.

و تهدف هذه الدراسة التحليلية إلى التعرف على ما تضمنته مصادر البحث من معلومات هامة تتعلق بموضوع البحث، وعما إذا كانت مصدر ثقة أم لا، ومدى اتفاقها أو اختلافها، وذلك عن طريق المقارنات و الموازنات التاريخية، بهدف الوصول إلى الحقيقة التاريخية المجردة بعيدا عن الأهواء والميول الشخصية، وإبراز لوجهتى النظر الغربية والعربية دون ادنى تحيز.

وأهم المصادر الغربية التى أفاد منها الباحث هى مجموعة الرسائل المتبادلة بين مارينو سانودو ومختلف ملوك وأمراء الغرب الأوربى بالإضافة إلى بعض الوثائق المنشورة المتمثلة فى بعض المراسيم البابوية التى تيسر للباحث الحصول عليها، وترجع أهمية هذه المراسلات والوثائق فى كونها سدت فراغاً كبيراً، كثيراً ما تركته الحوليات المعاصرة على فترات متباعدة خلال دراسة موضوع البحث. فقد كانت هذه الوثائق و المراسلات من أهم المصادر بالنسبة للباحث حيث تضمنت كثير من التفاصيل التى ساعدت على الوقوف على حقيقة الأمور وطبيعة العلاقات بين المسلمين و الصليبيين أو حين يتعلق الأمر بقرارات تتخذ أو علاقات تقوم بين أطراف الصراع وهكذا

ساعدت هذه الوثائق على إلقاء الضوء على ما شابه الغموض من نقاط البحث، أو على مناقشة إحدى قضاياه، والأخذ فيها برأى قاطع وجديد .

أما عن المراسلات، فأنها عديدة ومتنوعة، ويأتى فى مقدمتها الخطابان اللذان أرسلهما مارينو سانودو إلى فيليب السادس Philip VI (١) الأول مؤرخ فى ٤ أبريل ١٣٣٢م . وتأتى أهمية تلك الرسالة كونها صادرة عن مارينو سانودو نفسه حيث كانت مصدر معلومات للباحث عن الشروط الواجب توافرها فى القائد المختار لقيادة الحملة، بالإضافة إلى تحديده القوات المشاركة فى الحملة، والأسباب التى دفعت مارينو سانودو إلى ضرورة اختيار القوات المشاركة فى الحملة من منطقة واحدة، مع الإشارة لبعض الحلفاء الذين يمكن الاستعانة بهم ودوافعهم للاشتراك فى الحملة المنتظرة على الأراضى المقدسة مع الصليبيين، كما حدد فيه كيفية تنفيذ الحصار الاقتصادى على سلطنة المماليك(٢).

و بالنسبة للخطاب الثانى الذى بعث به مارينو سانودو إلى نفس الملك فيليب السادس فالوا ، مؤرخ فى ١٣ أكتوبر ١٣٣٤م. وترجع أهميته أن يوضح أحد دوافع مارينو للقيام بالحملة ، وهو انقسام العالم المسيحى بين الكنيسة الشرقية والغربية. حيث أوضح سانودو أن هذا الانقسام كان سببا فى حدوث كثير من الكوارث والويلات للصليبيين، وإذا تحققت الوحدة سيكون ذلك له نتيجة إيجابية على الصليبيين مما يساعدهم على استعادة الأراضى المقدسة(٣).

---

(١) فيليب السادس: ولد فى ٢٢ أغسطس ١٢٩٣م ، ابن شارل فالوا وحفيد فيليب الثالث، تولى الحكم فى الفترة ما بين عام ١٣٢٨م إلى ١٣٥٠م. ولقب بفليب الشجاع وقد تزوج مرتين الأولى من جوان Jeanne تزوج ابنة روبرت الثانى دوق برجنديا وبعد وفاتها تزوج من الأميرة بلانش Blanch أميرة نافار . وتوفى فى ٢٢ أغسطس ١٣٥٠م ودفن فى كاتدرائية دينيس بجوار الأميرة بلانش انظر:

http/history modern About. Com. (accessed 17-10-2005); WWW. Wikipedia. Org. (accessed 18-12-2005).

(٢) Lett·er of Marino Sanudo to Philip VI king of France (4 April, 1334), ed. Kunstmann, in studien uber Marino Sanudo, pp. 791-797.
وعن هذا الخطاب انظر ملحق رقم (١)

(٣) Letter of Marino Sanudo to Philip VI king of France (4 April, 1334), ed. Kunstmann, in studien uber Marino Sanudo, pp. 797-806.
عن هذا الخطاب انظر ملحق رقم (٢)

ويأتى بعد ذلك خطاب آخر أرسله مارينو سانودو إلـــى لويــس دوق الــبربون Louis de Burbon ومؤرخ فى ٢٢ أكتوبر ١٣٣٤م. وكان للمعلومات التاريخية التى وردت فى ثنايا الخطاب أثر كبير فى استكمال بعض جوانب المشروع التى لم تتضح فـــى المشروع نفسه. ففى هذا الخطاب حدد مارينو سانودو الأماكن المقترحة لتخرج الحملـــة منها فذكر البندقية وقبرص ولكنه فضل البندقية. كما إنه كان من أهم البراهين التى تمت على أساساها مناقشة واحدة من القضايا الهامة التى تناولها موضـــوع البحـــث، وهـــو الدافع الحقيقى لمارينو سانودو لتشجيعه قيام الحملة وتمثل هـــذا الدافـــع فـــى تحقيـــق المكاسب الاقتصادية للبندقية بغض النظر عن أى شئ آخر. كما أوضح الخطاب أنانيـــة مارينو سانودو وتعصبه لبنى جلدته حيث طالب مارينو سانودو باستبعاد أى قوى أخرى لتشارك فى الحملة المنتظرة وبالأخص الجنويين(١).

وهناك أيضاً خطاب رابع وجه من مارينو سانودو الـــى فيلـــهم كونـــت هولنـــدا ومؤرخ فى ٢٥أكتوبر١٣٣٤م. وتتجلى أهمية هذا الخطاب فى أن مارينو سانودو يخـــبر الكونت بالجهود التى يبذلها لخروج الحملة المنتظرة، ودعوته إليه بالمساعدة فى الحملة عن طريق تبرعه ببعض أمواله بالإضافة إلى تبرعات القادرين ماليا من أهـــل مملكـــة هولندا.(٢)

وأخيراً يأتى خطاب أخر استند عليه الباحث فى مناقشة أحد القضايا الهامة فـــى موضوع البحث وهى أثر الدعاية الدينية التى قام بها مارينو سانودو وموقـــف الغـــرب الأوروبى منها. وكان هذا الخطاب هو خطاب بطرس أسقف سيباستوبوليس إلى رؤســاء أساقفة إنجلترا. ودعا بطرس فيه الأساقفة إلى المساعدة فى خروج الحملـــة الصليبيـــة المنتظرة وذلك بشحذ هممهم وتحمسهم للاشتراك فيها عن طريـــق الكلمـــات والخطـــب المؤثرة كما طلب منهم إقناع الملك إدوارد الثالث بالمساعدة فى الحملة أو الخروج فيها، حيث لم يكن يعير الأمر أيه أهمية.(٣)

---

(١) Letter of Marino Sanudo to Louise de Bourbon (22 October, 1334), ed. Kunstmann, in studien uber Marino Sanudo, pp. 808-813.

(٢) Letter of Marino Sanudo to Phylum count Holland (25 October, 1334), ed. Kunstmann, in studien uber Marino Sanudo, pp. 815-816.

(٣) Letter of Peter bishop of Spastopolis to Archbishop of England (1330), ed. Kunstmann, in studien uber Marino Sanudo, pp. 817-819.

أما الوثائق تتمثل فى مراسيم البابا نيقولا الرابع Nicholas IV [١] ١٢٨٨-١٢٩٢م وقد قام إيرنست لانجوليس بنشرها ضمن أرشيف الفاتيكان[٢] ويلى ذلك مرسوم البابا بونيفاس الثامن BonifaceIII [٣] ١٢٩٤-١٣٠٣م وقد قام بنشرها ديجار وفوكون وتوماس وفاوتير ضمن أرشيف الفاتيكان.[٤] وقد صدرت هذه المراسيم خلال فترة

---

(١) نيقولا الرابع اسمه الحقيقى جيرمو بيترى ماسيوس [Jermo Petri Massiues] ولد فى ٣- سبتمبر - ١٢٢٧م لأبوين فقيرين عرف خلال حياته بالورع والتقوى ونشأ فى بلدة ليسكيانو Liscianum فى إيطاليا وتولى أسقفية فلسطين فى عام ١٢٨١م وكان كاهناً وأسقفاً لأبرشية دالمشيا و حصل على درجة الدكتوراه فى علم اللاهوت وقام بتدريس الفلسفة والعلوم الدينية فى جامعة بولونيا ، ثم أرسل بواسطة البابا جريجورى العاشر Gregory X إلى القسطنطينية من اجل بحث موضوع اتحاد الكنيسة الشرقية و الغربية ، وصدر قرار توليته للبابوية فى ١٥- فبراير-١٢٨٨م ، و نصب فى يوم ٢٢-فبراير-١٢٨٨م ، وتوفى فى روما فى٤/٤/١٢٩٢م ودفن فى كاتدرائية سانت ماريا. لمزيد من التفاصيل انظر:

Horace, M., *Lives of the popes in the middle ages* (London, 1931), vol. 18, p.8; Rayan, J., *International of the oriental mission and crusade activities of the papacy under Nicholas IV 1288-1292* (Newyork, 1972), p.6; WWW. Catholic. Forum. Com (accessed – 13 – 8-2005)

(٢) *Les Registres de Nicholas IV*, Recueil de Bulles de ce pape publiées ou Analysées d'après les manuscrits orignaux des archives du Vatican, ed. By M. Ernest Langlois, Bibliothèque des écoles Françaises d'Athènes et de Rome, 2 Série (paris, 1896)

(٣) بونيفاس الثامن ولد فى عام ١٢٣٤م فى مدينة اناجنى Anagni اسمه الحقيقى بنديتوكايتانى درس القانون فى تودى Todi وحصل على شهادة الدكتوراه و كان كاهن قانون كنسى فى ليون Lyon وروما Rome و أنجز كثير من المهام الموكلة إليه فى عهد البابا نيقولا الرابع وانتخب خلفا للبابا سلستين الخامس Celestin V فى٢٤- ديسمبر-١٢٩٤م ، وتوج فى ٢٣- يناير -١٢٩٥م وتوفى فى ١١- أكتوبر-١٣٠٣ م بمدينة روما . لمزيد من التفاصيل انظر:

Vacant, A., *DTC* (Paris, 1931), T, 11, p.292.

راجع أيضاً: موريس كين: حضارة أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، القاهرة ٢٠٠٠م ، ص ١٩٢.

(٤) *Les Registres de Boniface VIII*, Recueil des Bulles de ce pape publiees ou Analysees d'apres les manuscrits originaux des Archives du Vatican, ed.by. G. Digard, M. Faucon, A. Thomas et R.Fawtier Bibliothéque des écoles Francaises. D'Athénes et de Rome, 2 Série (Paris, 1884-1939).

الحظر البابوى للتجارة مع سلطنة المماليك فى أعقاب سقوط الكيان الصليبى فى الشرق على يد السلطان المملوكى الأشرف خليل بن قلاوون فىعام ١٢٩١م/٦٩٠هـ .

وتتمثل أهمية هذه المراسيم إنها أمدت الباحث بمعلومات فى غاية الأهمية عن الجهود التى بذلتها البابوية فى أعقاب سقوط الكيان الصليبى لإحياء الحركة الصليبية من جديد كما أنها أشارت إلى أهم السلع والمنتجات التى حظرت البابوية تصديرها إلى موانى ومدن السلطنة المملوكية فى مصر والشام ، وأوضحت أيضاً إلى العقوبات و الغرامات المالية التى فرضتها البابوية على المخالفين للحظر البابوى.

هذا عن أهم الوثائق والمراسلات التى خدمت موضوع البحث. أما عن المصادر اللاتينية الأصلية التى روت تاريخ الحروب الصليبية خلال الفترة موضوع الدراسة. تمثلت هذه المصادر فى كتب الدعاة الصليبيين التى تعتبر من أهم المصادر لموضوع البحث وتتمثل أهمية تلك الكتب المحتوية على المشاريع الصليبية فى أنها كانت تعبر عن مدى الحقد والبغضاء والتعصب الأعمى الذى أبداه الغرب الأوروبى ناحية العالم الإسلامى، وتعبر أيضاً عن المصائب والمحن والكوارث التى تعرضت لها الحركة الصليبية إبان نهايات القرن الثالث عشر الميلادى وأوائل القرن الرابع عشر الميلاديين/ نهايات القرنين السابع والثامن من الهجرة.

ويأتى فى مقدمة هذه الأعمال التاريخية الأوروبية الكتاب الذى جمع بين صفات الحولية والتاريخ وكتب الرحالة معاً ، والذى يحمل عنوان "كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب فى استرجاع الأراضى المقدسة والحفاظ عليها".

"Liber Secretorum Crucis Super Terre Sanctae Recuperatione et Conservation"[1]

(١) رجعنا إلى الترجمة العربية لهذا الكتاب: مارينو سانودو: كتاب أسرار المؤمنين بالصليب لاسترداد الأراضى المقدسة والاحتفاظ بها، ترجمة سليم رزق الله ، القاهرة ١٩٩١م . وهذه الترجمة هى الخاصة بالمشروع فقط أما باقى الكتاب الذى يتناول تاريخ الحروب الصليبية لم يترجم ولا يزال بلغته اللاتينية، ولهذا الكتاب طبعتان الأولى موجودة فى الجزء الثانى من مجموعة **J. Bongars, Gesta Dei per Francos (Hanover, 1611)** والطبعة الثانية فى بيت المقدس فى عام ١٩٧٢م مع مقدمة لوبنجارز وأخرى ليوشع براور.

الذى وضعه مارينو سانودو .(١) الذى اظهر منذ صباه اهتماماً ملحوظاً بقضية الأراضى المقدسة ، وقد طغا عليه اهتمام جارف بشئونها ورغبته الشديدة فى القضاء على سلطنة المماليك فأخذ يوظف كل خبراته ومعارفه الهائلة لمساندة الحركة الصليبية للخروج بها من كبوتها .(٢) ومن أجل هذا الهدف وضع مارينو سانودو كتاب الأسرار الذى بدأ فى كتابته فى عام ١٣٠٦م وانتهى منه فى عام ١٣٢١م .

وقد احتوى كتاب الأسرار على ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول وقد روج فيه مارينو سانودو لفكرة الحصار الاقتصادى ضد سلطنة المماليك عن طريق تنفيذ إقامة حصار بحرى ضد مصر تنفذه وتشرف عليه الأساطيل الأوروبية مما سيودى إلى إفراغ خزينة السلطان وإفقار المصريين وبالتالى انهيار اقتصاد مصر. أما الجزء الثانى Passagium فقد عبر فيه مارينو سانودو عن وجهة نظره فى تنظيم الحملة الصليبية والغزو العسكرى لبلاد السلطنة المملوكية ويلى ذلك الجزء الثالث Opus magnum ويعطى فيه مارينو سانودو التعليمات اللازمة للصليبيين الجدد حول كيفية الحفاظ عليها وإدارة الأراضى المقدسة من الضياع والاستفادة من أخطاء الماضى.(٣)

وهناك علاقة تربط بين الأجزاء الثلاثة ببعضهم البعض ، فالجزء الأول شبه فيه مارينو سانودو الاستيلاء على الأراضى المقدسة باسترداد الصحة لجسم عليل ففى هذا الجزء يقدم الدواء لعلاج الأمراض ، وهذا يرمز إلى الطرق والوسائل اللازمة لتحرير الأراضى المقدسة. أما الجزء الثانى يصف فيه الشفاء أى التحرير والاستقلال التام. والجزء الثالث يرشد إلى الحفاظ على الصحة، وهذا معناه حماية الأراضى المقدسة من هجمات المسلمين(٤).

---

(١) عن مارينو سانودو ونسبه: انظر الفصل الثانى ص ٥١-٥٢.

(٢) Atiya, *A.*, *The Crusade in the Later Middle Ages*, P.118.

(٣) مارينو سانودو : كتاب الأسرار ، ص ١٤-١٥.

(٤) **Kunstmann, (F.), *Studien uber Marino Sanudo*, den altern mit einem Anhange seiner ungedruckten Briefe, Abhandlungen der Historischen classes der konigliche Bayerischern Akademie der Wissensch aften 7 (1853), p.705.**

وترجع أهمية ما كتبه مارينو سانودو إلى أنه كان من الأوائل الذين كتبوا عـــن كيفية الاستيلاء على الأراضى المقدسة مرة أخرى من أيدى المسلمين خاصة بعد سقوط عكا ، ونادى بضرورة استخدام الحصار الاقتصادى ضد المماليك فى مصر . والكتاب فى مجمله عبارة عن مشروع صليبى لاسترداد الأراضى المقدسة على أن تكون مصر هـــى أول أهداف الحملة الصليبية المزمع قيامها حيث أنها مركز الثقل للمقاومة الإسلامية ضد الغزو الصليبى على أن يصحب ذلك الهجوم حصار اقتصادى لها ففقدان مصر لمركزهـــا التجارى يجعلها عاجزة عن استيراد المواد اللازمة لها فى الحروب، وبذلك تضعف قـــوة السلطان المملوكى بها.[١] وقد قدم مارينو سانودو كتابــــه إلـــى البابـــا يوحنـــا الثـــانى والعشرين فى ٢٤ سبتمبر ١٣٢١م بمدينة أفينون Avignon وكان يمثل أحـــد الحلـــول التى لجأت إليها البابوية بعد نجاح المماليك فى طرد الصليبيين من بلاد الشام. [٢]

وبالنسبة لموضوع البحث فقد أمدنا مارينو سانودو بمعلومات تاريخية فى غايـــة الأهمية فقد حدد فى كتابه أهم السلع التجارية التى تعتمد عليها مصر فى الحـــرب ضـــد الصليبيين، وأهم الطرق التجارية التى كان السلطان المملوكى يستخدمها فى نقـــل هـــذه الأشياء إلى الغرب الأوروبى. كما حدد مارينو فى كتابه أهـــم المنـــاطق البديلـــة التـــى يستطيع أن يلجأ إليها الأوروبيين للحصول على السلع التى كانوا يستوردوها من مصر. ويزيد من أهمية كتابه ما قدمه من معلومات تاريخية وجغرافية عن بلاد الشرق. كمـــا أمدنا سانودو بمعلومات قيمة عن القوات البرية والبحرية اللازمـــة لتنفيـــذ المشـــروع وموطنها ،واهم السفن المستخدمة فى الحملة وأماكن الحصول عليها، وأنواع الأخشـــاب التى تستخدم فى صناعتها. كما زودنا سانودو بأنواع الأطعمة المستخدمة فـــى الحملـــة وكمياتها وطرق توزيعها وهو ما لم يتوفر فى مشاريع غيره من الدعاة. إلى جانب ذلـــك أمدنا بأهم الشروط التى يجب أن تتوافر فى القادة المختارين لقيادة الحملة، أهم الوسائل التى تكفل للصليبيين الحفاظ على الكيان الصليبى الجديد، وكان أهم ما ميزه أنه لم يقـــدم

---

(١) حسين عطية: إمـــارة أنطاكيـــة الصليبيـــة والمســـلمون ١١٧١-١٢٦٨م / ٥٦٧-٦٦٦هـــ ، الإسكندرية ١٩٨٩م ، ص ٤٧.

(٢) حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، ص٤٦.

أى وسيلة إلا بعد دراسة متأنية للأخطاء السابقة التى أدت إلى فشل الصليبيين فى الحفاظ على الأراضى المقدسة .

وقد انفرد سانودو بأنه كان يتلقى المعلومات والتفاصيل ويحولها إلى أرقام وإحصائيات ثم يترجمها إلى حاجات ومطالب ويعبر عنها بنفقات يدرجها فى لوائح، فتظهر المبالغ المطلوبة لتأمين التكاليف اللازمة لتنفيذ الحملة الصليبية المقترحة فكان كل شئ مدروس ومخطط لاحتلال بلاد الشرق لا شئ متروك للصدفة مما جعله مميزاً عن غيره من الدعاة.

و انفرد أيضا سانودو بأنه كان أول من نادى بتوأمه المدن بين الشرق والغروب، وعلاوة على ذلك كان من أوائل الدعاة الذين اتجهوا بفكرهم إلى فكرة فصل سلطنة المماليك عن باقى القوى الإسلامية فى المنطقة ليقطع طرق الاتصال بينهم، ولم يسبقه إليها أحد من الدعاة السابقين. إلى جانب ذلك كان أول من أظهر اهتماما بحقوق النساء والأرامل والأطفال فى الحملة. ولكن ما يؤخذ عليه ما أظهره من حقد دفين و تعصبه الشديد وكراهيته ضد الإسلام والمسلمين لدرجة إنه وضع مشروعا حربيا خالصا فهى حرب تتكون من شقين حرب اقتصادية ثم حرب عسكرية ، فلم يشر من قريب أو من بعيد إلى استخدام سلاح التبشير بين المسلمين. كما أنه تبنى دعوة يهودية فهو يريد أن تكون مصر أرض الميعاد للصليبيين من الفرات إلى النيل ويؤخذ عليه أيضا ازدراؤه لجند المصريين حيث وصفهم الجنود بالضعاف، وأكد على هذا الأمر بأنه لولا الرقيق لأصبحوا لقمه سائغة فى أفواه الصليبيين.

ويأتى بعد ذلك كتاب "استرداد الأراضى المقدسة" لفيدنزيو من بادوا **Fidenzio of padua** [١] الذى نشره جولوبوفيتش **Golubovich**. وقد شاهد فيدنزيو بنفسه مدى

---

(١) فيدنزيوا من بادوا راهب فرنسيسكانى لا يعرف الكثير عن فترة شبابه ولد عام ١٢٢٦م كان خبيراً استراتيجياً بشئون الشرق نتيجة لجولاته المتعددة وكان شاهد عيان على سقوط صفد وأنطاكية وذهب بنفسه إلى السلطان بيبرس للالتقاء بالأسرى لرفع روحهم المعنوية وشغل منصب قس فى الأرض المقدسة عام ١٢٦٦م . انظر:

Fidenzio padua, *Liber Recuperationis Terrae Sanctae*, in Bio Bibliografica della Terra Santa dell'oriente Francescano, ed. Girolamo Golubovich (Firenz, 1927), pp. 1-2.

الخوف الذى تعرض له الصليبيون بالشام والذى نتج عنه فى النهاية سقوط معاقلهم واحدا تلو الأخر فى أيدى سلاطين المماليك.[١] وكان فيدنزيو قد شرع فى وضع كتابه "استرداد الأراضى المقدسة" بناء على طلب البابا جريجورى العاشر Gregory X (١٢٧١/١٢٧٦م) أثناء انعقاد مجمع ليون Lyon فى عام ١٢٧٤م ، ولكنه لم يكتبه مباشرة بل تجول فى بلدان الشرق وقام برحلات عديدة شملت مصر والشام وقبرص وأرمينيا الصغرى وبعض مدن الدولة البيزنطية وفارس لجمع المعلومات لكتابه الذى قدر له أن ينتهى منه فى عام ١٢٩١م. فقدمه فيدنزيو إلى البابا نيقولا الرابع قبيل سقوط عكا فى يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون فى عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ.[٢]

ومما لا شك فيه أن الخبرات التى اكتسبها فيدنزيو فى رحلاته المتعددة فى بلاد الشرق، وإقامته فى الأراضى المقدسة قد صقلته فكرياً مما جعله يدلى بآرائه فى المسألة الصليبية، ورؤيته للوسائل التى تساعدها على الخروج من محنتها ، وذلك من خلال أفكاره التى طرحها فى كتابه الذى قسمه إلى قسمين رئيسيين القسم الأول يتناول فيه تاريخ الأرض المقدسة منذ القدم حتى سقوطها فى أيدى المسلمين . أما القسم الثانى فقد عرض فيه فيدنزيو رؤيته الخاصة ووجهة نظره لإعداد حملة صليبية جديدة . واقترح الوسائل التى تكفل لها النجاح فى استرداد الأراضى المقدسة من أيدى سلاطين المماليك ، وحمل فيه الأوروبيين مسئولية سقوط الأراضى المقدسة بسبب عدم اللامبالاة بالأرض المقدسة وعدم إرسالهم المساعدات إلى الجنود الصليبيين. ولهذا القسم أهمية كبيرة فى موضوع الدراسة الذى شدد فيه فيدنزيو على أهمية فرض المقاطعات التجارية ضد سلطنة المماليك وكيفية الحصار الاقتصادى لسلطنة المماليك، والمزايا التى تعود على الصليبيين من هذا الحصار. ويعتمد تقرير فيدنزيو على مشاهداته الشخصية المتأنية من خلال زياراته إلى بلاد الشرق .

و لكن ما يؤخذ عليه رغم أن أراءه جاءت مستمدة من الواقع العملى والتجارب الشخصية إلا أنها كانت تحمل غالبا الطالب القصصى والسرد الإعلامى دون تحليل

---

(١) Atiya, *The Crusade in the Later Middle Ages*, P. 137.

(٢) Schein,S., *The west And The crusade Attitudes And Attempts 1291-1312* (Cambridge, 1979), PP. 55-60.

المعلومات وتحويلها إلى خطوات تنفيذية .بالإضافة إلى أن تصوره للإعداد المادى للحملة كان تصورا هامشيا يخلو من الدقة والتوزيع الجيد للأدوار حيث قصر الإعداد المادى على الأثرياء فقط متجاهلا الكثير من الموارد الأخرى التى قد تسهم فى إعداد الحملة ماديا . على العكس من مارينو سانودو الذى وضع تصورا كليا يشمل الكثير من المصادر المالية الهامة التى تسهم فى إعداد الحملة ماديا .

يأتى بعد ذلك كتاب الأمير هيثوم Hethoum أو هايتون Hayton .(١) كتاب (زهرة تاريخ بلاد الشرق) " Flos Historiarum Terre Orientis " المنشور ضمن مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية.

والكتاب مقسم إلى أربعة أقسام تناول القسم الأول أحوال بلاد الشرق منذ ميلاد السيد المسيح عليه السلام حتى عام ١٣٠٥م ، ثم حث أمراء الصليبيين على استعادة الأراضى المقدسة. وحددها فى وفرة المحاصيل الزراعية، طول مدة الهدنة بين السلطان والمغول قدرة السلطان على إحلال السلام بين دولته وجيرانها أهل النوبة فى الجنوب

(١) الأمير هيثوم: فهو أحد المختصين بشئون الشرق ينتمى إلى عائلة لامبرون ويعرف فى الغرب الأوروبى باسم هيتونوس موناخوس Hagtonus monaches ، ورث إقطاع جوريجوسGorigos وظهر على مسرح الأحداث أثناء مهاجمة المماليك أرمينيا، ورحل إلى قبرص فى عام ١٣٠٥م. ثم ذهب إلى البابا كليمنت الخامس فى عام ١٣٠٦م فى مقره البابوى بأفينون Avignon واستقبله البابا بترحاب شديد وكلفه بتسجيل قصة التتار وحروبهم والممالك التى أسسوها وقصة دول الشرق بصفة خاصة دولة المماليك فى مصر. فاعتكف فى دير برايمو تثراست ويقع على مقربة من بوايته شمال فرنسا وهيثوم من كرشى ثغر بحرى على الشاطئ الجنوبى لآسيا الصغرى وقد أملى تاريخه على شخص يدعى نيقولا فالكون Nicole Falcon الذى ترجمه إلى اللاتينية وقدمه للبابا كليمنت الخامس فى عام ١٣٠٧م . لمزيد من التفاصيل انظر:

Hayton, Flos Historiarum Terre Orientis, dans R.H.C. t.ii, H.DOC - Arm (Paris 1906). , P.352. CF. Also, Jacques de Morgan, *Historie du peuple Armenien* (Paris, 1977), P.210.

راجع أيضاً: حسين عطية: إمارة إنطاكية الصليبية والمسلمون، ص ٦٧. وله أيضاً: سفارات الأرمن إلى المغول وأثرها على العلاقات الأوروبية المغولية ، بحث منشور ضمن كتاب دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية، الإسكندرية ٢٠٠٠م ، ص٢٥٩.

والتركمان والبدو فى داخل البلاد وعلى حدودها فى شمال وشرق سوريا. وتناول أيضا عوامل ضعفها وحصرها فى قلة فيضان النيل وما ينتج عنه من مجاعات تؤدى إلى انتشار الأوبئة والطاعون، الحروب الأهلية بين جنود المماليك والسلطان القحط الذى يصيب البلاد أحيانا، وبين تكوين الجيش المصرى وعوامل قوته وضعفه(١). القسم الثانى عرض فيه أهداف غزو الأراضى المقدسة فى بلاد الشام وفلسطين ، القسم الثالث أفرده للمغول وضرورة الاستعانة بهم وأهمية استقطابهم وتحويلهم إلى المسيحية الكاثوليكية ، أما القسم الرابع والأخير فقد اشتمل على المشروع الصليبى والخطة اللازمة لإعداد الحملة المقترحة .

إلى جانب ذلك فقد قدم لنا هيثوم معلومات وفيرة توضح طبيعة العلاقة بين المغول والصليبيين وبيان قوة المغول وما يمثلوه من قوة يمكن جذبها إليهم بنشر المسيحية بينهم لضمان تعاونهم مع الغرب الأوروبى للقيام بحملة صليبية يمكنها محاصرة المسلمين من جهة الشرق والغرب، ولذلك تعتبر كتابات هيثوم مصدر معلومات دقيق وهام لتاريخ المغول وغزوهم الشرق الإسلامى.

ولكن أهم ما يؤخذ عليه أنه لم يول أية أهمية لمناقشة مصادر التمويل المالى للحملة و تركها فى أيدى الكنيسة ولم يوضح كيفية الحصول على الأموال اللازمة لقيام الحملة.

واعتمد الباحث أيضاً على "كتاب النهاية" Liber de fine (٢) الذى وضعه رامون لل Ramn Lull (٣) الذى قضى الجزء الأكبر من حياته فى دراسة الفلسفة واللغة

---

(١) Atiya, *The Crusade in the Later Middle Ages*, P. 63; Leopold, *How to Recover the holy Land. P. 30.*

(٢) Ramon lull, *Liber de fin*, ed.A.Madre, Raimund di lulli opera Latina, CCCM 35 (Turnhout, 1981)

(٣) أما رامون لل ولد فى عام ١٢٣٢م فى ميوركا ، من أبوين هما ريمون واليزابيث ينتميان إلى عائلتين نبيلتين من أرغونة وكان منغمساً فى حياة اللهو والملذات حتى عام ١٢٦٣م ، إذ حدث تحول هام فى حياته فقرر ترك حياة الخلاعة والمجون ونذر نفسه لخدمة المسيحية والسبب الحقيقى لهذا التحول غير معروف ولكن بعض المصادر والمراجع زعمت أن سبب هذا التحول هو إنه فى إحدى الليالى كان يكتب قصيدة غرامية إلى إحدى صديقاته فالتفت إلى يمينه فرأى=

العربية ، وقد سيطرت على أغلب مؤلفاته فكرة إستقطاب الأمم غير المسيحية إلى الديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكى عن طريق وضع نظم جديدة للتبشير وإرسال المبشرين إلى كافة أنحاء العالم ومجادلة المسلمين بالمنطق وإنشاء مدارس لتعليم اللاهوت والدين المسيحى فى بلاد الشرق الإسلامى ، كما شدد على أهمية إعداد حملة صليبية لتحطيم قوة سلطنة المماليك ، ومن أجل هذا تجول فى بلاد الشرق مبشراً بالديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكى ، وعايش محنة الصليبيين فى بلاد الشام ،و شاهد اثر سقوط الكيان الصليبى عليهم . مما كان له أثر واضح فى تشكيل فكرة وفى تأليف كتابه الذى كتبه فى عام ١٣٠٥م .[١] وعرض رامون لل فى هذا الكتاب وجهة نظره بشأن الوسائل المتاحة لأحياء الحركة الصليبية ، وتشكيل حملة صليبية جديدة ضد القوى الإسلامية فى الأندلس وشمال إفريقيا ومصر والشام .[٢]

وقد قسم رامون لل كتاب "النهاية" إلى مقدمة وثلاثة أقسام ، فعرض رامون فى المقدمة أوضاع العالم الذى يشكل فيه المسيحيين أقلية بينما الأغلبية للمسلمين الذين هم فى ازدياد مستمر ويوسعون رقعة بلادهم على حساب أراضى المسيحيين ولذا يجب على المسيحيين أن يبذلوا قصارى جهدهم من أجل تنصيرهم وإتباعهم المذهب الكاثوليكى. أما القسم الأول فقد عرض فيه حججه ضد المسلمين واليهود والتتار والمسيحيون المنشقين عن الكاثوليكية كالأرثوذكس والأقباط النساطرة . أما القسم الثانى فقد تضمن مشروعه الصليبى للاستيلاء على الأراضى المقدسة . أما القسم الثالث والأخير فيفند

=هيئة السيد المسيح معلقة على الصليب وتكررت هذه الرؤية مرات حتى حدث التحول . وقد تزوج من فتاة تدعى بلانكا وأنجب طفلين دومنيك ومجدولين وقد كتب كثيراً من الكتب جمعت فى كتاب Opera omina وقتل رجما بالحجارة فى عام ١٣١٥م فى بوجيه بشمال إفريقيا وقد بلغ من العمر ٨٢ عاماً ودفن فى كاتدرائية لآس بالماس . لمزيد من التفاصيل انظر:

Peers, A., *Ramon Lul abiography* (London, 1929), pp. 5.9; Hillgarth, N., *Ramon Lull and Lullism in Fourteenth centurey* (Oxford, 1971), P.2, Bonner, A., *Selected Work of Ramon Lull 1232-1316* (Newjercy, 1981), vol. 1, P. 10.

راجع أيضاً: عزيز سوريال عطية: الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر، دار الثقافة ١٩٩٠م ، ص٨٤ .

(١) **Hillgarth, N., *Ramon lull and Lullism in Fourteenth Centurey*, pp.3-4; Atiya, *The Crusade in the Later Middle Ages*, p.75.**

(٢) **Atiya, *The Crusade in the Later Middle Ages*, pp. 80-81.**

فيه لل مشروعة وأدبه عامة . ويشكو من عارض خططه التى قاربت علـــى التحقيـــق وأعرب عن خيبة أمله وخزنه لعدم تحقيق آماله .[١]

و إلى جانب ذلك فقد أفاد الباحث من كتاب رامـــون لـــل فـــى خـــلال عرضـــه لمشروعه التبشيرى واقتراحه بإنشاء مدارس تبشـــيرية فـــى مختلـــف أنحـــاء العـــالم الإسلامى، بالإضافة إلى الأفكار التى روج من خلالها للدعـــوة إلـــى فـــرض المقاطعـــة التجارية. وأهم ما يؤخذ عليه أنه لم يحاول الاستفادة من المسيحيين الشرقيين و أســـاء الظن بهم بالإضافة إلى تناقض أقواله حيث أكد فى البداية أن القوى العسكرية لا تفيـــد مع المسلمين ويجب أن يتجه الصليبيين إلى استخدام التبشير بدلاً منها ثم عاد ودعا إلى استخدام القوى العسكرية مرة أخرى.

ويأتى بعد ذلك التقرير الذى وضعه هنرى الثانى لوزينان ملك قبرص Henry II Lusinan [٢] المعروف بإسم "النصائح" "Consilium" [٣] وقد قدمه إلى البابا كلمنـت الخامس Clement V [١٣٠٥ – ١٢١٤] فى عام ١٣٠٧ بالنسبة لموضـــوع البحـــث فقد أمدنا تقرير هنرى الثانى بتفاصيل مشروعه للاستيلاء الأراضى المقدسة الذى قـــام على أساس تدمير الاقتصاد المملوكى وذلك بفرض الحصار البحرى الصارم على سواحل سلطنة المماليك لمدة سنتين أو ثلاث ويعقب ذلك الغزو العسكرى وقد أظهر التقريـــر أن مصر هى مفتاح بيت المقدس لذلك رأى هنرى الثانى أن احتلال مصر ضـــرورة لابـــد منها وقد جاءت إستراتيجية هنرى الثانى مشابهة إستراتيجية مارينوسانودو ولكنها لـــم يوضح كيفيه دخول الصليبيين مصر . ولكن ما يؤخذ علية أنه لم يهتم أيضاً مثل بـــاقى الدعاة بالموارد المالية اللازمة لقيام الحملة، ولم يول أى أهمية للقيام بالدعاية لحملتـــه على نقيض ما قام به مارينوسانودو. بالإضافه إلى ذلك أظهر تعصبه إلى قبرص عندمـــا

(١) Atiya, *The Crusade in the Later Middle Ages*, P. 81.

(٢) هنرى الثالث هو ابن الملك هيو الثالث تولى العرش مرتين الأولى من عام ١٢٨٥ / ١٣٠٦ ثـــم نفى إلى أرمنيا فى الفترة من ١٣٠٦ إلى ١٣١٠ ثم تولى العرش مرة أخرى مـــن ١٣١٠ إلـــى ١٣٢٤. أنظر : WWW.Wikipedia. Org.

(٣) نشر هذا التقرير ماس لاترى Mas latrie فى الجزء الثانى ضمن كتاب تاريخ قـــبرص تحـــت حكم أسرة لوزينان أنظر

Henry II, Consilium , ed .M.L. de Mas latri, in Histoire de l,ile chypre, vol.2 [Paris, 1852-1861, 118-125].

رفض اشتراك المدن الإيطالية فى الحملة بحجة أنها العامل الرئيسى فى فشل الحمـــلات السابقة ولكنها كان يخشى أن تزداد العلاقات بين المدن الإيطاليـــة وسـلطنة الممـــاليك تجارياً مما يؤثر على الوضع الاقتصادى لقبرص. كما أنه تحامل على الجنود المصرييـن وأظهرهم بأنهم ليس لهم خبرة قتالية و يعتمدون على الرقيـــق اعتمـــادا رئيســـياً فـــى الحروب و لولا وجودهم لتم القضاء على مصر.

وإلى جانب المصدر الغربية التى اعتمد عليها الباحث كان هنـــاك العديـد مـن المصادر العربية منها المعاصرة والمتأخرة زمنياً، والتى تأتى فى المرتبة الثانيـــة بعـد المصادر الأجنبية ، فعلى الرغم من أنها تحتوى على مادة تاريخية هامة فيمـــا يتعلــق بالعلاقات بين المسلمين والصليبيين، إلا إنها بالنسبة للبحث فلم تمدنا إلا بالنذر القليـــل واقتصر دورها فى مجرد إعطاء خلفيات تاريخية، وسوف يعرض البـــاحث أهـــم هــذه المصادر.

ويأتى فى مقدمة هذه المصادر كتاب "الروض الزاهر فى سيرة الملـــك الظـــاهر" لابن عبد الظاهر.[1] ويرجع أهمية كتابه فى إنه أفاد الباحث فى التعرف على المعـــاهدة التى عقدت بين السلطان قلاوون وألفونسو الثالث أراجون وتعهد فيها ألفونســـو بعــدم تقديم أى مساعدة لصليبى الشام، أو أى حملة صليبية تخرج إلى بلاد الشرق الإسلامى.

ويأتى بعد ذلك القلقشندى[2] الذى يعتبر كتابه صبح الأعشى فى صناعة الإنشـــاء من أهم المصادر التى أفادت الباحث فى التعرف على المعاهدات التى عقدت بين الدولـــة

---

(١) محى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر ابن نشوان ابن عبد الظاهر الســـعدى المصرى . ولد فى عام ٦٢٠ هـ/١٢٢٣م ، عمل فى ديوان الإنشاء أيام السلطان المملوكى قطز ثم فى عهد السلطان الظاهر بيبرس وولديه وفترة من عهد المنصور قـــلاوون ، ولــه مؤلفـــات أخرى مثل "الروضة البهية فى حضرة القاهرة المعزية". وتوفى ابـــن عبـد الظـــاهر فـــى عـــام ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م . انظر:

ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر فى سيرة الظاهر ، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٦م ، ص ٩-١٨ ، مقدمة المحقق.

(٢) هو أحمد ابن على بن أحمد بن عبد الله الشهاب بن الجمال أبى اليمن الفزارى القلقشندى ولد فـــى عام ٧٥٧هـ / ١٣٥٥م ولد فى بلدة قلقشندة من أعمال القليوبية وعمل كمدرس ثم قاضى على المذهب الشافعى وعمره لا يتعدى إحدى وعشرين سنة ، وقد نزح إلى الإسكندرية طالباً للعلـــم=

المملوكية والدول الأوروبية وخاصة المعاهدات التى عقدت بعد صدور قرارات الحظر البابوى بعد عام ١٢٩١م، الأمر الذى أضفى على البحث أهمية التوثيق.

ومن المصادر الأخرى أيضاً أبو الفدا[1] صاحب كتاب المختصر فى أخبار البشر ولقد أفاد منه الباحث فى التعرف على الوباء الأسود الذى أصاب دول الشرق والغرب. أما عن المؤرخ ابن شداد[2] فى كتابه النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية فقد استفاد منه الباحث فى بعض تعريفات الرسالة مثل البطسات و الطرادات . وإلى جانب هؤلاء المؤرخين رجعنا أيضاً إلى أعمال كل من المقريزى ، وابن واصل وابن أيبك الدوادار ، والنويرى والعينى وابن حبيب والحريرى ، وإلى جانب ذلك تم الرجوع إلى كتب الرحالة مثل الاصطخرى والإدريسى.

=والتحق فى وظيفة كاتب بديوان الإنشاء فى عهد السلطان برقوق واستمر فيه حتى وفاته فى ٨٢١هـ / ١٤١٨م. لمزيد من التفاصيل انظر:

القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، تقديم فوزى أمين ،١٤ جزء ، القاهرة ٢٠٠٤م، ج ١، ص٧ وما بعدها .

(١) هو الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمود ولد بدمشق فى عام ١٢٧٣م/٦٧٢هـ ومات فى عام ١٣٣١م/٧٣٢هـ وقد شارك أبو الفدا فى فتح كثير من الحصون الإسلامية مثل حصن طرابلس ٦٨٨هـ وفتح عكا ٦٩٠هـ وتولى حماه نائباً عن المماليك وإلى جانب ذلك كان محباً للعلم ، ماهراً فى الفقه والتفسير، وله مؤلفات كثيرة . وتاريخه المختصر يبدأ بذكر الأنبياء من آدم عليه السلام إلى محمد عليه السلام . ثم يتعرض لملوك الأمم من الفرس والفراعنة قبل الإسلام ثم بدأ يسرد التاريخ الإسلامى واعتمد على كثير من المؤرخين بالنسبة للفترة السابقة عليه مثل الطبرى وابن الأثير وابن مسكويه وغيرهم ويشمل تاريخه كل بلاد الإسلام . انظر: حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، ص٩٣، هامش رقم ١٠٣.

(٢) هو بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن تميم بن عقبه الأسدى المعروف بن شداد . ولد فى الموصل رمضان ٥٣٩هـ/ مارس ١١٤٥م، دخل خدمة السلطان صلاح الدين الأيوبى فى ٥٨٤هـ/١١٨٨م. عرف بن شداد نسبة إلى جده، وعمل مدرساً بالمدرسة النظامية فى الموصل لمدة أربع سنوات، وتوفى فى حلب فى صفر ٦٣٢هـ/ نوفمبر ١٢٣٩م. انظر:

ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ٢٠٠٢ ، صـ١٧ ، مقدمة المحقق . راجع أيضاً:

حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ص٨٠، هامش رقم ٨٩.

هذه دراسة نقدية تحليلية لأهم منابع البحث وأصوله ، من عربية وأجنبية التـــى توفرت لدى الباحث ، وبالإضافة إلى ذلك فقد أفاد الباحث من الكثير من المراجع الثانوية المتخصصة فى تناول بعض القضايا التى تضمنها موضوع الدراسة . ومن بين المراجع الأجنبية مؤلفات ثروب Throop وســـيتون Setton ونورمــان هاوســلى Norman Housely وأشتور Ashtor وكونستمان Kunstmann وغيرهم .

أما عن المراجع العربية فمن حسن الحظ أنه توجد مدرسة متخصصة فى تــاريخ الحركة الصليبية أخرجت لنا العديد من الأعمال التاريخية المتعلقـــة بتــاريخ الحــروب الصليبية والتى أفاد منها الباحث كثيراً فى موضوع الدراسة .

الفصل الأول

فكرة الحروب الصليبية فى غرب أوروبا بعد استرداد المسلمين عكا

(١٢٩١ - ١٣١١م / ٦٩٠ - ٧٣٠هـ)

- أثر سقوط الكيان الصليبى فى الشرق عام ١٢٩١م / ٦٩٠هـ على الغرب الأوروبى.
- البابوية وإحياء فكرة الحروب الصليبية فى نهاية القرن ١٣م / ٧هـ القرن)
- المشروعات الصليبية للاستيلاء على الأراضى المقدسة قبيل مارينو سانودو.

شهد العالم الإسلامى خلال فترة العصور الوسطى أحداثاً هامة كان لها تـأثير مباشـر على كيان الأمة الإسلامية ، ويأتى فى مقدمتها ما أطلق عليه المؤرخون اسم الحركة الصليبية والتى امتدت قرنين من الزمان منذ أواخر القرن الحادى عشر الميلادى حتى أواخـر القـرن الثالث عشر الميلادى/القرنين من الخامس إلى السابع الهجرى.

وإذا كان الصليبيون قد نجحوا فى بداية تقدمهم إلى الشـرق الأدنـى الإسـلامى فـى تأسيس إماراتهم الصليبية وتوسيع حدود مملكتهم اللاتينية على حسـاب ضعـف المسـلمين، وعندما فاق المسلمون وأصبحت موازين القوى فى صالحهم فقد الكيـان الصليبـى مقوماتـه باسترداد المسلمين مدينة بيت المقدس ومعظم مدن الساحل الشامى فى أعقاب موقعة حطيـن ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ ، وأصبحت هذه الخطوة بدايةً لتطهير المنطقة كلها من السيطرة الصليبيـة وعبثها بالبلدان الإسلامية حتى انتهى أمرهم نهائيا بخروجهم مـن منطقـة الشـرق الأدنـى الإسلامى فى عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ وذلك بعد أن استعاد المسلمون عكا أهم حصونهم وتبـع ذلك استيلاؤهم على باقى المدن الساحلية الأخرى مثل صور وصيدا وعثيلث وانطرطوس علـى يد السلطان المملوكى الأشرف خليل بن قلاوون ، لينتهى بذلك الوجود الصليبى فى الشام[١].

ولكن هذا لا يعنى أن عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ هو نهاية لفكرة الحروب الصليبية وإنمـا هو إيذان بنهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة تتفق مع مجريات العصر[٢]. وإذا كان ما حـدث رغم أنف الصليبيين والغرب الأوروبى فليس معنى هذا أنهم تناسوا فترة انتعاشـهم سياسـياً واقتصادياً واجتماعياً أثناء تواجدهم فى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى وإنما أخـذوا يندبـون حظهم السيء واضعين نصب أعينهم العودة مرة أخرى لأطماعهم والاستيلاء على الأراضـى

(١) عن سقوط عكا والمدن الساحلية انظر:

ابن أيبك الدوادار: الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية [وهو الجزء الثامن من كنز الدر وجـامع الغرر] تحقيق أولرخ هارمان ، القاهرة ١٩٧١م ، ص ٣٠٨-٣٠٩ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيـه فى أيام المنصور وبنيه ، ٣ أجزاء ، تحقيق محمد أمين ، القاهرة ١٩٧٦م ، جـ١، ص ١٣٧؛ أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ٤ أجزاء ، تحقيق محمد زينهم ويحـى حسـن ، القـاهرة ١٩٩٩م ، جـ٤، ص ٣٥١ ؛ الحريرى: الإعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين من بـلاد المسلمين ، الإسكندرية ١٩٨٤م ، ص٧٠- ٧٢ .

(٢) سهير نعينـع: الحـروب الصليبيـة المتـأخرة حملـة بطـرس لوسـينان علـى الإسـكندرية ١٣٦٥م/٧٦٧هـ ، الإسكندرية ٢٠٠٢م ، ص ٨٣ .

المقدسة بالشرق على أن تكون مصر أول أهدافهم ، ولكن يبدو أن هذا الأمر كان خيالاً وأمــراً يصعب تحقيقه فاكتفوا بوضع مشاريع لحملات صليبية فى فترات زمنية متباعدة .

وقد سبب سقوط الكيان الصليبى فى الشرق دويا شديداً فى نفوس الصليبيين وأثر على معنوياتهم تأثيراً شديداً حيث أحدث حزناً لا يقل عما أحدثه من قبل سقوط بيت المقــدس فــى أيدى صلاح الدين فى عام ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ ، فقد كان هذا الاسترداد صدمة عنيفة للشــرق الإفرنجى الذى أخذ يتفتت ويتداعى ، وأعلن الحداد على زوال بلاد الشرق الإسلامى من يديـه حتى أن بعض النساء الصليبيات كنَّ يرتدين عند خروجهن من بيوتهن العباءات السوداء التــى تغطيهن من قمة الرأس إلى أخمص القدمين[1].

وقد اختلفت ردود الأفعال الناتجة عن سقوط عكا عند الغرب الأوروبى ففى البداية كان هناك شعور بالحزن والغضب ولكن مع مرور الوقت اختفت هذه الظاهرة ، وأخذت دول الغرب الأوروبى تواجه الموقف بلا مبالاة فأدركت صعوبة استرجاع الأراضى المقدسة نتيجة لتغــير الظروف والأوضاع التى كانت موجودة آنذاك فى الشرق الإســـلامى ، وكذلــك فــى الغــرب الأوروبى[2].

وبالنظر إلى أوضاع المجتمع الغربى الأوروبى آنذاك نجد أن تغيرات وتطورات هامــة قد ألمت به كان لها رد فعل قوى على فكرة الحروب الصليبية التى كانت موجودة عند صليبــى الغرب ، فأصبحت ظروف المجتمع الأوروبى لا تسمح باستخدام القوة العسكرية فــى ذلــك الوقت مما جعلها تفكر فى طريقة أخرى لتحقق بها الهدف المنشود وتمثلت تلك الطريقة فى التبشير ومحاربة المسلمين اقتصادياً[3].

---

(١) Housley, N., *The later Crusades: from Lyons to Al Cazar 1274 - 1580* (Oxford, 1992), p. 22; Hindly, G., *The Crusades a history of armed pilgrimage and Holy war* (London, 2003), P. 209.

راجع أيضاً: رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ، ٣ أجزاء ، ترجمة السيد البــاز العرينــى ، بــيروت ١٩٨٠م ، جـ٣، ص ٧١٣-٧١٧.

(٢) ميشيل بالار: الحملات الصليبية والشرق اللاتينى من القرن ١١ إلى القرن ١٤م ، ترجمة بشــير السباعى ، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٢٤.

(٣) ممدوح حسين وشاكر مصطفى: الحروب الصليبية فى شمال أفريقيا وأثرهــا الحضــارى ٦٦٨-٧٩٢هـ/ ١٢٧٠-١٣٩٠م ، بيروت ١٩٩٨م، ص ٣٦٠ .

فإذا نظرنا إلى إنجلترا وفرنسا وهما الدولتان اللتان كانا لهما دوراً كبيراً في الحروب الصليبية نجد أن كلا منهما قد بدأت تدخل في منافسات ضد الأخرى، الأمر الذى ترتب عليه فى النهاية قيام ما أطلق عليه المؤرخون حرب المائة عام بين الطرفين بالإضافة إلى انشغال الطرفين فى مشاكلهما الداخلية[1].

فبالنسبة إلى إنجلترا كانت تواجه عدة مشاكل مثل صراع النبلاء ضد الملك، والحرب ضد اسكتلندا[2]. ولذا جاء رد فعلها لخروج الصليبيين من بلاد الشام سطحيا وغير مناسب للحدث، فعقد اجتماعا للكنائس المحلية برئاسة رئيس الأساقفة بيكهام Picham فى فبراير ١٢٩٢م /ربيع أول ٦٩١هـ فى مدينة لندن London ، فنتج عنه سلسلة من الاقتراحات تخلو من الجانب العملى مثل ضرورة إقرار السلام فى الغرب، وتوحيد القيادة الصليبية والطوائف العسكرية والاستفادة من ثراء هذه الطبقات فى خدمة القضية الصليبية[3]. وفى فرنسا كانت هناك عدة مشاكل داخلية وخارجية مثل الحرب ضد الفلاندرز وثورة الفلاحين فى عام ١٢٩٧م/٦٩٦هـ ، بالإضافة إلى الوباء الأسود[4].

---

(١) حرب المائة عام: قامت بين إنجلترا وفرنسا وكان من أهم أسبابها النزاع حول ممتلكات إنجلترا فى القارة الأوروبية والتنافس الاقتصادى بين الدولتين وقسمت هذه الحرب إلى ثلاث مراحل المرحلة الأولى من عام ١٣٣٧-١٣٨٠م وانتهت بانتصار الإنجليز عند كريسى Crecy واستيلائهم على كاليه ثم بواتيه شمال فرنسا وانتهت بعقد معاهدة بريتانى ، أما المرحلة الثانية من عام ١٣٨٠-١٤١٥م كانت عبارة عن مناوشات متفرقة وبينها فترات سلام ، أما المرحلة الأخيرة من ١٤١٥-١٤٥٣م تجددت فيها الحرب على يد هنرى الخامس ملك إنجلترا وحليفه دوق برجنديا وانتهت نهائيا بطرد الإنجليز وتمكنت فرنسا من استعادة أملاكها. لمزيد من التفاصيل انظر:

Curry, A., *The hundred years war* (London, 1993), passim.

راجع أيضاً : نظير حسان سعداوى: تاريخ إنجلترا وحضارتها فى العصور القديمة والوسطى، القاهرة ١٩٦٨م، ص ١٣١.

(٢) سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، جزءان، القاهرة ١٩٧٥م ، جـ١، ص ٤٦٧ وما

(٣) زبيدة عبد المجيد عبد القوى: الإنجليز والحروب الصليبية، القاهرة ١٩٩٦م، ص ٢٣٨. راجع أيضاً :

Tyerman, G., *England and the Crusades 1095. 1588* (London, 1988), P. 239.

(٤) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، جزءان، القاهرة ١٩٨٦م، جـ٢، صفحات متفرقة.

-الوباء الأسود: فهو وباء أصاب معظم الدول الأوروبية أصاب الأخضر واليابس وأصاب= الاقتصاد العالمى على وجه العموم والفرنسى على وجه الخصوص ونتج عنه كثير من الخسائر

أما إيطاليا فلم تهتم بالحروب الصليبية بسبب التنافس الشديد بين المدن الإيطالية التجارية وخاصة الصراع بين جنوة والبندقية ، وكان لكل منهما مصالحه الخاصة ، فكان جلّ همهما هو تحقيق المكاسب الاقتصادية فى المقام الأول[1]. وفى أسبانيا كانت البلاد مقسمة إلى عدة وحدات سياسية ، فهناك مملكة أرغونة التى كونت اتحادا يضم إقليمى نفارى وقطا لونيا ، وأيضاً مملكة قشتاله ، ومملكة البرتغال ، ولم يبق من الإمارات الصليبية سوى إمارة غرناطه فكانت لا تزال تحت الحكم الإسلامى ، وقد أدى هذا التنافس بين هذه الوحدات السياسية إلى عدم المساهمة فى حرب صليبية خارج شبه الجزيرة الأيبرية[2].

أما بالنسبة للطوائف العسكرية التى كانت موجودة فى الشرق أثناء الحروب الصليبية فقد خرجت هذه الطوائف من الشرق الإسلامى بعد سقوط عكا وقد ضاعت أحلامهم واتجه كل منهم فى طريقه[3]. فالاسبتارية[4] بعد ضياع كثير من ممتلكاتهم ومصادر دخلهم اتجهوا إلى قبرص ورودس وأنشاؤا مراكز قيادية جديدة فى ليماسول

=البشرية. انظر: أبو الفداء: أخبار البشر، جـ٤، ص ١٥٢. راجع أيضا: حسين النحال: الحروب الصليبية أواخر العصور الوسطى ضد مصر وتونس ١٣٦٥-١٤٠٧م ، المنصورة ٢٠٠٣م ، ص ٤٨-٤٩.

(١) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص ٩٤٠.

(٢) محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، القاهرة ١٩٤٧م ، ص ٢٢٠.

(٣) **Edwards, W., *Notes on Europe History*, 3 vols. (London, 1964), Vol. 1, p. 262.**

(٤) الإسبتارية أو فرسان القديس يوحنا هى منظمة عسكرية دينية يرجع تاريخها إلى عام ١٠٤٨م أنشئت على يد القديس جيرار، الذى قام بتأسيس مستشفى فى بيت المقدس من أجل إيواء الحجاج اللاتين واعترف البابا بسكال الثانى بهذه الفرقة فى عام ١١١٣م وانقسموا إلى ثلاث فئات هم الفرسان والأطباء والقساوسة وكان لها دورها العسكرى فى خدمة الحركة الصليبية . لمزيد من التفاصيل أنظر: يوشع براور: عالم الصليبيين ، ترجمة قاسم عبده قاسم ومحمد خلفة حسن ، القاهرة ١٩٨١ ، ص١٨٨ – ١٨٩؛ نبيلة مقامى: فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين ١٢ ، ١٣م ، القاهرة ١٩٩٤م ، ص١٣ – ١٥. راجع أيضاً:

Luttrel, A., *The Hospitallers in Cyprus after 1291* (London, 1978), P.161; Edbury, P., *The Kingdom of Cyprus and Crusades, 1191 – 1374* (Cambridge, 1991), P.111.

وأخذوا فى إصلاح الضعف الذى أصابهم[١]. أما فرسان الداوية[٢] فاتجهوا إلى العمل فى التجارة ، وحققوا منها مكاسب طائلة مما أدى إلى غضب الملك الفرنسى فيليب الرابع ١٢٨٥ – ١٣١٤ Philip IV[٣] عليهم فصادر أموالهم وحل هيئتهم وأحرق عدداً كبيراً منهم ، مما جعلهم يقبلون على اعتناق بعض المذاهب الهرطقية وانشغلوا عن قضية استرجاع الأراضى المقدسة.[٤] أما فرسان التيوتون[٥] فقد نقلوا مقرهم إلى البندقية ثم تحولوا إلى مارينبورج فى بروسيا عام ١٣٠٩م، واتجهوا إلى قتال الألمان وإيقاف الزحف العثمانى نحو القارة الأوروبية .[١]

---

(١) Edwards, *Notes on Europe history,* vol.1, p. 263.

(٢) فرسان الدواية [فرسان المعبد] من أصل فرنسى قام بتكوينها تسعة من السادة الفرنسيين برئاسة هيو دى باينزا وجود فرى دى سانت أومر وأوضحوا أن هدفهم هو حماية الحجاج المسيحيين فى بيت المقدس ومحاربة الأعداء ، وأعطاهم بلدوين الثانى فى عام١١٣١م منزلاً يقيمون فيه بجوار معبد سليمان وتطورت هذه الجماعة ولعبت دور بارزا فى الحروب الصليبية وأصبحت من الأعمدة الأساسية للدفاع عن بيت المقدس وقد ارتبطت نشأة جماعة فرسان الداوية بتأمين طرق الحجاج المسيحيين رعايا الصليبيين من غارات المسلمين و اعترف بها البابا إنوسنت الثانى (١١٣٠-١١٤٣م) و فى عام ١١٣٩م ومع بداية القرن الثالث عشر الميلادى اصبح للداوية مراكز عديدة فى الغرب الأوروبى . انظر: مؤلف مجهول: تتمة كتاب وليم الصورى المنسوب خطأ لروثلان ١٢٢٩-١٢٦١م ، ترجمة أسامة زيد ، طنطا ٢٠٠١م ، ص ٧٣. راجع أيضاً :نبيلة مقامى فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام، ص ١٦-١٨. راجع أيضاً:
Christiansen, E., *The Northern Crusades the Baltic and the Catholic Frontier 1100-1525* (Minneapolis, 1980), p. 73.

(٣) فيليب الرابع: ابن الملك فيليب الثالث والملكة إيزابيلا ملكة آراجون ولد فى عام ١٢٣٥م وسمى بالجميل أو الوسيم La Bel بسبب هيئته الحسنة، و تولى الحكم فى مارس ١٢٨٥م. وهو من سلالة ال كابيه وتزوج من الملكة جوان ملكة نافار Jeanne of Navarre وتوفى فى ٢٩/١١/١٣١٤م. انظر:
Johnstone, H., France the last Captain ,*CMH*(1968), vol.8,p.309.
WWW. Answer-com/topic/Philip–IV–of– France [accessed- 12-10-2005].

(٤) Lodge, R., *The close of the Middle Ages* (London, 1922), P.56.

(٥) ترجع نشأة جماعة الفرسان التيوتون أوفرسان القديسة ماريا الألمان إلى عام ١١١٨م ، حينما قام أحد الألمان وزوجته بإنشاء كنيسة ومستشفى صغير ومضيفة لاستقبال الحجاج الألمان فى عهد الملك بلدوين الثالث . حصل الألمان فى البداية على دعم جماعة فرسان الإسبتارية وربما=

أما صقلية فكانت تابعة للتاج الأراجونى ولكن حكامها رفعوا عصا العصيان ضد الحكومة الشرعية بالإضافة إلى ذلك كانت صقلية تعانى من تدهور فى أحوالها الاقتصادية وحاول أمراؤها إجراء بعض الإصلاحات ولكن هذه الإصلاحات أصابها الفشل نتيجة لكثرة الحروب والضرائب الباهظة.[٢]

أما قبرص فكانت من أهم جزر البحر المتوسط واعتبرت من أهم القواعد العسكرية التى اتخذها الصليبيون مركزاً للانطلاق منها ضد الشرق الإسلامى ، فأصبحت بعد سقوط عكا ١٢٩١م/٦٩٠هـ أكبر مأوى وملجأ للصليبيين الهاربين من بلاد الشام الذين أخذوا ينزحون إلى الجزيرة فرادى و جماعات ومعهم عائلاتهم وثرواتهم ، كما أوى إليها أفراد الطوائف العسكرية المشردة من بلاد الشام[٣]. وأتبع ذلك محاولة عسكرية من جانب هنرى الثانى ملك

=حدث اندماج بين الجماعتين حتى أعلن البابا سلستين الثانى (١١٤٣-١١٤٤م) استقلال التيوتون . وكان مكان هذه المؤسسة الألمانية فى الجنوب الشرقى من القدس على الطريق المؤدى من البوابة الجنوبية الغربية للمدينة إلى ساحة مسجد عمر بن الخطاب بجوار الحى الأرمينى وأطلق عليها أسم منزل الألمان (Domus Alemannorum) واشتهرت الجماعة بنشاطها فى الحملة الصليبية الثالثة أثناء حصار الفرنج لعكا فى عام ١١٨٩م . وحصل كل من فردريك السوابى وأخوة هنرى السادس على اعتراف البابا كليمنت الثالث بالجماعة (١١٨٧-١١٩١) م ثم البابا سلستين الثالث (١١٩١م-١١٩٨م) واعترف بها البابا أنوسنت الثالث فى فبراير ١١٩٩م كجماعة عسكرية مقاتلة وتطورت فى بداية القرن الثالث عشر الميلادى /السابع الهجرى وكان أول مقدم لها هو هرمان سالزا (Herman Von Salza) ولم يكن تطورها وغناها مثل ما كان للداوية والإسبتارية، ولم يلعب التيوتون دورا هاما فى سياسة الشرق اللاتينى لعدم تدخلهم فى السياسات الصليبية والمؤامرات التى انتشرت بين الفرنج . لمزيد من التفاصيل انظر: حسن عبد الوهاب: تاريخ جماعة الفرسان التيوتون فى الأراضى المقدسة حوالى ١١٩٠-١٢٩١م/٥٨٦-٦٩٠هـ ، الإسكندرية ١٩٨٩م ، ص ٦٢-٦٤؛ حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية، ص ٢٨٨-٢٨٩. راجع أيضاً:

Prawer: J., *The Latin Kingdom of Jerusalem, European colonialism in the Middle Ages* (London, 1972), P.271.

(١) Edwards, *Notes on Europe history*, vol. 1., P. 262.

(٢) Larner, J., *Italy in the Age of Dante and Petrarch, 1216-1380* (London, 1983), pp. 45-47.

(٣) سعيد عاشور: قبرص والحروب الصليبية ، القاهرة ٢٠٠٢ م ، ص ٥٢-٥٣ ؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، جـ٣، ص٣٧٥.

قبرص Henry II حيث أرسل فى عام ١٢٩٢م/٦٩٢هـ خمس عشرة سفينة تساندها عشر سفن من قبل البابوية فأغارت على الإسكندرية إلا أنها كانت محاولة فاشلة أدت إلى غضب السلطان الأشرف خليل وعزمه على فتح قبرص ، ولكنه قتل فى ديسمبر ١٢٩٣م/٦٩٣هـ فلم يتمكن من تنفيذ ذلك(١).

أما على الجانب الاقتصادى فقد غدت قبرص المركز الرئيسى للجاليات التجارية التابعة للبندقية وجنوة وبيزا ومرسيليا وبرشلونة ، وأصبحت الموانى القبرصية مثل فاموجوستا وليماسول محطات تجارية للجاليات التجارية التى كانت تخشى الذهاب مباشرة إلى شواطئ الدولة المملوكية(٢).

ويتضح مما سبق أن القوى الأوروبية بعد سقوط عكا لم تكن مهيأة للقيام بأى رد فعل عملى لاسترداد الأراضى المقدسة حيث كان لكل دولة من دول الغرب الأوروبى ظروفها الخاصة وانشغلوا جميعاً بمشاكل وصراعات داخلية وخارجية ، وأهملوا الهدف الأساسى وهو استرداد الأراضى المقدسة واقتصرت جهودهم فقط على إجراءات وجهود نظرية مما أدى إلى ظهورهم بمظهر السلبية واللامبالاة بعد كارثة سقوط عكا فى عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ .

وإذا كان لسقوط عكا آثاره على الغرب الأوروبى فكان لسقوطها أيضاً آثاره على البابوية التى كانت بمثابة المحرك الأساسى للحروب الصليبية منذ بدايتها على الرغم من الظروف الصعبة التى تعرضت لها البابوية فى هذه الفترة.(٣) وقد أدركت البابوية منذ

---

(١) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، جـ٣، ص ٧٣٥.

-تم قتل السلطان الأشرف خليل ابن قلاوون عن طريق مؤامرة دبرت من جانب بيدرا نائب السلطنة فى مصر ومعه جماعة من الأمراء منهم الأمير لاجين المنصورى فى محرم ٦٩٣ هـ/ ديسمبر ١٢٩٣م. لمزيد من التفاصيل انظر:

بيبرس الداودار: زبدة الفكر فى تاريخ الهجرة ، تحقيق زبيدة عطا ،القاهرة ٢٠٠١ م، ص ٣١٢-٣١٣.

(٢) Edbury, P. The kingdom *of Cyprus and Crusades, 1191-1374 (Cambridge, 1991),* p. 111.

(٣) تعرضت البابوية فى هذه الفترة لمحنة الأسر البابلى ١٣٠٥ – ١٣٧٧م حيث كانت البابوية مقيمة فى أفينون بحكم التبعية للملكية الفرنسية التى كانت تربطها علاقة طيبة بالبابوية وما لبثت أن تغيرت عندما تولى فيليب الرابع عرش فرنسا حيث أمر بالقبض على أحد رجال البابا وهو أسقف مدينة باميه بتهمة التحريض على الثورة ضده فرأى البابا بونيفاس الثامن أن ذلك=

هجوم =هجوماً سافراً على قداسة رجال الدين فقام البابا بونيفاس بإصدار مرسوم بابوى فى عام

نهاية القرن الثالث عشر الميلادى نهاية القرن السابع الهجرى أن دولة المماليك فى مصر والشام أصبحت فى أوج قوتها وعظمتها بفضل سيطرتها على طرق التجارة عبر مصر والبحر الأحمر مما مكنها من تكوين قوة عسكرية ضخمة وأصبح من الصعب القضاء عليها مما جعل البابوية تفكر فى وسيلة جديدة لإضعاف دولة المماليك فى مصر وبلاد الشام فقررت أن تلجأ إلى أسلوب الحصار الاقتصادى أولاً تمهيدا لاستخدام القوة العسكرية بعد ذلك.(١)

فعندما وصل إلى البابا نيقولا الرابع (١٢٨٨-١٢٩٢م) Nicholas Iv أخبار استرداد المسلمون عكا وقع الخبر عليه كالصاعقة فأصدر مرسومين الأول فى الثالث عشر من أغسطس ١٢٩١م /٦٩٠هـ ويسمى Bull Dirum amaritudinis والثانى فى الثامن عشر ذات الشهر ويسمى Dura nimis وتضمن كلا المرسومين دعوة إلى عقد المجامع المحلية للتداول فى أمر هذه الكارثة وتقديم أفضل الحلول

=هجوماً سافراً على قداسة رجال الدين فقام البابا بونيفاس بإصدار مرسوم بابوى فى عام ١٣٠١م ألغى فيه كافة الامتيازات التى منحها لملك فرنسا. لمزيد من التفاصيل انظر: وفاء بنت عبد الله المزروع: انشقاق البابوية فى العصور الوسطى وأثره على الأوضاع السياسية، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد الحادى والثلاثين ٢٠٠٢م، ص٤٧١-٤٧٢. راجع أيضاً:
Orton, C., *History of Europe 1198-1378* (London, 1965), pp. 233-240.

(١) **Ashtor, E., *Levant trade in the Later middle ages* (NewYork, 1983), p.17.**
-أما عن الحصار الاقتصادى فترجع فكرته إلى أيام الإمبراطور يوحنا تزيمسكس ٩٦٩-٩٧٦م عندما أرسل فى يوليو ٩٧١م وفد إلى البندقية للاحتجاج على التجارة التى تقوم بها سفن البندقية مع المسلمين وهدد الوفد بحرق هذه السفن وما عليها من بضائع فاضطر البنادقة إلى عدم بيع السلع المحظورة إلى المسلمين . وهناك أيضاً هيثوم الأول ملك أرمينيا الصغرى عندما أصدر فى عام ١٢٦٠م أوامر مشددة تقضى بمنع قيليقية عاصمة مملكة أرمينيا من الاتجار مع المماليك وعدم تزويد سفنهم باحتياجاتهم من البضائع. لمزيد من التفاصيل انظر:
Mas Latrie, *Historie de L'ile de chypre sous le regne des princes de la* maison *de Lusignan*, vol.1, P. 412.
راجع أيضاً: سعيد عاشور: الحصار الاقتصادى على مصر زمن الحروب الصليبية، بحث منشور فى كتاب دراسات وبحوث فى تاريخ العصور الوسطى، بيروت ١٩٧٧م، ص ١٥٣-١٥٤؛ عمر كمال توفيق: مقدمات العدوان الصليبى الإمبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية ٩٦٩-٩٧٦م ، الإسكندرية ١٩٦٦م ، ص ٢١-٢٢.

لاستعادة الأراضى المقدسة وكان على رأس جدول أعمال هذه المجامع مسألة ضرورة اتحاد الطوائف العسكرية الدينية بدلاً من التنافس والتنازع بينهم الذى كان من أكبر الأسباب التى أدت إلى سقوط الأراضى المقدسة.(١)

وفى يوم ٢٣ أغسطس ١٢٩١م /٦٩٠هـ أصدر البابا نيقولا الرابع قرار حرمان منع بموجبه تصدير الأسلحة والأخشاب والمؤن وأية مواد حربية وبضائع إلى المماليك أو إلى أى أقاليم تابعة للسلطان المملوكى فى مصر وبلاد الشام . وكان هذا النداء موجه على وجه الخصوص إلى البنادقة والجنويين، بسبب مصالحهم التجارية مع المماليك(٢) وفى نفس الوقت دعا البابا نيقولا الرابع إلى قيام حملة صليبية لاستعادة الأراضى المقدسة، وأرسل المبعوثين إلى مختلف ملوك دول الغرب الأوروبى مثل إنجلترا وفرنسا وصقلية والمجر وأراجون وإلى البنادقة والجنويين من أجل الإعداد للحملة المنتظرة، ولكن ضاعت جهوده هباء ولم يستجب له أحد لانشغال كل منهم بمشاكله الخاصة.(٣)

وخصص أيضاً البابا نيقولا الرابع جزء من جهوده إلى إرسال البعثات التبشيرية فى شتى الأنحاء فأرسل الراهب يوحنا مونت كورفينو John of Monte Corvino(٤) إلى كيختو خان مغول فارس (١٢٩١-١٢٩٥م) ليدعوه إلى اعتناق المسيحية(٥) وأرسل أيضاً وليم آدم Guillaume Adam(٦) للتبشير فى عدن وفارس

---

(١) *Regista. Nicholas IV*, P. 901.

(٢) *Regeita. Nicholas VI*, p.906. CF. also, Schein, *The west and the crusade*, p.29.

(٣) Schein, *The west and the crusade,* p. 31.

(٤) يوحنا مونت كورفينو أحد الرهبان الفرنسيسكان ولد فى عام ١٢٤٧م ، وفى عام ١٢٧٢م كلف من الإمبراطور البيزنطى ميخائيل باليولوجس الثامن بالتفاوض مع البابا جريجورى العاشر بشأن توحيد الكنيسة الشرقية والغربية ، وكان على علاقة بالبابا نيقولا الرابع حيث أرسله فى بعثات تبشيرية إلى مختلف البلاد الشرقية وبعض بلاد أسيا مثل الصين والهند وتوفى فى عام ١٣٢٨م. انظر: WWW. The Indian Catholic. Com [accessed – 24-10-2005].

(٥) Rayan , *International of the oriental mission and crusade* , p. 55.

(٦) وليم أدم: هو أحد الرهبان الدومينيكان ولد فى عام ١٢٧٥م فى لانجدوك Languedoc جنوب شرق فرنسا ودرس علم اللاهوت فى عام ١٣٠٢م، وعين مساعداً لأسقف السلطنة الجديدة لمغول فارس الواقعة جنوب شرق تبريز فى عام ١٣١٨م وأصبح أسقفا لها فى عام ١٣٢٢م=

ومنها إلى شرق إفريقيا والحبشة .[١]وضاعت كل هذه المجهودات بوفاة البابا نيقولا الرابع فى عام ١٢٩٢م/٦٩١هـ. وظل من بعده كرسى البابوية شاغراً لمدة سنتين حتى تولى سلستين الخامس Celestin V فى أغسطس عام ١٢٩٤م.[٢] ولكنه لم يستمر طويلاً ولم يوجه جهوده نحو قضية الأراضى المقدسة، حيث كان خلال الخمسة أشهر التى جلس فيها على كرسى البابوية مجرد دمية فى يد شارل الثانى كونت أنجو.[٣]

وقد خلف البابا سلستين الخامس فى نفس العام البابا بونيفاس الثامن. Boniface VIII ١٢٩٤-١٣٠٣م الذى لم تختلف سياسته عن سابقيه فقام بتجديد قرارات منع تصدير البضائع إلى المماليك فى مصر وبلاد الشام .[٤] حيث أصدر مرسوماً فى عام ١٢٩٩م حرم بمقتضاه نقل القمح والزيوت والنبيذ والقار إلى سلطنة المماليك، ثم أصدر عدد من المراسيم البابوية ما بين سنتى ١٣٠١ و ١٣٠٣م اعتبرت جميع البضائع والسلع التى يأتى بها التجار الأوروبيون من الإسكندرية تدخل أيضاً فى إطار التحريم.[٥] وفى نفس الوقت دعا البابا بونيفاس أيضاً إلى توحيد القوى الأوربية والقيام بحرب صليبية لاستعادة الأراضى المقدسة وفرض حصار اقتصادى على مصر. [٦]

=ثم انتقل إلى أسقفية انتيفارى Antivari على ساحل دالماشيا وتوفى فى عام ١٣٤١. لمزيد من التفاصيل انظر: محمود سعيد عمران: وليم آدم واستعادة الأراضى المقدسة، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ١٩٩٦م ، ص٣٦٧-٣٦٨.

(١) فايد حماد عاشور: الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين والمغول فى العصر المملوكى، بيروت ١٩٩٥م ، ص٢٢٢.

(٢) Rayan, *International of the oriental mission and crusade,* pp.55-56

- سلستين الخامس اسمه الحقيقى بيتر مورنو Peter of Morno ولد فى عام ١٢٠٩م حكم فترة بسيطة تقدر بخمسة أشهر فقط وتنازل عن العرش فى ١٣ ديسمبر-١٢٩٤م وتفرغ للتنسك والعبادة. انظر: Schein, *The west and the crusade,* p. 116.

(٣) Rayan, *International of the oriental and crusade,* p. 118.

(٤) هايد: تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ٣ أجزاء ، ترجمة أحمد رضا، القاهرة ١٩٩٠م، جـ٢، ص ٢٥٥؛ سعيد عاشور: الحصار الاقتصادى، ص ١٥٥.

(٥) *Regista Boniface VIII,* T. 1, P. 924.

-جاء قرار البابا كالآتى " وللذكرى الخالدة ورغبة منا فى دعم قضية الأرض المقدسة رأينا أن نمنع حمل الزيوت والنبيذ والقار والقمح وما شابه ذلك من سلع إلى مناطق المسلمين ورأينا أن يعاقب بالحرمان من يخالف ذلك".

(٦) *Regista Boniface VIII,* T. 1, P. 926.

و جاء من بعده البابا بندكت الحادى عشر Benedict XI[(١)] ١٣٠٣ – ١٣٠٤م الذى سار على نفس النهج فى الحظر البابوى على الإتجار مع سلطنة المماليك فى مصر وبلاد الشام، وقد دعا إلى استرداد الأراضى المقدسة وأرسل رسله فى هذا الشأن إلى ملوك غربا أوروبا مثل ملك فرنسا فيليب الرابع وفردريك الثالث ملك صقلية الذى قام باستئذان البابا بندكت لكى يقوم بهذا المشروع فأرسل إلى بيزنطة أسطولاً مكوناً من عشر سفن حربية تحت قيادة أخيه سانشو الرابع (١٢٨٤-١٢٩٥) ليتخذ من أراضى بيزنطة قاعدة أساسية لغزو مصر، وتنفيذ الحصار الاقتصادى عليها.[(٢)] ويرى الباحث أن فردريك الثالث ملك صقلية كان يهدف من وراء ذلك إلى مصلحة مملكته فقط وليس من أجل وجود الأراضى المقدسة فى أيدى الصليبيين . فهو فى المقام الأول يريد الاستيلاء على بيزنطة فقد اتخذ من الظروف المحيطة به حجة يستند عليها لتحقيق أهدافه .

وعندما توفى البابا بندكت الحادى عشر خلفه على كرسى البابوية البابا كليمنت الخامس[(٣)] Clement V ١٣٠٥-١٣١٤م الذى سار على نفس النهج فيما يخص منع التجارة مع المماليك ولم يكتف بذلك وإنما أصدر فى عام ١٣٠٦م قراراً حرم فيه مجرد الإبحار إلى سلطنة المماليك وتحريم أى شكل من أشكال التعامل التجارى معها .[(٤)] كما

---

(١) بندكت الحادى عشر ولد فى عام ١٢٤٠م فى مدينة تريفينسو بإيطاليا وانتخب فى ٢٢ – أكتوبر – ١٣٠٣م ويعرف باسم Niccolo Bocassini di Frevis أسقف أوستيا وتوفى فى أبريل ١٣٠٤م فى مدينة بيروجيا Peruguia الإيطالية انظر:

Martin gres chat et Dio guerriero, *Ilgrand Libro del papl* (Sanpaolo, 2002), Vol., Primo, p. 343; WWW. Catholic forum, Com. [accessed-13-8-2005].

(٢) Schein, *The west and the crusade*, p. 116.

(٣) كليمنت الخامس اسمه الحقيقى برتراند دى جوت Bertrand de got ولد فى عام ١٢٦٤م درس الآداب فى تولوز ثم درس القانون فى بولونيا ورأس أسقفية بوردو وانتخب للبابوية فى الخامس من يونيو ١٣٠٥ م ونصب فى ليون واتخذ اسم كليمنت الخامس فى الثالث والعشرين من نفس العام ونقل مقر البابوية إلى أفينون توفى فى ٢٠-٤-١٣١٤م . لمزيد من التفاصيل انظر:

Vacant, *DTC,* p.996; Mollat, G., *Les papes d'avignon 1305-1378* (Paris, 1982), p.28.

(٤) Thacher, O., *A source book for mediaeval history* (Newyork, 1905), p.242.

شهد عصر البابا كليمنت الخامس العديد من الاقتراحات لمشاريع صليبية ومفاوضات مع ملك فرنسا فيليب الرابع للقيام بحملة صليبية ضد المماليك وفق ما سيتضح فيما بعد .

ونظراً لأن البابوية كانت حريصة على تنفيذ قرارات حظر تجـــارة دول الغـــرب الأوروبى مع المماليك فى مصر وبلاد الشام ، فقد فرضت عقوبات الحرمان الكنسى على المخالفين والممتنعين عن تنفيذ هذه القرارات بالإضافة إلى الغرامة المالية ولعـــل ذلـــك يتضح فيما جاء فى مرسوم البابا نيقولا الرابع فى عام ١٢٩١م"لا يحل من الحرمان مـــا لم يقدم مبلغاً مساوياً لقيمة السلع التى سمح بنقلها من موانيه"[١]. وزيادة فـــى التشـــدد منعت البابوية التجار الأوربيين من الذهاب إلى موانى سلطنة المماليك وأجبرتهم علـــى تحويل التجارة الأوروبية ناحية موانى قبرص وأرمينيا الصغرى ، للحصول على بضـــائع بلاد الشرق ، مما كان من شأنه أن يحرم سلطنة المماليك من تجارتها المزدهرة[٢]. ولم تكتف البابوية بذلك ، بل قامت بتوفير قوات محليـــة مهمتـــها مراقبـــة موانـــى الـــدول الأوروبية لتتعرف على خط سير البحارة وأصحاب السفن والسلع التى ينقلونها . فـــإذا ثبت توجه هذه السفن إلى موانى المماليك يتم التحفظ عليها بما فيها من بضائع ولكـــن كثيراً ما كانت تنجح هذه السفن فى خداع هذه القوات حسب مصالحها[٣]. وهكذا اعتبرت البابوية أن كل من يقوم بالاتجار مع سلطنة المماليك ، أو يمد لها العون والدعم بما فـــى ذلك استخدام الموانى من أجل التجارة يعد منتهكا للحظر البابوى، وأطلق علـــى هـــؤلاء التجار اسم السكندريون[٤]. و حرصت البابوية على إدراج قرارات تحريم التجـــارة مـــع سلطنة المماليك ضمن قوانينها المدنية لضمان الالتزام بها ، وحرصت أيضاً على نشـــر العديد من المراسيم التى تحرم التجارة مع سلطنة المماليك بين الناس عن طريق تعليقها

---

(١) *Regista. Nicholas VI*, P.902.

(٢) سعيد عاشور: سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى ، بحث منشور فى كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى، بيروت ١٩٧٧م ، ص٢٤٧-٢٤٨.

(٣) Odena,T., De Alexandrinis El comercio prohibido con los muslmanesyel papade de Avinon durante La primera mitad del siglo XIV, *AEM*, vol. 10 (1980), P.253.

(٤) السكندريون هو مصطلح ورد فى سجلات البابوية وبعض المدن التجارية الأوروبية وأطلق علـــى التجار الذين أبحروا بسلعهم إلى سلطنة المماليك، أو أرسلوها عبر تجار آخرون ، وكذلك علـــى الأفراد الذين قدموا لهم العون مثل الخدم والكتاب والممولين الذين أمدوهم بالأموال أنظر:
Odena, *De Alexandrinis*, pp. 240-242.

على أبواب الكنائس و مداخلها فى أيام الأعياد والاحاد .[٢] ورغم ما اتخذته البابوية من إجراءات، إلا أن هناك بعض القوى عارضت قرارات البابوية وخاصة المدن التجارية الإيطالية حيث كانت مصالحها تدفعها إلى مواصلة التجارة مع المماليك[١].

فكانت مدينة جنوة من أكثر المدن التى خالفت قرارات الحظر البابوية، رغم إنها استجابت لقرارات البابوية فى البداية ولكنها ما لبثت أن تخلت عن هذه السياسة عندما بدأت فى تعويض التجار أياً كانت جنسياتهم أو دياناتهم الذين تعرضوا للقرصنة على أيدى الجنوية بشرط ألا تكون حكوماتهم فى حرب مع جنوة ، الأمر الذى شجع على ظهور كثير من المخالفين للحظر البابوى فى مدينة جنوة[٢]. أما البنادقة فكان شعارهم "فلنكن بنادقة أولاً ثم مسيحيين ثانياً" Siamo Veniziani et pois Christiani ولذلك كانت مصلحتهم فى الإتجار مع المماليك فحاولوا بشتى الطرق استرضاء البابوية لإقناعها بشرعية التجارة مع المماليك ولطمأنة البابوية أصدر السناتور البندقى مرسوماً فى ١٥ مايو ١٢٩٢م و٢٩ مايو ١٢٩٢م يحذر فيه من استئجار أية سفينة والإبحار بها إلى مصر وأيضاً عدم تزويد مصر بالرقيق[٣]. ولكن هذا ليس معناه انقطاع العلاقة بين البنادقة والمماليك ، ففى عام ١٣٠٢م أرسلت البندقية سفيرها جويدو دى كنالى Guido de Canali إلى السلطان الناصر محمد الذى حدد له الامتيازات التى سبق وأن منحها السلطان إلى البنادقة قبل ذلك، بشرط أن تقوم البندقية بتوريد السلع المحظورة إلى مصر. ورغم ما مارسته البابوية من ضغوط على البندقية لوقف التجارة مع المماليك إلا أن المؤشرات كانت تدل على استمرار العلاقة بين المماليك والبنادقة لفترات طويلة[٤].

---

(١) سمير الخادم: الشرق الإسلامى والغرب المسيحى عبر العلاقات بين المدن الإيطالية وشرق البحر المتوسط ، بيروت ١٩٨٨م، ص٤٣١-٤٣٦. راجع أيضاً:

Ashtor, *Levant trade,* P.27; Hadgson, A., *Venice in the thirteen and Fourteenth Centuries* (London, 1910), P.356-359.

(٢) Ashtor, *Levant trade,* P. 17

(٣) عفاف صبره: العلاقات بين الشرق والغرب وعلاقة البندقية بمصر فى الفترة ما بين ١١٠٠-١٤٠٠م، القاهرة ١٩٨٣م، ص١٠٠.

(٤) هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، جـ٢، ص ١٦٩-١٧٠؛ عفاف صبره: العلاقات بين الشرق والغرب ، ص١٠٣.

ومن المدن التى خالفت قرارات الحظر التجارى أيضاً مع المماليك مدن جنوب فرنسا وخاصة مدينة مرسيليا التى كشف سكانها المفاوضات بين الملك فيليب الجميل والبابا كليمنت الخامس من أجل القيام بحملة صليبية فقاموا بتحذير السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون ١٣٠٩-١٣٤٠م وتزويده بأدوات حربية ورقيق، مما دفع الملك فيليب إلى إصدار مرسوم فى ٢٨ أغسطس ١٣١٢م، جدد به الحظر واستنكر هذه الأعمال الخارجة[١].

وكانت مملكة أراجون أول من خالفت قرارات البابوية .[٢] كما كانت المدن التجارية الأوروبية أيضاً لديها من المصالح ما يدفعها إلى الامتناع عن تنفيذ قرارات البابوية فى وقف التجارة مع سلطنة المماليك ومواصلة الإتجار معها حيث كان رخاؤها الاقتصادى متوقفاً على التجارة فى السلع الشرقية، بالإضافة إلى الأرباح التى كانت تأتى بها صادرات الأسلحة الحربية إلى سلطنة المماليك مثل الحديد والأخشاب والرقيق، التى كان سلاطين المماليك يعملون على تشجيع التجار الأوروبيين على جلبها إليهم .[٣]

ويتضح مما سبق أن سياسة البابوية فى تحريم التجارة مع المماليك لم تكن ملزمة لكثير من المدن التى كانت تسير على أهوائها وعلى حسب ما تقتضيه مصالحها الخاصة ويرجع ذلك إلى قصور البابوية وعجزها عن متابعة تنفيذ قراراتها مما يؤكد على أن البابوية فقدت هيبتها ولم تعد مؤثرة فى سياسات معظم دول الغرب الأوروبى.

---

(١) هايد: تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، جـ٢، ص٢٦٤. راجع أيضاً
Housley, Pope Clement V and crusade of 1309-1311, *JMH*, Vol. 5 (1982), pp. 31- 32.

(٢) خالفت مملكة أراجون ذلك الحظر فقد ذكر القلقشندى أن الملك جيمس الثانى نتيجة لخلافه مع البابوية قام بعقد معاهدة تحالف مع السلطان الأشرف خليل فى ١٩ – صفر – ٦٩٢هـ/٢٨ – يناير – ١٢٩٢م تم بمقتضاها استمرار العلاقات التجارية بين الدولتين والسماح بحمل السلع الحربية إلى المماليك . انظر: القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، ١٤ جزء، القاهرة ١٩١٣م ، ج١٤ ، ص ٦٦-٦٩. راجع أيضاً: محمد النشار: علاقة مملكة قشتاله وأراجون بسلطنة المماليك [٦٥٨-٧٤١هـ / ١٢٦٠-١٣٤١م] ، القاهرة ١٩٩٧م ، ص٢١٥.

(٣) **Housley, *Avignon papacy and the crusade 1305-1378* (Oxford, 1986), P.213; Ashtor, *Levant trade,* P. 4.**

إذا كانت سياسة البابوية تهدف إلى فرض الحظر التجارى الشامل على سلطنة المماليك لإضعافها فقد جاء ذلك نتيجة لتوصيات بعض الدعاة الأوربيين التى وصلت إلى البابوية، حيث وضع الدعاة كتباً وكتبوا تقاريراً تناولوا فيها رؤيتهم فى كيفية الاستيلاء على الأراضى المقدسة مرة أخرى وتدمير الاقتصاد المملوكى. وقد وضع الدعاة نصب أعينهم على مشكلات الاقتصاد المملوكى المتعلقة بندرة السلع الحربية، والحاجة الشديدة إلى بعض السلع الغذائية، واعتمدوا على هذا الأساس فى وضع خطط محكمة عن الحرب الاقتصادية ضد المسلمين فى الشرق الأدنى، كان هدفها الأول إضعاف سلطنة المماليك ثم إتباعها بخطط حربية لتدميرها عسكرياً.

ويأتى فى مقدمة هذه التقارير المعاصرة للفترة الزمنية موضوع البحث التى أوصت بفرض حصار اقتصادى على الاتجار مع المماليك فى مصر تقرير فيدنزيو من بادوا Fidenzio of Padua وعنوانه "استرداد الأراضى المقدسة" وكتبه بناء على رغبة البابا جريجورى العاشر [(١)] Gregory X (١٢٧١-١٢٧٦م) أثناء انعقاد مجمع ليون Lyon [(٢)] فى عام ١٢٧٤م . وقد ارتكز تقرير فيدنزيو على أساس فرض حصار بحرى شامل على سواحل سلطنة المماليك ، وضرورة امتناع تجار أوروبا عن الإبحار إلى الموانى المملوكية فيصبح الصليبيون سادة البحر ، مما يقلل من تجمعات المسلمين فى

(١) جريجورى العاشر ولد فى بيكانزا فى عام ١٢١٠م اسمه الحقيقى تيدلدو فيسكونتى Tedaldo Visconti من أسرة متواضعة وكان رئيس أساقفة ليج Liege تولى الكرسى البابوى فى أول سبتمبر ١٢٧١م تحت اسم جريجورى العاشر وأطلق عليه لقب موقظ الحروب الصليبية توفى فى يناير ١٢٧٦ م ودفن فى أريزو Arezzo . انظر:

Hans Kuhner, *Encyclopedia of the papacy* (London, 1959), p. 949; *O.D.B*, vol. I, p. 878

(٢) مجمع ليون دعا إلى عقده البابا جريجورى العاشر Gregory X فى الفترة ما بين ٧ مايو إلى ١٧ يوليو ١٢٧٤ وكان هدفه توحيد كنيستى روما وبيزنطة وتحرير الأراضى المقدسة، وقد حضر هذا المجمع خمسمائة أسقف و سبعون من مقدمى الأديرة و قرابة ألف من رجال الدين الاكليروس . لمزيد من التفاصيل أنظر: هسى :العالم البيزنطى، ترجمة رأفت عبد الحميد ،القاهرة ١٩٩٧م ، ص١٨٤ ؛ آمال حامد: مجمع ليون ١٢٧٤م الثانى دراسة فى مشروع الوحدة بين كنيستى القسطنطينية وروما فى القرن الثالث عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة ، المنصورة ١٩٩٩م ، ص ٦٩. راجع أيضاً.

Geanakoplos, D. J., *Emperor Michael palaelogus and the west* (Harvard, 1959), pp. 277. 280.

الموانى المملوكية فيصبح الصليبيون سادة البحر ، مما يقلل من تجمعات المسلمين فى بــلاد الشام وقبرص ، وفى نفس الوقت يقوم الصليبيون باستخدام جيش برى مكون على الأقل مــن عشرين إلى ثلاثين ألف فارس للهجوم على سلطنة المماليك الأمر الذى سيمكن الصليبيين مـن الحصول على بعض المزايا .[١] و هناك أيضاً ثاديو من نـــابولى Thadeo of Naples كتب تقريرا إلى البابا نيقولا الرابع فى ديسمبر ١٢٩١م وأطلق عليه اسم "تاريخ خراب مدينــة عكا" "Historia de desolatione civitatis accon" وهو عبارة عــن تقريــر وجهه إلى الممالك المسيحية ، دعا فيه إلى استعادة الأراضى المقدسة ووصف فيـــه حصــار المسلمين الشديد لعكا بشكل أثار مشاعر الصليبيين وحثهم على استعادة الأراضى المقدســة، ونصح أمراء الغرب الأوروبى بالامتناع عن الخوض فى نزاعاتهم وتوحيد جيوشهم تحت قيادة قائد مقاتل مؤهل لاستعادة الأراضى المقدسة.[٢]

وقد احتوى التقرير على ثلاثة أقسام فى ست وستين صفحة وهو فى الدرجة الأولـــى عبارة عن عظات دينية ، وقد اعتمد فى الحصول على معلوماته فى المقام الأول على تقــارير التجار الإيطاليين التى من الممكن أن تفتقر إلى الصدق والأمانة و الدقة ، ولم يقدم ثـاديو أى

---

(١) Fidenzio, *Liber recuperationis*, P. 46.

أما عن المزايا التى سيحصل الصليبيون عليها تتمثل فى حرمان المماليك من المنتجات الضروريــة للحرب مثل الحديد والنحاس والزنك ويمنع أيضاً استيراد العبيد من البحر الأسود لتقويـــة جيــش المماليك ويحرم موانى المسلمين من أهميتها ويضع نهاية لسيطرتهم على تجارة البحر المتوســط وبالإضافة إلى ذلك سوف يتم تدمير صناعة الغزل والنسيج التى يعمل بها أكثر مــن ألــف عــامل وكساد صناعة السكر والكتان وتدمير الاقتصاد المملوكى عن طريق امتناع التجار الأوربيين عــن شراء التوابل وبالتالى كساد هذه السلع التى يمكن للأوربيين الحصول عليها من أماكن أخرى، ممـا يؤدى إلى تحول طريق التجارة البحرى للمماليك من البحر الأحمر ومصر إلـــى فـارس وأرمينيـا الصغرى. انظر: Fidenzio, *Liber recuperationis*, pp. 47-49.

(٢) Atiya, *The Crusade in the Later middle ages,* P. 36

– ثاديو من نابولى هو راهب كان شاهد عيان على سقوط عكا وأقام سنوات عديدة فـــى ســوريا وكتب تقريره فى ميسنا شمال شرق صقلية فى ديسمبر ١٢٩١ م وتاريخه الشخصى لا يعــرف عنه إلا القليل . انظر:

Atiya, *The Crusade in Fourteenth Century,* ed. Setton, Vol3, P.6.

خطة حربية لاستعادة الأراضى المقدسة وتتلخص أهمية كتاباته فى أنها كانت تعتـبر الدعـوة الأولى لقيام حملة صليبية جديدة بعد سقوط عكا .(١)

ويأتى بعد ذلك شارل الثانى كونت أنجـو Charle II Anjon الـذى اسـتجاب لنداءات البابا نيقولا الرابع وألف كتاباً اسمه النصائح Il Conseil وقد جاء عنوانه معـبراً عن الطلب الذى طلبه البابا منه فقدم تقريره معتمداً على فكرة أساسية وهى تغيير أسلوب قتال المسلمين بالسيف إلى محاربتهم اقتصادياً ولذلك دعا إلى حصار سـلطنة المماليك وتدمـير شواطئها وخاصة ميناء الإسكندرية .(٢) ورأى أن ذلك يستلزم خمسين سفينة حربية وخمسـين سفينة مثلها للإمداد والنقل وألف وخمسمائة رجل ، وقد اقترح شارل دمـج جميـع الفـرق العسكرية تحت قيادة واحدة متمثلة فى ابن ملك ومنتميا إلى سلالة ملكية لأنه سيصبح حاكمـا لبيت المقدس بعد ذلك. ورأى شارل أن تقوم هذه القوة بإعاقة حركة التجارة المملوكية وتشديد العقوبات على كل من يمد المماليك بما يحتاجوه من الأسلحة والرقيق والأخشاب(٣). وقد اختتم شارل نصائحه بالوسائل التى تمكن الصليبيين من الحفاظ على الأراضى المقدسة ، ومن هـذه الوسائل أن يكون هناك قائد موجود باستمرار فى الأراضى المقدسة، وأن يقوموا بحراسة كل الأقاليم والثروات التى أخذت من الأعداء وأن تمنح الامتيازات إلى البنادقة والبيازنة والجنويـة والقطلان(٤).

---

(١) Atiya, *The Crusade in the Later middle ages*, P. 36.

(٢) Housley, *The Avignon papcy*, P. 234

- شارل الثانى كونت أنجو ١٢٨٥-١٣٠٧م ابن شارل الأول أنجو وهو ملـك نـابولى وشـقيق زوجة فيليب الأول عمه الملك لويس التاسع . انظر: أحمد رشاد: السياسة الخارجية للإمبراطوريـة البيزنطية فى القسطنطينية من استعادة القسطنطينية عام ١٢٦١م حتى دخـول العثمـانيين عـام ١٤٥٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة ، حلوان ١٩٩٩م ، ص١٩٨-١٩٩.

(٣) Schein, *The west and the crusade*, p. 74.

(٤) Schein, *The west and the crusade*, pp. 75- 76

- أما عن القطلان هم جماعات من المرتزقة الأسبان عرفت فى الفترة المتـأخرة مـن العصـور الوسطى سكنوا إقليم قطالونيا Catalonia فى شمال شرق جزيرة أيبريا، الـذى يشـمل مـدن خيرونا وجاردونا وأرخل وأورنه وبرشلونه وقد أصبح هذا الإقليم جزء من مملكة أراجـون عـام ١١٣٧م، وكان زعيمهم يسمى روجر دى فلور Roger de flor وينتمى لأصـل ألمـانى رغـم وجود جماعات بينهم من أراجون ونافار وقد طرد روجر بعد ذلك لاختلاسه. لمزيد من التفـاصيل أنظر: محمد النشار: علاقة مملكة قشتالة وأراجون بسلطنة الممـاليك ، ص ٢٧-٢٨؛ ممـدوح=

أما بالنسبة للراهب ريكولدو مونت كروسى Ricoldo of Monto Croce فعندما وصلته أخبار استرداد المسلمين عكا أثناء وجوده فى بغداد لقيامه برحلاته التبشيرية فسرعان ما عكف على كتابة تقرير ووجهة إلى الله ، ومريم العذراء والبلاط البابوى وأطلق عليه اسم "Epistolae ad Ecclesiam triumphantem" وكان لرؤيته منظر الأسرى وهم يساقون من عكا فى موكب كبير، وعلمه بمقتل ثلاثين من رهبان الدومينيكان فى المدينة أثر كبير فيما جاء بكتاباته فى التقرير من ألفاظ ومعانى تحث على محاربة المسلمين بسلاح التبشير ونشر المسيحية بينهم للاستيلاء على الأراضى المقدسة(1). وأنهى الراهب ريكولدو تقريره بنداء إلى الله ليحفظ الصليبيين من أى أذى وأخذ يتساءل لماذا يضعف الله جهود الملوك أمثال لويس التاسع وغيرهم من الملوك والمبشرين والورعين فى مهامهم المقدسة(2). ويرى الباحث أن كتابات ريكولدو كانت مجرد نصائح دينية للمحاربين والملوك وافتقدت إلى أى جانب عسكرى أو اقتصادى يشير إلى استعادة الأراضى المقدسة أو أى خطة ولذلك فهى تشبه إلى حد كبير كتابات ثاديو.

ويأتى بعد ذلك داع آخر من دعاة الحروب الصليبية وهو جلفانو ليفانتى Galvano وضع كتابة "العبور المقدس للمسيحيين ضد المسلمين لاستعادة الأراضى المقدسة"

"Libre Sancti Passagi Christicolarum contra Saracenos pro recuperation Terrae Sanctae".

وقد وجهه إلى فيليب الجميل ملك فرنسا وعمل فيه على إحداث انسجام وتآلف بين أمراء الغرب فى اتخاذ سياسة موحدة لغزو بلاد الشرق، وقد احتوى الجزء الأول من تقريره

=هلول: الحياة السياسية وبعض مظاهر الحضارة فى إمارة المورة الصليبية فى عهد أسرة فيلهاردوان ١٢٠٥-١٣١١م، ص ٢٧٨، رسالة دكتوراه غير منشورة،طنطا ٢٠٠٠م، راجع أيضاً: O.D.B, Vol. 1, p. 389.

(1) Schein, *The west and the crusade*, pp. 94-95.

ريكولدو مونت كروسى: ولد فى عام ١٢٤٣م فى مدينة فلورنسا درس فى مدارس عديدة و اصبح راهبا من الدومينيكان فى عام ١٢٦٧م ، ودرس فى عديد من أديرة توسكانى وقام برحلات إلى الأراضى المقدسة فى الفترة ما بين ١٢٧٢-١٢٩٢ م ، و فى عام ١٢٨٢ م سافر فى مهمة تبشيرية إلى آسيا الغربية ، وبدا فى ترجمة القران الكريم عام ١٢٩٠ م . و لكن لا يعرف إذا كان قد أكمل ترجمته أم لا . انظر : Catholic encyclopedia . www. new advent .org .

(2) Schein, *The west and the crusade*, pp.97-99

على مناقشات حول طبيعة حكومات الأمراء، والجزء الثانى قصد به الكشف عن الإمكانيات المتوفرة للقيام بالحملة الصليبية وكتابات جلفانو لم تكن كتابات جغرافية ولا تاريخية ولا علمية وإنما عبارة عن عظات دينية واجتماعية لرجل ليس خبيراً بأحوال الشرق، وكانت خالية من كل اتجاه عملى وبذلك فهو يشبه كتابات تاديو وريكولد مونت كروسى(١).

ويأتى بعد ذلك مشروع بنتيو زكريا Benito Zaccharia المقدم إلى البابا كليمنت الخامس فى عام ١٣٠٧م الذى لم يكتب آراءه لأية اعتبارات سياسية وقد ذكر تفاصيل عن القوات المطلوبة لغزو الشرق ، فطلب بعض السفن من هنرى الثانى ملك قبرص لعلاقته الطيبة به ، وطلب من ملك فرنسا فيليب الرابع ثلاث عشرة سفينة لتبحر من نهر الرون وطلب نفقات أربعة اشهر من أجل الرجال الذين تم اختيارهم للعمل فى الشرق لشراء دروع واقية لهم ليتجنبوا الارتباك عندما تصدر لهم الأوامر لمحاربة المسلمين(٢).

و هناك أيضاً أحد أهم دعاة الحروب الصليبية فى القرن الرابع عشر الميلادى/القرن السابع الهجرى وهو رامون لل Ramon Lull الذى عاصر فترة ضعف الصليبيين وانهيار دولتهم فى بلاد الشام ، فوضع نفسه فى خدمة الحركة الصليبية وألف الكثير من الرسائل والتقارير التى عكست وجهة نظره الصليبية .(٣)

---

(١) جلفانو ليفانتى: طبيب جنوى، عمل بالبلاط البابوى من مدينة صغيرة وهى مدينة Levanto بالقرب من لاسبزيا La Spezia وكتب كتابه فى الفترة ما بين ١٢٩١-١٢٩٦م . وقد نشر تقريره كوهلر فى الأرشيف اللاتينى العدد السادس . انظر :

Schein, ***The west and the crusade*****, pp.121-122; Atiya,** ***The Crusade in the later middle ages*****, p. 71.**

(٢) **Atiya,** ***The Crusade in the Later Middle Ages,*** **P. 61**

– بنتيو زكريا: فهو بحار جنوى اكتسب خبرات بحرية من كثرة حروبه فى الشرق أصبح حاكماً على طرابلس وفى العقد الأول من القرن الرابع عشر كان أدميرال للأسطول الفرنسي و قد نادى فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى/أواخر القرن السابع الهجرى بإعداد حملة صليبية لاحتلال الأراضى المقدسة بالتحالف مع غازان مغول فارس(١٢٩٥-١٣٠٤م) ولكنه عدل عن الفكرة بعد مرض غازان وعودته إلى بلاده و توفى فى عام ١٣٣١م . انظر:

مصطفى الكنانى:العلاقة بين جنوة و الشرق الأدنى الإسلامى١١٧١-١٢٩١م/٥٦٧-٦٩٠،الإسكندرية ١٩٨١م، ص٣٩٧ . راجع أيضا:

Atiya, ***The Crusade in the Later Middle Ages*****, pp. 60-61.**

(٣) **Alison ,** ***Ramon lull biography,*** **p. 17.**

ومن أهم كتبه "كتاب النهاية" **Liber de fine** الذى انتهى من كتابته في عام ١٣٠٦م وتضمن مشروعه الصليبى أراءه ومقترحاته التى أخذها من خبراته في الأمور الصليبية ، وقد قسم رامون لل كتاب النهاية إلى مقدمة وثلاثة أقسام ، وناقش توسيع رقعة أراضيهم وأن يبذلوا قصارى جهدهم لتنصير غير المسيحيين وبين فى هذا القسم حججه ضد غير المسيحيين كالمسلمين واليهود وأكد ضرورة تأسيس مدارس للرهبان ليتعلموا فيها اللغات الشرقية لمساعدتهم فى مهمتهم ورأى ضرورة أن تسير القوى العسكرية جنباً إلى جنب مع الحركة التبشيرية .[١] وكان رامون لل يركز على الجانب التبشيرى للحملة ويرى إنها جزء أساسى ومكمل للعمليات الحربية وكان قد سبق وتقدم بالتماس إلى البابا سلستين الخامس في عام ١٢٩٤م يدعو فيه إلى تنصير التتار خوفاً من اعتناقهم الإسلام أو اليهودية وبذلك يكونوا مصدر خطر على الصليبيين .[٢] كما أنه قد سبق لرامون لل من قبل أن كتب رسالة إلى البابا نيقولا الرابع بعد سقوط عكا بفترة قليلة يدعوه فيها إلى تنصير المسلمين ومناصرة العمل العسكرى إلى جانب العمل التبشيرى ، واقترح أيضاً خروج حملة برية وبحرية إلى سواحل سلطنة المماليك بقصد تدمير قوى المسلمين التجارية فيساعد ذلك على ظهور تجار صليبيين قادرين على الحركة بحرية .[٣]

وهناك أيضاً بيرديبوا **Pierre Dubois** الذى وضع كتاباً بعنوان "استعادة الأراضى المقدسة" **De recuperation Terre Sancte** ويتكون من جزأين وجه الجزء الأول منه إلى الملك الإنجليزى إدوارد الأول **EDWARD I** (١٢٧٢-١٣٠٧م) وطلب فيه اقتراح قانون شرعى للأرض المقدسة وإصلاح نظام الكنيسة ونشر السلام ، أما الجزء الثانى من الكتاب فقد وجهه إلى فيليب الرابع ملك فرنسا يدعوه للمشاركة فى حملة صليبية إلى الشرق ويؤسس إمبراطورية فرنسية هناك يتولى حكمها أحد أبنائه .[٤] وقد خطط ديبوا في

---

(١) **Atiya,** ***Crusade, Commerce and Culture*** **(Bloomington, 1962), P. 96; Schein,** ***The west and the crusade*****, pp. 66-68.**

(٢) **Hillgarth,** ***Ramon Lull and Lullism in Fourteenth century*****, P.66, Atiya,** ***The Crusade in the Later middle ages*****, P. 76.**

(٣) **Schein,** ***The west and the crusade*****, PP. 71-76.**

(٤) **Leopold, A.,** ***How to Recover the holy Land. The crusade proposals of the late thirteen and early fourteenth centuries*** **(Burlington, 2000), pp.30-31.**

- بيرديبوا : فلا يعرف عن حياته إلا القليل حيث ولد فى نور منديا ما بين عام ١٢٥٠م وعام ١٢٦٠م وجاء إلى جامعة باريس واستمع إلى محاضرات توما الاكوينى واحترف مهنة=

كتابه أن يقضى على الصراع الإقطاعى والقضاء على جماعة الفرسان الداوية حيث أرجع سبب وقوع كارثة عكا إلى الخلافات التى كانت قائمة بين جماعات الرهبان العسكرية ، واقترح ديبوا أيضاً فرض ضريبة تركات على رجال الدين والسماح للقساوسة بالزواج وتحويل الأديرة إلى مدارس للبنات .[1] ويأتى بعد ذلك وليم نوجارت Guillaume de Nogaret الذى كتب مذكرة إلى البابا كليمنت الخامس فى عام ١٣١٠م بشأن توجيه حملة صليبية إلى الأراضى المقدسة وقد ركزت هذه المذكرة على فكرة التحالف مع التتار والتقرب من الإمبراطور البيزنطى للحصول على مساعداته وكذلك التفاوض مع المدن الإيطالية التجارية ، وكان وليم نوجارت تركيزه على الناحية الاستراتيجية ضئيلاً فى المذكرة التى قدمها إلى البابا فلم يحدد المؤن والأسلحة التى تحتاجها الحملة بالتفصيل ، فى الوقت الذى ركزت فيه على الجانب المالى للحملة حيث طالب بفرض ضريبة جديدة وتخصيص أموال وثروات جماعات الفرسان الداوية للحملة الصليبية المزعومة فضلاً عن أرباح الأديرة وأصر على أن تمنح الكنيسة الملك فيليب الرابع حق جمع الأموال اللازمة للحملة .[2] وبذلك جاءت كتابات وليم نوجارت ناقصة وغير مكتملة حيث ركز فيها على الجانب المالى فقط دون الناحية الاستراتيجية . وقد استغل فيليب هذه الأفكار فى جمع الأموال فقط لتحقيق مصالحه الخاصة على حساب البابوية .[3]

=المحاماة وكان ممثل للملك فيليب الرابع فى القضايا الكهنوتية وفى مجلس المدينة وكان ممثلاً لمدينة Coutances . لمزيد من التفاصيل انظر:

Brandt, W., Pierre Dubois Modern or Medieval, *AHR*, vol. 35 (1930), P.507.

(١) **Leopold, *How to Recover the holy Land,* P.32.**

(٢) **Fawtier, R., *Historie du moyen age L'Europe occidentale de 1270 a 1328* (Paris, 1940), T.6, pp. 404-405.**

– وليم نوجارت المستشار الخاص للملك فيليب الرابع له أصول تراثية من سلالة Longuedoc لانجدوك . كان والده أحد أفراد مدينة تولوز وأدين بالهرطقة، وتعلم القانون فى مدينة مونبيلية الفرنسية وعمل مدرسا بجامعتها فى عام ١٢٩١م. ثم اتجه لخدمة الملك فيليب الرابع وأصبح أحد أبرز أعضاء البلاط الملكى فى باريس ١٢٩٦م وتوفى فى روما عام ١٣١١م . انظر:

Delaville le Roulx, *Le France en orient au XIV siecle* (Paris, 1896), p. 34; Holzman, R., *Wilhelm Von Nogart,* (Freiburg, 1898) WWW-the-orb-net/encylop/

(٣) **Atiya, *The Crusade in the Later Middle Ages*, P. 59.**

ويأتى بعد ذلك الأمير هيثوم **Hethoum** الأرمينى الذى كتب كتابه "زهور من تاريخ بلاد الشرق" **"Flos Historiarum Terre Orientis"** الذى كتبه بناء على رغبة البابا كليمنت الخامس .[١] وأكد فيه على ضرورة فرض الحصار البحرى لسلطنة المماليك عن طريق أسطول مكون من عشر سفن حربية بها ألف فارس وثلاثة آلاف من المشاة واقترح هيثوم أيضاً ضرورة التحالف مع ايلخانات فارس ومسيحى الحبشة وأن تتخذ الحملة قبرص وأرمينيا ركيزة أساسية لقطع الطرق البحرية على سلطنة المماليك وأكد على أهمية الدور الكبير الذى تستطيع أن تلعبه أرمينيا .[٢]

وبعد ذلك جاء هنرى الثانى ملك قبرص وبيت المقدس ١٢٥٨-١٣٢٤م **Henry II Lusignan** الذى أرسل اثنين من مبعوثيه إلى البابا كليمنت الخامس ليعرض اقتراحه عن الحملة الصليبية .[٣] ونادى بضرورة فرض الحصار البحرى الصارم لمدة سنتين أو ثلاث على مصر وسوريا والمدن الساحلية الأخرى التابعة لسلطان مصر ويجب أن يجهز عدداً من السفن تختص بالقبض على السفن التى تخالف قرارات الحظر التجارى . ولضمان نجاح هذا الحصار يجب عدم مشاركة السفن التجارية الإيطالية بسبب عدم ولائها للصليبيين، واختتم هنرى تقريره بمعلومات عن قدرة مصر الحربية ومدى قوة السلطان وضعفه . [٤]

ويأتى بعد ذلك وليم ديورانت **William Durant** الذى كتب تقريراً بناءاً على طلب الملك فيليب الرابع وقدمه إلى مجمع فينا فى عام ١٣١١م وكان التقرير عبارة عن توصيات بشأن إعداد حملة صليبية ناجحة ، وكان يتكون من ست وعشرين توصية ، ودعا فى أول الأمر إلى ضرورة إحلال سلام وإنهاء النزاعات بين أمراء وبارونات الغرب الأوروبى قبل توجيه أى عمل عسكرى ضد بلاد الشرق الإسلامى .[٥] وقد أيد ديورانت قرارات البابوية

---

(١) **Hayton, *Flos*, P.220.**

(٢) **Atiya, *The Crusade in the Later Middle Ages*, pp. 58 – 59.**

(٣) **Atiya, *The Crusade in the Later middle ages*, p. 59.**

(٤) **Atiya, *The Crusade in the Later middle ages*, p. 60; Schein, *The west and the crusade, p. 200.***

(٥) **Atiya, , *The Crusade in the Later middle ages*, pp. 70-71.**

أما وليم ديورانت: فهو أسقف مندة الواقعة جنوب شرق فرنسا شارك فى استجواب الداوية فى عام ١٣٠٨م وزار مصر بعض بلاد الشرق وتوفى فى يوليو ١٣٣٠م . انظر:

Atiya , *The Crusade in the Later middle ages*, P. 70.

العمل العسكرى الحاسم . وأكد على ضرورة أن تتولى المدن الإيطالية للحصار البحرى ، وأن يشارك كل رجال الكنيسة بداية من البابا نفسه والأساقفة والرهبان والكرادلة فى الحملة علاوة على ذلك يقيموا فيما وراء البحار لمدة عام . ودعا إلى استخدام سلاح التبشير بين المسلمين والهراطقة شريطة أن يتزامن ذلك مع العمل العسكرى، ويمكن أن يقوم بهذا العمل المتطوعون من رجال الكنيسة وقد فضل وليم ديورانت استخدام الطريق البحرى من آسيا الصغرى إلى القسطنطينية ثم إلى سوريا .(١)

وبعد ذلك ويليام لومارى William La Mari أسقف Angers الذى كتب تقريره Subsidum Terre Sancte "انخساف الأرض المقدسة" وقدمه إلى مجمع فينا فى عام ١٣١١م وكان يعبر فيه عن وجهة نظره الشخصية وأشار فيه إلى أن وقت تحرير الأراضى المقدسة لم يحن بعد، وأن خروج الحملة الصليبية تحتاج تجهيزات تستغرق ما بين عشرة إلى عشرين عاماً ودعا إلى التبشير بالحملة بين جميع الصليبيين فى الغرب الأوروبى للمشاركة فيها، ومنح الامتيازات ودعا إلى الاعتماد على الضرائب ومخصصات جماعة الفرسان الداوية للقيام بالحملة ، ولم يحتوى التقرير على أى خطط حربية لاستعادة الأرض المقدسة واقتصر على ذكر بعض النصائح .(٢)

ولم تكن جماعة الفرسان الداوية بعيدة عن التفكير فى كتابة تقارير تحث فيها على ضرورة الإعداد لحملة صليبية ضد الشرق الإسلامى فجاء جيمس مولاى James of Molay مقدم هذه الجماعة وأعد تقريراً إلى البابا كليمنت الخامس فى عام ١٣٠٧م دعا فيه إلى خروج حملة صليبية للسيطرة على الأرضى المقدسة فى عشر سفن حربية على الأقل لفرض الحصار البحرى على الشواطئ المصرية الخاضعة لسلطنة المماليك كما دعا التقرير أيضاً إلى الاستيلاء على أى سفينة أوروبية تحمل البضائع المحرمة إلى المدن الإيطالية وإجبارها على وقف تجارتها بأى شكل من الأشكال مع المماليك .(٣)

---

(١) Schein, *The west and the crusade*, P. 252.

(٢) Schein, *The west and the crusade*, p. 252.

(٣) Housley, *Avignon papacy*, P. 25.

راجع أيضاً: هايد: تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، جـ٢، ص ٧٢٨.

- جيمس مولاى : لا يعرف عن تاريخه الكثير ولد ما بين عامى ١٢٤٣-١٢٤٤م فى إقليم فيترى الذى يقع فى حوض نهر الساؤن الأعلى وانضم إلى الداوية فى عام ١٢٦٥م فى Beaune فى أسقفية Autun وانتخب سيدا لها فى قبرص بعد سقوط عكا وقد وصل إلى بلاد الشرق فى=

وأخيراً أتى فولك أوف فيلاريه Fulk of Villaret الذى أعد تقريراً وقدمه إلى مجمع فينا فى عام ١٣١١م ناقش فيه أفضل الوسائل للقيام بحملة صليبية ناجحة ، ودعا إلى تقسيم الحملة إلى ثلاثة مراحل ، المرحلة الأولى تتزامن مع بداية التبشير الصليبى ويكتفى فيها بعشر سفن شراعية أو خمس وعشرين سفينة ويتكفل بتقديمها ملك قبرص بمشاركة جماعتى فرسان الداوية والاسبتارية ، والمرحلة الثانية يخصص لها ستون سفينة حربية للقيام بهجمات على سواحل مصر وبلاد الشام ويكون ذلك قبل الحملة الصليبية العامة بعام واحد لتمهد للحملة الأساسية وفى المرحلة الثالثة يبدأ الجيش الصليبى بالتحرك لإنزال الضربات الموجعة بسلطنة المماليك .(١)

ويتضح مما سبق أن مشاريع الحروب الصليبية التى تقدم بها العديد من الأفراد كانت نتيجة للكارثة التى تعرضت لها الحركة الصليبية فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى ، وقد شهدت تغيراً فى الفكر من مجرد اتباع استخدام القوة المسلحة إلى استخدام سلاح جديد ربما يكون أكثر فاعلية فى الصراع ضد المسلمين لاسترداد الأراضى المقدسة. خاصة بعد أن أدرك الغرب مدى قوة المماليك من الناحية العسكرية وفشل المحاولات الصليبية المتتالية فى دعم الكيان الصليبى فى الشرق الإسلامى الأمر الذى أدى إلى سقوط هذا الكيان فاهتمت غالبية المشاريع الصليبية بالجانب الاقتصادى كسلاح فعال ضد المسلمين إلى جانب الجدل والتنصير إلا أن هذا التطور فى استراتيجية الحرب الصليبية كان أكثر وضوحاً فى المشروع الذى قدمه مارينو سانودو إلى البابوية ، وهذا ما ستكشف عنه الفصول التالية .

=عام ١٢٧٥م بعد مجمع ليون وتزوج من فتاة تدعى ماريا وله ولد وفتاة وقد أسرهم المسلمون عام ١٣٠٢م وتمكن من إطلاق سراحهم بعد دفع ٤٥ ألف قطعة فضية وتوفى فى عام ١٣١٦م . انظر:

Barber, M., James of Molay. The Last grand master of templars, *Studia Monastica*, vol. 14 (1972), pp. 91-97; WWW.templar history,com.

(١) Atiya, *The Crusade in the Later middle ages*, P. 56.

- فولك فيلارت مقدم طائفة الاسبتارية رقم ٢٤ وعين رئيسا لها فى نوفمبر ١٣٠٥م وعزل فى عام ١٣١٩م وتوفى فى عام ١٣٢٧م ودفن فى مدينة مونبيليه الفرنسية. انظر:

WWW.Columbia, the free dictionary, com. (accessed-17-9-2005).

الفصل الثانى

مارينو سانودو ودوافع حملته والإعداد الروحى لها .

- نشأة مارينو سانودو.
- دوافع الحملة كما يراها مارينو سانودو .
- الدعاية الدينية للحملة.

أشرنا فى الفصل السابق إلى فكرة المشروعات الصليبية التى سبقت المشروع الــذى أكده مارينو سانودو موضوع هذه الدراسة، وقبل الخوض فى تفاصيل هذا المشروع الصليبى الذى قدمه مارينو سانودو للاستيلاء على الأراضى المقدسة من المسلمين، يرى الباحث أنــه من الأوفق أن نعرض بعض من جوانب شخصية هذا الرجل الصليبى المتحمس، ونشأته وفكره الصليبى.

مارينو سانودو تورسيللو Marino Sanudo Torsello هو إبن ماركو ســانودو Marko Sanudo[1] ولد مارينو سانودو كما يخبرنا فى كتابه فــى عــام ١٢٧٠م [2]. ومارينو سانودو من مواليد حى سانتو سفرو Santo Sevro فى مدينة ريفـالتو Rivalto، واشتهر بالعزف فى الكنائس على الآلة المسماة تورسيللو Torsello[3].

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص١٦.

– ماركو سانودو كان أحد وجهاء مدينة البندقية وابن عم دوج البندقية أنريكو داندولـو Enrico Dandolo، وكان لماركو سانودو الكلمة العليا فى انحراف الحملة الصليبية الرابعة عــن هدفــها الاستراتيجى وهو مصر إلى القسطنطينية وقد غزا ماركو جزر بحر إيجة، وأسر من قبل بــيزنطى نيقية. وقد تزوج ماركو من إحدى بنات الإمبراطور البيزنطى ثيودور الثانى لاســكاريس ١٢٥٤-١٢٥٨م. وقد تولى ماركو قضاء البندقية ثم أصبح عضوا فى مجلس الشيوخ البندقــى فــى عــام ١٢٨٦م، وقد اشتهر بفطنته وعزة نفسه. لمزيد من التفاصيل انظــر: مــارينو ســانودو: كتــاب الأسرار، ص ١٧-٤٣. راجع أيضاً:

Atiya, *The Crusade in the later middle ages*, p. 117.

(٢) اختلف المؤرخون الحديثون حول تاريخ ميلاد مارينو سانودو فحدد المؤرخ الألمانى كونســتمان Kunstmann أن تاريخ ولادة مارينو عام ١٢٦٠م بينما حدد المؤرخ الإيطالى ماجنوكافــالو Magnocavallo تاريخ ولادته فى عام ١٢٦٢م . لمزيد من التفاصيل انظر:

Kunstmann, (F.), *Studien uber Marino Sanudo*, p.669; Magnocavallo, A., *Marino Sanudo il Vecchio eil Suo progetto di crociata* (Bergamo, 1901), p. 20.

(٣) تورسيللو هى آلة موسيقية وقد أدخلها إلى البندقية أحد الألمان أما عن نوعيتها فــهى مجهولــة الشكل، وكانت تستخدم فى الكنائس وقد اشتهر مارينو سانودو بالعزف عليها وكان ماهرا فيــها وكانت هذه الآلة سبباً فى تسميته تورسيللو أو توركسيللو Torxello أو تورســيللى Torselli. لمزيد من التفاصيل انظر: مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٤٥.

وتعتبر أسرة مارينو سانودو من أقدم الأسر التى بلغت درجة كبيرة من الوجاهة والعلو فى البندقية، والتى لا يزال اسمها خالداً فيها حتى الآن[١].وقد رحلت الأسرة إلى جزيرة كريت التى اشترتها البندقية من البابا إنوسنت الثالثInnocent III فى عام ١٢٠٤م، وقد أصدرت البندقية قراراً يتيح لرعاياها الاحتفاظ بأية أراضى يمكن الاستيلاء عليها، فانتهز ماركو سانودو الفرصة و أخذ فرقة من جنوده واستولى على جزيرتي ناكسوس وباروس وهناك عاشت الأسرة[٢] وينتهى نسب مارينو سانودو إلى دوقات ناكسوس Naxos ويجرى فى عروقه الدماء اليونانية[٣].

وكان مارينو متوسط الطول ذا شعر كثيف ، لديه أربعة من الأخوة، وأخت تدعى مادِيلنا Madelna ، وقد تزوج مارينو مرتين بعد أن ظل عازبا مدة طويلة لاهتمامه بالإعداد لمشروعه الخاص للاستيلاء على الأراضى المقدسة مرة أخرى من أيدى المسلمين ، وأسفر زواجه فى المرة الأولى عن ولد واحد ، والثانى عن أربعة أولاد[٤].

---

(١) Kunstmann, *Studien uber Marino Sanudo*, p. 697.

راجع أيضا: أحمد دراج: أورشليم فى خارطة مارينو سانودو للعام ١٣٢١م ، بحث منشور ضمن كتاب بحوث مؤتمر مصادر تاريخ القدس ، القاهرة ١٩٩٨م ، ص ١٧٩.

(٢) Marino Sanuto, *Secrets for true crusade to help them to recover the holy land*, PPTS, Translated by, Stewart, vol. 11 (London, 1896), p.4.

-أنوسنت الثالث اسمه الحقيقى لوثير من ساجنى Lother of Segni ولد فى أناجنى فى عام ١١٦١م، تولى البابوية وهو فى السابعة والثلاثين من عمره، ورغم صغر سنه وافق مجلس الكرادلة عليه بالإجماع، وكان يتمتع بشخصية قوية وبلغت البابوية أوج قوتها فى عهده وهو صاحب الدعوة إلى الحملة الصليبية الرابعة، وسعى إلى تحقيق الوحدة بين كنيستى روما وبيزنطة وتولى البابوية فى الفترة من ١١٩٨-١٢١٦م. لمزيد من التفاصيل انظر:

O.D.B, vol. III, p. 996; Corbette, J., *The papacy, A brief history* (Newyork, 1959), p. 35.

-جزيرة ناكسوس هى إحدى جزر بحر إيجه ، وتشتهر بإنتاج الفواكه و زيت الزيتون ، و يرتبط ذكرها بديونسيس إله الخمر عند الإغريق، و احتلتها أثينا فى القرن الخامس الميلادى. انظر:

Moore,G., *The Penguin Encyclopedia of Places* (Middlesex,1971), P.509

(٣) Dorez and c. dela roi Ciere, lettres inedites et memoires de Marino Sanudo l'Ancien 1334-1337, *BEC*, Vol. 56 (1896), p. 22.

(٤) Kunstmann, *Studien uber Marino Sanudo*, pp. 699-70.

لمزيد من التفاصيل انظر: ملحق رقم (٣)

أما عن فترة شباب مارينو سانودو فقد اشتغل بالتجارة مثل باقى أفراد أسرته، وكان ينوب عن والده فى التجارة ، وقد ساعده ذلك على أن يقوم برحلات عديدة إلى بلاد الشرق، حيث زار عكا فى عام ١٢٨٥م/ ٦٨٤هـ . وكان يبلغ حينئذ من العمر خمسة عشر عاما، واستمر فى هذه الرحلات وعندما عاد إلى بلاده عين مستشاراً فى محكمة بالرمو ثم فى محكمة البندقية(١). وقد عرف هذا الداعية الصليبى المتحمس باسم مارينو سانودو الأكبر Marino Sanudo il Vecchio تميزاً له عن شخص آخر حمل نفس الاسم ويدعى مارينو سانودو الأصغر. Marino Sanudo the younger (٢).

وكان مارينو سانودو ذو طبيعة صليبية بحتة شديد الاهتمام بمسألة الاستيلاء على الأراضى المقدسة مرة أخرى من أيدى المسلمين ، وقد سيطرت علية عدة عوامل ساعدته على تطور وبلورة الفكر الصليبى عنده.(٣)

ويأتى فى مقدمة هذه العوامل إقامة مارينو سانودو خلال فترة صباه فى منزل الكاردينال ريكاردوس بيترونوس Ricardus Petronus الذى كان مهتماً بمصالح الأراضى المقدسة، علاوة على ذلك شدة اهتمامه بدراسة القانون الكنسى الذى تعلمه مارينو سانودو على يده(٤).

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٥ . راجع أيضاً:

Tyerman, Marino Sanudo Torsello and the last crusade: Lobbying in fourteenth century, *TRHS* ,Vol. 32(1992), p. 60.

راجع أيضاً: حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية، ص ٤٥.

(٢) مارينو سانودو الأصغر هو أحد كتاب مدينة البندقية ولد فى عام ١٤٦٦م، وتزوج فى عام ١٥٠٥م، وانتخب عضو بمجلس الشيوخ فى عام ١٥١٨م. وكتب عن حكام وأمراء مدينة البندقية وعن حروب فرنسا وأوروبا فى مؤلفه المؤرخ عام ١٥٠١م المعروف باسم Diarii وقد توفى مارينو سانودو الأصغر فى عام ١٥٣٣م وهو يبلغ من العمر سبعة وستين عام. لمزيد من التفاصيل انظر: مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص٤٨. راجع أيضاً.

Robert, F., Politics and history in the Diary of Marino Sanuto, *Renaissance Quarterly*, vol. 33 (1980), pp. 585-92.

(٣) Magnocavallo, *Marino Sanudo il Vecchio*, p. 30.

(٤) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٤٥. راجع أيضاً:

Kunstmann, *Studien uber Marino Sanudo*, p. 768.

- الكاردينال ريكاردوس بيترونوس كاردينال كنيسة سانتويوستاش Santo Eustachii ذاع صيته فى مجال القضاء، وتوفى فى جنوة عام ١٣١٣م. انظر:

Kunstmann, *Studien uber Marino Sanudo,* p. 700

ونظراً لأن الكاردينال ريكاردوس كان يكره المسلمين كرهاً شديداً ، فقد دعا البابا بونيفاس الثامن فى عام ١٢٩٨م للقيام بحملة صليبية للاستيلاء على الأراضى المقدسة.(١) وقد تأثر مارينو سانودو بهذه الكراهية من خلال إقامته مع الكاردينال ريكاردوس ، فبدأ مارينو الكتابة والتأليف بعد إقامته فى بيت الكاردينال ريكاردوس ، ويظهر ذلك بصورة جلية فى كتابه "تاريخ مملكة رومانيا " "Istoria del regno Romania" فيذكر أنه أخذ معلوماته التفصيلية عن سياسة البابا بونيفاس الثامن من معلمه وأستاذه ريكاردوس(٢). ولذا يرى الباحث منة خلال ما سبق أن مارينو سانودو قد نشأ متشبعاً بكراهية شديدة للمسلمين ،ورغبة قوية فى إقامة حرب صليبية للاستيلاء على الأراضى المقدسة .

وثمة عامل أخر أثر فى مارينو سانودو ،أنه كان معاصراً لأحداث استرداد المسلمين لمدينة عكا فى عام ١٢٩١م / ٦٩٠هـ، تلك المدينة التى كان يعتبرها الصليبيون الحصن الحصين لهم ومقرا اسمياً للمملكة اللاتينية التى ظلوا سنوات طويلة يحلمون بإعادتها إلى أيديهم مرة أخرى فى عاصمتها القديمة بيت المقدس . ووصف مارينو سانودو ما حدث بأنه وصمة عار على فرسان الغرب الأوروبى الذين تقاعسوا وأهملوا فى أمر الدفاع عنها وحملّهم مسئولية ما حدث ، وقد أكد ذلك بقوله "لقد أحرقت خطايا الفرسان المدينة المقدسة ولكنها يجب أن تتطهر من الآثمين والجاحدين بنعم الله".(٣)

ويظهر فى كلمات مارينو سانودو مدى تعصبه الشديد ضد المسلمين عندما وصفهم بالآثمين الجاحدين الكافرين وطالب بضرورة سحقهم ورأى أنه باسترجاع عكا يكون قد حدث تحول فى تاريخ المسيحية باعتبار أن سقوطها قد رفع مكانة المسلمين وألحق الأسى والحزن بنفوس الصليبيين.(٤)

كما زاده انكسار الغرب الأوروبى بعد فقدان عكا حنقا على المسلمين بصفة عامة ودولة المماليك فى مصر وبلاد الشام بصفة بخاصة لأنها صاحبة الفضل الأكبر فى القضاء على عكا وقواعدها وتخليص منطقة الشرق الأدنى تماماً من الوجود الصليبى . فكرس مارينو سانودو كل جهوده وخبراته ومعارفه لإعداد مشروع صليبى لاسترجاع الأراضى المقدسة إلى

---

(١) Magnocavallo, *Marino Sanudo il Vecchio*, pp.40-41.

(٢) Tyerman, *Marino Sanudo Torsello* ,p.59.

(٣) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٩.

(٤) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٦٧.

الحكم الصليبى،[١] وخاصة أنه لم يكن مرتبطاً بالملوك أو الأمراء ، بل كان منفصلاً عن رجال السياسة والفلاسفة الذين كانوا مشغولين فى ذلك الوقت بالدعاية للمبادئ الصليبية، مما جعل اهتمامه بالأراضى المقدسة نابعاً من إيمانه الخاص[٢]. وبالإضافة إلى هذه العوامل عكف مارينو سانودو على دراسة اللغات اليونانية واللاتينية والفرنسية القديمة فكانت خير معين له للوقوف على فحوى كل المشاريع الصليبية التى قُدمت إلى البابوية لاسترجاع الأراضى المقدسة، حيث كان متأثراً بالأجواء الأوروبية الداعية لإحياء الحماسة الصليبية فدرس مزايا ومساوئ كل مشروع على حدة مما ساعده على وضع تصور أفضل للاستيلاء على الأراضى المقدسة.[٣]

وقد اهتم مارينو سانودو منذ صغره بمتابعة مصالح الأراضى المقدسة وكان كثير التفكير فى مسائل وطنه السياسة والتجارية ، وعبر البحر المتوسط أكثر من خمس مرات فسافر إلى قبرص وأرمينيا وإلا سكندرية ورودس وصقلية وبلاد الشام والفلاندرز وهامبورج والدنمارك، وتعرف على طبيعة هذه البلاد ، وقام بتسجيل مشاهداته فيها ، فأفاده ذلك كثيرا فى كتابة مشروعه الصليبى ووصفه لطبيعة هذه البلاد مما أكسبه خبرة كبيرة فى شئون البحر وجعله يجرؤ على الكتابة فى الأمور البحرية لكثرة تمرسه بها[٤]. ونظرا لأن مار ينو قد أقام فتره من الوقت بين أحضان مدينة هول شتاين تلك المدينة الساحرة ذات الطبيعة الخلابة التى تقع على بحر البلطيق ، فساعده ذلك كثيرا على تفجير ملكة الكتابة عنده[٥].

---

(١) Beazley, (C.), *The Dawn of Modern Geography*, 3 Vols. (Newyork, 1949), Vol.3, PP. 309-312.

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٧ . راجع أيضاً:

Cardini,C., ؤ l'aspetto economico del progetto di Marino Sanudo il vecchio (1312-1321) *Studia di Federigo Melis*, Vol. 2 (1978), P.84.

(٣) Schein, *The west and the crusade*, p. 220.

(٤) مارينو سانودو : كتاب الأسرار ، ص ٤٥-٤٦. راجع أيضا :

حسين عطية :إمارة أنطاكية الصليبية، ص٤٣.

(٥) Kunstmann, *Studien uber Marino Sanudo*, p.701, Cardini, *I costi della crociata l'aspetto economico del progetto di Marino Sanudo il vecchio*, P.179.

وجاءت كل هذه العوامل سبباً فى إثارة حماسة مار ينو سانودو ، وجعلته يُقدم علـــى كتابة مشروعه الصليبى للاستيلاء على الأراضى المقدسة من المسلمين شارحاً فيـــه طريقـــة الحصار الاقتصادى لسلطنة المماليك واستنزاف مصادر دخلها .

كما قام مارينو سانودو بكتابة رسالة حول أوضاع الأراضى المقدسه تسمى " أحـــوال الأراضى المقدسه " Conditiones Terrae Sanctae وقدمـــها إلـــى البابـــا كليمنـــت الخامس فى عام ١٣٠٦م. وفى نفس الوقت كان قد بدأ فى صياغة اقتراحاته فى عام ١٣٠٦م فى كتاب أطلق عليه "كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب فى استرجاع الأراضى المقدسة والحفاظ عليها[1].

Liber Secretorum fidelium Crucis, Super Terrae Sanctae Recuperatione et conservatione.

وقد أنهى مارينو سانودو كتابه فى عام ١٣٢١م ، وقدمه إلى البابـــا يوحنـــا الثـــانى والعشرين كمشروع مقترح للاستيلاء على الأراضى المقدسة[2].

وسرعان ما أخضع البابا هذا الكتاب للفحص على يد لجنة من الخبراء لدراســـة مـــا تضمنه الكتاب من اقتراحات، وكان أعضاء اللجنة تضم كلاً من بونيتو دى أســـت Boentio de ast من الرهبان الدومينيكان ونائب أسقف فى مقاطعة أرمينيا، وجا كـــابو دى كـــامرينو Jacabo de Camrino ، وبولينو البندقى من البندقية ومتى القبرصى وكلهم من الرهبان

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٧.

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٧.

يوحنا الثانى والعشرين اسمه الحقيقى جاك ديزيه jacque Duese، ولد فى عـــام ١٢٤٩م فـــى مدينة مونبيلية الفرنسية، لأسرة ثرية وكان والده يملك محلات أحذية، وقد درس يوحنا الطب فـــى مونبيلية والقانون فى باريس ، وأصبح مساعد واعظ وأسقف فى مدينة أفينون فى ١٨-مـــارس ١٣١٢م ومطرانا فى مدينة سان فيتال S.vital فى ٢٤ ديسمبر من نفس العام ثـــم راهبـــاً فـــى مدينة بوردو الفرنسية فى عام ١٣١٣م ، وانتخب خلفا للبابا كليمنت الخامس فـــى الســـابع مـــن أغسطس فى ١٣١٦م، ونصب فى ليون فى الخامس من سبتمبر من نفس العام وفضل الإقامة فى أ فينون وتوفى فى ٢٤ ديسمبر ١٣٣٤م. ولمزيد من التفاصيل انظر:

Stephanus, B., *Vitae Paparum Avenionensium,* ed, Mollat (Paris, 1914), T. 1, p. 110; Mollat, *Les papes d'Avignon*, p. 41.

الفرنسيسكان. وبعد ثلاثين يوما من العمل المستمر انتهت اللجنة من فحص الكتاب، ودونـــت رأيها فيه بالإجماع فى تقرير قدمته إلى البابا يوحنا الثانى والعشرين(١).

وجاء تقرير اللجنة إيجابيا حيث رأت اللجنة أن الشعار الذى اتخذه مـــارينو ســـانودو وهو "خربوا القوة الاقتصادية لمصر" هو أفضل الطرق للاستيلاء على الأراضى المقدســـة،وأن الحصار البحرى الذى سوف تشرف عليه الأساطيل الأوروبية هو أقصر الطرق للقضاء علـــى اقتصاد مصر وما يتبعه من القضاء عليها عسكريا. ولكن اللجنة أجرت بعض التعديلات علـــى خطة المشروع فاقترحت أن يكون مراقبه البحر بعشر سفن صيفاً وشتاءاً بدلا من ثمانية أشهر فقط وفق ما جاء بمشروع مارينو سانودو و الذى اعترض على ذلك لكونه يرى أن مقترحاتـــه هى الأفضل ولم يكن لاعتراضه أى تأثير على البابا يوحنا ، وقد أبدت البابوية ارتياحا كبـــيرا لما حدث وقررت مكافأة مارينو سانودو بأربع ليرات ذهبية(٢).

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٣.

-جماعة الرهبان الدومينيكان يرجع تاريخها إلى القديـــس دومنيـــك "St.Dominic " (١١٧٠-١٢٢١م) وهو سليل إحدى الأسر النبيلة الأسبانية، عندما بلغ عمره السادسة والثلاثين رحل إلـــى وسط فرنسا لمجادلة الالبيجسيين Albigeois فى عام ١٢١٥م وقام اتباعه من بعده بجـــهودهم فى نشر مبادئه فى بلاد المسلمين وفى آسيا وشمال أفريقيا والهند وكان من أهـــم تلاميـــذه تومـــا الأكوينى ، و أساس تعليم هذه الجماعة هى الوعظ و الإرشاد بين الناس حتى اشـــتهر أعضاؤهـــا باسم الإخوان المبشرين. "Fratres Praedicatorec" لمزيد من التفاصيل انظر:

Margaret, *A history of medieval church,* pp. 150-154.

راجع أيضا:حسين عطية:إمارة أنطاكية الصليبية ، ص٢٤٤، هامش ٦٣.

-جماعة الرهبان الفرنسيسكان يرجع تاريخها إلى القديس فرنسيس الأســـيزى وإســـمه الحقيقـــى جيوفانى فرانسيسكو بيرناردو Giavanni francesco bernardo ولد فى إيطاليا فـــى عـــام ١١٨٢م من أسرة إيطالية،كان والده من اغنى تجار إيطاليا وقد جاء إلى مصر مع حملة حنـــا دى بريين إلى مصر فى عام ١٢١٨م وحاول إقناع الملك الكامل باعتناق المســـيحية . دخـــل الحيـــاة الديرية وهو فى العشرين من عمره، ونذر نفسه لأعمال التبشير فى أسبانيا. وقـــام مذهبـــه علـــى اندماج الرهبان فى الحياة العامة للوعظ والتبشير. انظر: مؤلف مجهول: تتمـــة وليـــم الصـــورى، هـــ١٠، ص١٠٢.

راجع أيضا: محمود سعيد عمران :الحملة الصليبية الخامسة -حملـــة جـــان دى بريـــن ١٢٤٨-١٢٢١م /٦١٥ – ٦١٨هـــ،الإسكندرية١٩٨٥ م ،ص ٣٦،هامش رقم (٤).

راجع أيضا: **Margaret, *A history of Medieval church,* p. 153.**

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٧.

وإذا كان مارينو سانودو قد أظهر تحمسه الشديد للاستيلاء على الأراضى المقدسة مرة أخرى من أيدى المسلمين ، من خلال المشروع الذى قدمه إلى البابا يوحنا الثانى والعشرين متخذا من الناحية الدينية دافعاً لتحقيق هذا الغرض ، فلا شك أن هناك دوافع أخرى غير مباشرة جعلته يطمع فى خروج مشروعه إلى حيز التنفيذ ويأتى فى المقام الأول لهذه الدوافع أنه من رعايا إحدى المدن الإيطالية التجارية فهو ينتمى إلى مدينة البندقية. والمعروف عن البنادقة أنهم لا يرون أى غضاضة فى الإتجار مع المسلمين طالما أن هذا يحقق لهم نفعا اقتصاديا كبيرا حتى لو أدى ذلك إلى التخلى عن القضية الصليبية برمتها فكان شعارهم الدائم "فلنكن بنادقه أولاً ثم مسيحيين ثانياً". "Siamo Veneziani et Poi christian" (1)

---

(1) Atiya, *The Crusade in the Later middle ages*, p. 116.

راجع أيضاً: شارل ديل: البندقية جمهورية أرستقراطية، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق إسكندر ، القاهرة ١٩٤٨م، ص١١٩.

- تجدر الإشارة إلى أن البنادقة كانت مصالحهم الاقتصادية هى المتحكمة فى أهوائهم وهناك أمثلة عديدة لذلك فعندما كان ميزان القوى فى صالح الصليبيين فى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى أواخر القرن الخامس الهجرى كان البنادقة هم خير من عاون البابوية فى نقل المقاتلين الصليبيين من الغرب إلى الشرق. طالما إذ ذلك سيمنحهم الفرصة لتحقيق مكاسب مادية واقتصادية متمثلة فى إقامة مستعمرات جديدة لهم فى أراضى الشرق الإسلامى ولكن عندما انقلب ميزان القوى فى صالح المسلمين بدأت تميل لصالحهم وظهر ذلك بصورة جلية فى الحملة الصليبية الرابعة فالاتفاق كان ينص على أن تكون مصر هى الهدف الرئيسى للحملة بشرط أن يكون نصف الغنائم للبنادقه قبل وصول الحملة، وعندما عجز الصليبيين عن دفع المبلغ وجدها هنرى داندلو فرصة للعدول عن الحملة والاتجاه إلى مدينة زارا المسيحية والاستيلاء على الإمبراطورية البيزنطية. وبذلك حافظ البنادقة على علاقتهم مع الدولة الأيوبية التى وقعت معهم معاهدة تجارية عام ١٢٠٧م/ ٦٠٥هـ.

لمزيد من التفاصيل انظر:

روبرت كلاى: فتح القسطنطينية على يد الصليبيين، ترجمة حسن حبشى، القاهرة ١٩٦٤، ص ٥٠-٦٠، فيلهاردوين: مذكرات فيلهاردوين وفتح القسطنطينية، ترجمة حسن حبشى، جدة ١٩٨٣م، ص٨٥-٨٩.

راجع أيضاً: ناجلا عبد النبى: مصر والبندقية العلاقات السياسية والاقتصادية فى عصر المماليك (١٣٨٢-١٥١٧م/ ٧٨٤-٩٢٣هـ)، القاهرة: ٢٠٠١م، ص٤٦-٤٧.

وكثيراً ما كان البنادقة ينقلون المواد المحرم نقلها مثل مواد الحرب والرقيق إلى المسلمين طالما هذا يعود عليهم بالنفع وكثيرا ما خالفوا ما أصدرته المجامع الكنسية من قرارات تحرم الاتجار مع المسلمين[١].

ففضل سانودو أن يكون للبنادقة النصيب الأكبر فى قيادة الحملة بُحكم أن سفنهم قد أسند إليها العبء الأكبر فى نقل الصليبيين منذ أن دعا البابا أوربان الثانى Urban II ١٠٨٨-١٠٩٩م للحروب الصليبية فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى/ أواخر القرن الخامس الهجرى ، ولعل ذلك يظهر بصورة جلية فى قوله "أن البنادقة هم أفضل من يقوموا بالاستيلاء على شواطئ مصر البحرية بحكم التشابه بين شواطئ مصر والبندقية[٢].

ويتفق دافع مارينو سانودو هذا مع دوافع البندقية أيضا التى سعت وراء الكسب المادى منذ بداية الحروب الصليبية حيث كانوا خير سند للغرب الأوروبى والبابوية فكانوا ينقلون المحاربين الصليبيين إلى بلاد الشرق الإسلامى فى مقابل الامتيازات التى كانت تحصل عليها الجالية البندقية فى الإمارات الصليبية وفى بلاد الشام وفى بيزنطة أيضا إلى جانب الامتيازات التجارية واحتكار تجارة تلك الأقاليم إلى أوروبا الغربية وهكذا كانت مصالح البنادقة تتماشى مع دوافع مارينو[٣].

ويأتى بعد ذلك دافع آخر من الدوافع الهامة التى دفعت مارينو سانودو لكتابة مشروعه وهو حبه الشديد للأراضى المقدسة .ذلك الحب الذى ربطه روحيا بالأراضى المقدسة لنشأته و

---

(١) خالفت البندقية قرارات البابوية التى صدرت بعد سقوط عكا وتحرم الاتجار مع المسلمين والدليل على ذلك سفارة البندقية إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى عام ١٣٠٢م بأن يستمر تجارها فى جلب السلع التى تحرم البابوية جلبها إلى المماليك خاصة الأخشاب والحديد والقار بشرط أن يسمح السلطان بتصدير بضائع مصرية موازية لقيمة هذه السلع الحربية وإعفائها من الرسوم وهناك أيضا محاولات البابوية لنيل رضا البابا يوحنا الثانى و العشرين بالاتجار مع المماليك ولكنه رفض هذه المحاولات فاستمروا فى تجارتهم. لمزيد من التفاصيل انظر: المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٢، ص ٢٥٠-٢٥٣.

راجع أيضاً:.Housley, *Avignon papacy*, p. 207

(٢) تفيض سجلات الإمارات الصليبية بالمنح التى أصدرها حكام الإمارات الصليبية للبنادقة وغيرهم من جاليات المدن التجارية الإيطالية: لمزيد من التفاصيل انظر:

la Monte (J.), *Feudal monarchy in the Latin kingdom of Jerusalem, 1100-1291*(New York, 1970), pp. 125-127.

(٣) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٣٤.

تتلمذه على يد الكاردينال ريكاردوس.[١] والذى جعله مثل كل صليبى متعصب لا يستوعب أبـدا وجود الأراضى المقدسة ومدينة بيت المقدس تخضع لحكم غير الصليبيين . ويتضح ذلك عندما وصفها بالحمل المولود حديثا الذى يبحث عن أمه وثديها، وكذلك عندما شبه حبـه وانجذابـه إلى الأراضى المقدسة مثل انجذاب الحديد ناحية قطب المغناطيس[٢].

ومن هذا المنطلق يدرك الباحث مدى الارتباط الروحى الشديد بين مـاريـنو سـانودو والأراضى المقدسة ولهذا كان الاستيلاء على تلك الأراضى من أيدى المسلمين مـرة أخـرى يشكل هدفاً أساسياً عند مارينو سانودو ويتفق تماما مع رغبة معظـم المسـيحيين الغربييـن الذين يقرون بضرورة تملك هذه الأراضى بصفتها موطناً أساسياً للسـيد المسـيح ، ومنـها خرجت حماسته للمسيحية.

ومن الدوافع الأخرى التى دفعت سانودو إلى تقديم مشروعه إلى البابا كان ما يتعلـق بالبابوية ذاتها فكان مارينو سانودو مدركاً بأن الجهاز الكنسى وعلى رأسه البابوية كان يتمتع طوال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين بالقوة والهيبة لدى المجتمـع الأوروبـى بأسره ، بعكس الحال خلال فى القرن الرابع عشر الميلادى ، حيث كانت البابوية تمر بمرحلة الشيخوخة ، وبدأ الضعف يدب فى كيان الجهاز الكنسى من جراء الفساد الذى انتشـر داخـل الكنيسة اللاتينية مما أفقدها هيبتها وكرامتها ونفوذها[٣].

فأدرك مارينو سانودو أنه لكى تستعيد البابوية نفوذها الذى فقدته كان لابد وأن تتبنـى تحقيق ما يعود بالصالح العام على المسيحيين جميعاً فرأى سانودو من هذا المنطلـق بدايـة طيبة لكتابة مشروعه الصليبى يجدد فيه دعوة البابوية للمسيحيين للقيام بالحروب الصليبيـة مرة أخرى ضد المسلمين فى الشرق الأدنى الاستيلاء مرة أخرى علـى الأراضـى المقدسـة منهم[٤].

ويتضح مما سبق توحد دوافع البابوية مع الدافع الذى كان يرمى إليه سانودو وهـو الاستيلاء على الأراضى المقدسة، مما يبين إيمان سانودو بأفكار البابوية ومما يؤكد ذلك مـا

---

(١) انظر ما سبق ، ص٥٣-٥٤.

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص٦٧-٦٨.

راجع أيضا: توماس ماستناك: السلام الصليبى، ترجمة بشير السباعى، القاهرة ٢٠٠٣م ، ص١٧١.

(٣) Bell, M., *A short history of the papacy,* (London, 1921), P. 190.

(٤) Margrat, *a history of medieval church*, p. 180.

جاء بحديثه إلى البابا يوحنا الثانى والعشرين عندما قدم إليه المشروع الصليبى قائلاً "إنى أتقدم إلى قداسة البابا بعمل لاسترجاع الأراضى المقدسة إلى أيدى النصارى إكراماً لسيدنا يسوع المسيح ولرفع شان الإيمان المسيحى كما تريدون"(١).

وثمة دافع آخر توافق فيه سانودو مع البابوية وهو رغبة البابوية فى نشر المسيحية فى أفريقيا على المذهب الكاثوليكى دون غيره من المذاهب الأخرى، وهى نفس الفكرة التى كان ينادى بها سانودو ، ورغبته فى نشر المسيحية فى البلاد الموجودة تحت أيدى المسلمين. حيث رأى أنه من الضرورى أن يقوم جيش الصليبيين بنشر المسيحية فى المناطق التى يحتلها المسلمون(٢). ويستدل من ذلك توافق رغبة سانودو مع البابوية التى كانت ترى أن أى عقيدة أخرى تدين بها الشعوب يعتبر هرطقة(٣).

و إذا كان سانودو يضع نصب عينيه على أن نجاح أية حملة صليبية يتوقف على مدى الدعاية الجيدة لها فى الغرب الأوروبى، فإلى جانب مسألة التنظيم الجيد للحملة والإعداد المناسب لها من حيث الجنود والعتاد والأموال ،كان هناك جانب آخر لا يقل أهمية لنجاح أى حملة موجهة إلى الشرق الإسلامى وهو الإعداد الروحى للحملة.

ولذلك فإن كثيراً من أصحاب المشروعات المقترحة للاستيلاء على الأراضى المقدسة والسابق الإشارة إليها قد أكدوا على ضرورة التجهيزات الدينية لضمان قيام أى حملة صليبية، وكانوا يرون أن الأراضى المقدسة قد ضاعت من أيدى الصليبيين بسبب أخطاء الصليبيين، وعدم إيمانهم بقضية الأراضى المقدسة ولذلك كان تشجيع الجنود وإثارة حماسهم الدينى شرطاً أساسياً لضرورة تحقيق النصر فى الحملات الصليبية(٤).

وهناك وسائل متعددة لتلك الدعاية الدينية للحملات الصليبية منها العمل على إثارة حماس الجنود دينيا عن طريق الخطب الحماسية الرنانة ويبدو ذلك واضحاً عند كثير من

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص٦٦.

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص١٢٣.

(٣) الهرطقة هى عبارة عن بعض الآراء التى تخالف تعاليمهم الكنيسة وظهرت فى القرن الثانى عشر مثل الحركة الاليبجنسية والوالدنسية ومن آراء هذه الجماعات مهاجمة رجال الكنيسة وثرائها الزائد وقد نجحت الكنيسة فى الانتصار عليهم. لمزيد من التفاصيل انظر:

Turbervilie, A., Heresies and the inquisition in the middle ages c. 1000-1305, *CMH (1926),* Vol. 6, pp. 699-726.

(٤) **Leopold, *How to recover the holly land*, p. 83.**

مقترحى مشاريع الحروب الصليبية مثل فيدنزيوا فقد عمل للدعاية لمشروع حملته الصليبية عن طريق إثارة حماس الجنود فجاء ذلك فى كلامه الموجه للصليبيين فى كتاب "استرجاع الأراضى المقدسة" Liber Recuperationis Terrae Sanctae فذكر لهم " أن الأراضى المقدسة تنتمى إلى السيد المسيح ومكتسبة من دمه والمسيحيين مقيمين فيها منذ قديم الزمان، فهى من حق الصليبيين" وأكد لهم أن الحملة الصليبية ضرورية لمحو عار امتلاك المسلمين للأماكن المقدسة ولإحراز المجد الخالد ولتجنب قتل الصليبيين وأسرهم(١).

أما رامون لل فقد وجه كلامه إلى الصليبيين فى كتابه Liber de fine قائلاً "إن العالم فى حالة مزرية منذ فترة طويلة لوجود أعداد قليلة من المسيحيين بالقياس لأعداد الملحدين الزائد، وامتلاكهم للأرض المقدسة مما يعتبر عاراً على المسيحية والصليبيين جميعا"(٢). ويتضح هنا أيضاً مدى تعصب رامون لل وحنقه على المسلمين عندما وصفهم بالملحدين مثلما فعل مارينو سانودو.

ويأتى بعد ذلك أيضا هيثوم قائلا "كثير من دماء المسيحيين قد سفكت على أيدى المسلمين وأن الذل والخذى قد أصاب العالم المسيحى وقد حان الوقت يا فرسان الغرب لاسترداد أرضكم المقدسة"(٣).

وقد اتبع أيضاً جماعة الفرسان الاسبتارية أسلوب إثارة حماسة الجنود دينيا فجاء تقرير مقدمهم فولك فيلاريه واضح فيه استخدامه لأسلوب الإثارة والخطب الرنانة حيث أكد فى كلامه "إنه من العار أن تكون الأماكن المقدسة فى أيدى الملحدين المسلمين الذين يقومون بسب المسيح وتدنيس الأماكن المقدسة "فدعاهم إلى سرعة اتخاذ الإجراءات اللازمة ونسيان الخلافات مؤقتا ليستردوا الأراضى المقدسة(٤).

أما سانودو فقد جاء أيضا أسلوبه متشابهاً مع الدعاة السابقين عنه فى إثارة حماس الجنود وشحذ هممهم وشحنهم بالكلمات المؤثرة من أجل استرداد الأراضى المقدسة

---

(١) Fidenzio, *Liber recuperationis,* pp. 30-32.

(٢) *Lull, Liber de fine*, p. 250

(٣) Haytn, *flos,* p. 340.

(٤) Kedar, (B). and Schein, (S)., Un projet de passage particulier propose pas l'order de l'hopital 1306-1307, *BEC* 137 (1979), p. 222.

مثل وصفه بأن المسيحيين كرامتهم قد أهينت بسبب ضياع الأراضى المقدسة ووقوعها فى أيدى المسلمين الذين أطلق عليهم وصف الملحدين الكفرة[١].

ويتضح مما سبق أن دعاة الحروب الصليبية بما فيهم سانودو نفسه قد استخدموا فى بداية تقاريرهم استغاثات فردية وغلب على أسلوبهم الحماسة والإثارة موضحين أن الاستيلاء على الأراضى المقدسة واجب دينى على كل مسيحى لأنه من العار أن تقع تلك الأراضى المقدسة فى أيدى المسلمين.

وهناك أيضا جانب آخر من جوانب الدعاية الدينية وهو إرسال الواعظين مع الحملات الصليبية ليعظوا الجنود على الثبات فى أرض المعركة والإيمان بقضيتهم. ولم يبد كثير من الدعاة اهتمامهم بهذه المسألة وقد ظهر هذا الاتجاه عند كل من فيدنزيو ووليم ديورانت حيث أكدا على ضرورة وجود رجال الدين من الواعظين فى صحبة الحملات الصليبية ليؤثروا إيجابيا على تصرفات الجنود، ويكون دورهم مقتصرا على الوعظ والإصلاح وتقديم النصائح اللازمة للقيام بالواجب المقدس على أكمل وجه وحتى يتفادوا أطماعهم وأخطاءهم التى وقعوا فيها وكانت سببا جوهريا فى ضياع الأراضى المقدسة من أيديهم[٢]. كما طالب فيدنزيو أيضا على ضرورة أن يكون هناك مندوبا عن البابا مرافقا للحملة.

أما سانودو فكان متفقا معهم أيضا فيما ذكره ونصح بان يرافق الجيش مجموعة من الأحبار والوعاظ من رهبنة النساك كى يعلموا الجيش الأخلاق الصالحة وأصول الدين المسيحى وأن يقدموا النصائح للجنود من أجل رفع شأن الكنيسة المقدسة[٣].

وعلاوة على ذلك قام مارينو سانودو بدعاية عريضة من أجل التبشير بقيام حملة صليبية للاستيلاء على الأراضى المقدسة من أيدى المسلمين، فإلى جانب استخدامه الخطب الحماسية لإثارة الجنود واقتراحه بإرسال وعاظ إلى الحملة، قام بمخاطبة العديد من ملوك وأمراء الغرب الأوروبى إلى جانب مخاطبته لرجال الدين ليعرض عليهم مشروعه ويطلب مساعدتهم، فأرسل إلى الملك الفرنسى فيليب السادس خطابا ليعرض عليه فيه مشروعه والضمانات اللازمة لنجاح الحملة ،ويطلب منه القيام بالحملة والاشتراك فيها[٤] كذلك قدم نسخا من مشروعه إلى رو برت الثانى ملك صقلية (١٣٠٧-١٣٤٣م) وإلى إدوارد الثانى ملك

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٦٦-١٢٣.

(٢) Fidenzio, Librer recuperationis, pp. 13, 15, 65; Leopold, *How to recover the holly land*, p. 79.

(٣) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٢٠٦.

(٤) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٤٩. عن هذا الخطاب انظر ملحق رقم ١.

إنجلترا Edward II (١٣٠٧-١٣٤٣م)، بالإضافة إلى العديد من النسخ التى قدمها إلى كبار رجال البلاط والنبلاء الفرنسيين وكذلك إلى رجال الدين[١]، وبحلول ثلاثينيات القرن الرابع عشر الميلادى كانت أعداد النسخ التى امتلأت بها مكتبات أمراء وملوك الغرب الأوروبى من كتاب الأسرار ومختصراته لا تعد ولا تحصى[٢].

وبمرور الوقت أدرك مارينو سانودو أن الكلمة المكتوبة لا يلتفت إليها أحد ولا يقرأها أحد، فقام يسعى بنفسه ويدعو للقضية الصليبية من خلال المناقشات والمساعى الشخصية حتى أنه أنفق معظم أمواله فى سبيل الدعوة للحملة الصليبية حتى أصبح لا يملك بعد ذلك أموالا تساعده على استكمال الدعوة لمشروعه الصليبى[٣].

وأتبع ذلك خطابات إلى اندرونيكوس باليولوج الثانى إمبراطور الدولة البيزنطية وإلى البابا يوحنا الثانى والعشرين يوضح لهما الأمر، ويشرح لهما فيه كيفية الاستيلاء على الأراضى المقدسة[٤] وعلاوة على ذلك زاد سانودو عن السابقين عنه فى استخدامه البحارة والتجار فى الدعاية الدينية حيث كان يتلقى منهم أخبار بلاد الشرق من خلال أسفارهم المتعددة، واستخدم الغرب الأوروبى، كما استخدم أصدقاءه فى التبشير بالحملة ومعرفة أخبار بلاد الشرق مثل فيرناندى دى فورفو Fernandi de furvo حيث ذهب إلى بلاد اليونان والقسطنطينية وأرمينيا يدعو إلى الحملة وسافر إلى مصر وبغداد والقدس ودمشق وبيروت وكتب ما رآه فى تقارير وأعطاه إلى مارينو سانودو[٥].

---

(١) La Roulx, *Le France en orient*, t. 1 p. 35.

(٢) Tyerman, *Marino Sanudo and the last crusade*, pp. 67-68.

راجع أيضاً: محمد الزامل: الحصار الاقتصادى على سلطنة المماليك ١٢٩١-١٥١٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة ٢٠٠٣، ص٣٤.

(٣) Tyerman, *Marino Sanudo and the last crusade*, p. 66; *Kunstmann*, *Studien uber Marino Sanudo, p. 703.* راجع أيضاً: محمد الزامل: الحصار الاقتصادى، ص ٧٣.

(٤) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٦٤-٦٥.

(٥) *Kunstmann*, *Studien uber Marino Sanudo, pp. 702-703.*

- فيرناندى دى فورفو هو أحد نبلاء البندقية كان تواقاً إلى زيارة بلاد الشرق فتعرف عليه مارينو سانودو واستغل ثرائه ورغبته فى زيارة هذه البلاد وزاد أواصر صداقته معه وأرسله إلى هذه البلاد بعد أن أقنعه مارينو بأهدافه وأحياناً سافر مارينو على نفقته الخاصة. انظر:

Kunstmann, Studien uber Marino Sanudo, p. 702; http/24.1911 encyclopedia. Org.

و على الرغم من الدعاية الدينية التى قام بها مارينو سانودو لقيام حملة صليبية جديدة تتجه إلى الشرق الإسلامى للاستيلاء مرة أخرى على الأراضى المقدسة ورغم الإعداد الروحى الذى نادى به مارينو سانودو لضمان نجاح الحملة، فلم يكن هناك أى موقف إيجابى من قبل البابوية سوى إنها أخذت ترسل المبعوثين إلى ملوك الغرب الأوروبى للمشاركة فى الحملة ولم يذكر مارينو فى كتابه ما يشير إلى مساعدة البابوية له ويتضح ذلك من كتاباته بقوله قبل وفاته بقليل "لقد حاولت كثيرا لرفع الصليب المقدس إلى أعلى، ولإعلاء شان أمتنا لكن للأسف لم يقدم لى أى أحد ما يلزمنى من وسائل حتى الكنيسة المقدسة"[١]. وهكذا نرى أن مارينو سانودو توفى وهو حزين لأن مشروعه لم يخرج إلى حيز التنفيذ، رغم ما صحبه من جهود كبيرة استنزفت أكثر من عشرين عاما من عمره[٢].

يتضح مما سبق أن الدعاية الدينية قد احتلت جانباً مهما فى مشاريع الحروب الصليبية، ولكنها لم تكن بنفس الدرجة عند كل الدعاة، فقد اقتصرت عند بعض الدعاة على الخطب الحماسية والمطالبة بإرسال الوعاظ مع الحملة فقط دون القيام بجهد شخصى لتنفيذ ذلك مثل فيدنزيوا بادوا ورامون لل وهيثوم. فى حين لم يهتم بعض الدعاة بالدعاية الدينية مطلقاً مثل هنرى الثانى وجيمس مولاى اللذان اكتفيا بالتحسر على سقوط الأراضى المقدسة فقط .أما سانودو أستند فى اتجاهه للحملة على كراهيته الشديدة للمسلمين الناتجة عن نشأته ورغبته الكبرى فى استعادة الأراضى المقدسة وإعادة الكيان الصليبى لمكانته عالية مستنداً على الدوافع الدينية متبعاً أسلوب الخطب الرنانة والحماسية ولكنه تميز عليهم بأنه قام بالتضحية بماله وجهده فى الدعوى للحملة حيث سافر بنفسه للملوك والقادة والأمراء على نفقته الخاصة وجند أصدقائه للدعوة هى الحملة مما أسفر عن استجابة البعض لجهوده الوافرة مثل بطرس أسقف اسبستوبوليس الذى قام بمراسلة رؤساء أساقفة إنجلترا وحثهم على بذل الجهود لاستنهاض الملك إدوارد الثالث Edward III للمساهمة بدور إيجابى فى الحملة والمساهمة فيها[٣]. و كانت هذه العمل دليلا على قوة تأثير سانودو على بعض طوائف المجتمع فى الغرب الأوروبى ،الأمر الذى لم يتحقق مع غيره من الدعاة ، و لم يقتصر دور سانودو على الدعاية الدينية فقط ، بل قام بمزيد من الجهود فى الجانب الأهم للحملة و هو الجانب المالى للحملة و هو ما سيتضح فى الفصل القادم .

---

(١) Magnocavello, *Marino Sanudo il Vecchio*, p. 199.

(٢) توفى مارينو سانودو فى عام ١٣٤٣م. انظر:

Kunstmann, *Studien uber Marino Sanudo, p. 704;* Atiya, *The Crusade in the Later Middle Ages*, p. 127.

(٣) Letter of Marino Sanudo to Peter bishop of Sbastopolis to Archbishop of England (22 October, 1330), pp. 818-819

الفصل الثالث

الإعداد المادى للحملة

- القوات المشاركة فى الحملة.
- تنظيم الحملة وقيادتها.
- الدعم المالى للحملة.

كان نجاح الحملات الصليبية يتوقف على الدعاية الجيدة لها، وإذا كان لمشروع سانودو نصيب فى التجهيزات والدعاية الدينية ، فكان لابد له أيضاً من إعداد مادى جيد يتمثل فى إعداد القوات المشاركة فى الحملة وكيفية تنظيمها وتمويل الحملة مالياً. وقد اهتم سانودو بالإعداد المادى لمشروع الحملة المقترحة على الأراضى المقدسة اهتماماً كبيراً أسوة بمن سبقوه من أصحاب مشاريع الحملات الصليبية.

وقد اهتم كثير من الدعاة بمسألة القوات المشاركة فى الحملات الصليبية من الفرسان والمشاة، وإن كانت قد سيطرت حالة من اللامبالاة على كثير من فرسان وأمراء الغرب الأوروبى للاشتراك فى الحملات الصليبية بعد فشل أغلب حملاتهم. فكانوا يخشون الوقوع فى الأسر والتكلفة العالية لنفقات تلك الحملات والخوف على ذويهم من زوجاتهم وأولادهم الأمر الذى عرضّ كثيراً من الفرسان والأمراء لكثير من النقد[١].

وبالنظر إلى دعاة الحروب الصليبية الذين سبقوا سانودو، نجد أن كثيراً منهم تشابهت آراؤهم بشأن القوات المشاركة فى مشروعات الحملات الصليبية المقترحة، فهناك فيدنزيو بادوا الذى اقترح أن تتكون الحملة من عشرين إلى ثلاثين ألف من الفرسان والمشاة، وأسطول مكون من أربعين إلى خمسين سفينة ويزود هذا الأسطول بالرجال ولوازم الحرب والمؤن اللازمة للجيش، واقترح أيضاً أن تنتمى القوات المشاركة فى الحملة إلى بلدان مختلفة من دول الغرب الأوروبى دون أن يحدد جهة معينة.[٢]

أما شارل الثانى فقد اقترح زيادة الأموال المخصصة للحملة الصليبية حتى يمكن استئجار الفرسان الأقوياء والرجال المسلحين ويستدل من ذلك أن شارل الثانى كان يتطلع إلى الاعتماد على الجنود المرتزقة فى الحملة الصليبية المنتظرة.[٣]

(١) **Throop, P.,** ***Criticism of the crusade, a study of public opinion crusade propagnda*** **(Philadelphia, 1975), pp. 185-189 ; Setton, K.,** ***The papacy and the levant 1204-1571,*** **2 vols. (Philadelphia, 1976), vol. 1, p. 109.**

(٢) **Fidenzio,** ***Liber recupertionis*****, pp. 46-49.**

(٣) **Leopold,** ***How to recover the holy land*****, p.64.**

واقترح أيضاً أن يحدث اتحاد بين جميع الطوائف العسكرية من الداوية والإسبتارية والتيوتون فى طائفة واحدة حتى لا يحدث انقسام فى الجيش الصليبى.[١] وبالمثل جاء رأى فولك فيلاريه فى القوات المشاركة بالحملة فدعا إلى أن تكون القوات من مختلف دول الغرب الأوروبى إلى جانب ضرورة الاعتماد على وجود الجند المرتزقة.[٢] أما رامون لل فقد أكد بضرورة وجود جيش برى يصاحبه أسطول بحرى مكون من عشر سفن ، لتقوم هذه السفن بقطع الطريق بين القوى التجارية الأوروبية والمماليك، وقد رأى رامون لل أيضاً إنه من الأفضل أن تأتى القوات المشاركة فى الحملة من خلال الجنود المرتزقة والمتطوعين من صليبى الغرب الأوروبى .[٣]

ويأتى بعد ذلك ملك قبرص هنرى الثانى لوزينان الذى ركز فى مشروعه الصليبى المقترح على الجانب البحرى أكثر من الجانب البرى ، حيث اقترح أن تكون الحملة بحرية و تتكون من أسطول من خمس عشرة إلى خمس وعشرين سفينة ، واقترح أيضاً لضمان نجاح الحملة أن تكون قواتها مستقلة تماماً عن قوى المدن التجارية الإيطالية المشاركة فى الحملة وأن تكون قبرص هى المركز الأساسى للعمليات العسكرية[٤].

---

(١) Atiya, *The Crusade in the later middle ages*, p. 79.

– فكرة اتحاد الطوائف العسكرية لم تكن جديدة حيث سبق أن طرحها البابا جريجورى العاشر Gregory X ١٢٧١-١٢٧٦م فى مجمع ليون عام ١٢٧٤م ولكنها رفضت لأن ملوك أسبانيا رفضوا هذا الاندماج على أساس امتلاكهم ثلاثة أنظمة عسكرية هى الداوية والاسبتارية ورهبان فرسان القنطرة وأعيد طرح الفكرة مرة أخرى فى عهد البابا نيقولا الرابع(١٢٨٨-١٢٩٢) .

لمزيد من التفاصيل : le Roulx, *Le France en orient*, pp. 66-67.

راجع أيضاً: محمد النشار: نشأة جماعات الرهبان الفرسان الأيبرية فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى ، بحث منشور ضمن كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ الأندلس، ص١٠٠-١٠٢ .

(٢) Kedar et schien, Un projet de passage, 37.

(٣) lull, *Liber de fine*, pp. 93-96.

(٤) Henry II, *Concilium*, pp.122-124.

أما مقدم الداوية جيمس مولاى فقد اقترح أن تتكون الحملة من اثنى عشر ألفاً إلى خمسة عشر ألفاً من الفرسان، منهم ألفان من رماة السهام وخمسة آلاف من المشاة وأن تأتى هذه القوات من مختلف بلدان الغرب الأوروبى ، الذين لديهم الحماسة للاستيلاء على الأراضى المقدسة.(١)

ويتضح مما سبق أن أغلب دعاة الحروب الصليبية لم يحددوا مكاناً للحصول على القوات اللازمة للقيام بالمشروعات الصليبية المقترحة بل تركوا البابا مفتوحاً على مصراعيه أمام الجميع للمشاركة فى الحروب الصليبية ماعدا الملك القبرصى هنرى الثانى الذى رفض اشتراك المدن التجارية الإيطالية فى الحروب الصليبية لأنها دائماً ما تعمل لصالحها الخاص دون النظر إلى الصالح العام للقضية الصليبية.

أما سانودو فقد اتخذ مساراً مختلفاً عن بقية الدعاة السابقين عليه فقد حدَّد كل ما يتعلق بالقوات المشاركة فى الحملة وتسليحها ، فأقر بأن الغزو سوف يتم على مرحلتين، المرحلة الأولى سوف تتكون من خمسة عشر ألفاً من المشاة وثلاثمائة من الفرسان ، ويكون الغرض منها التمهيد لاحتلال مصر من خلال نزول الأسطول الصليبى على الشواطئ المصرية، بينما تتكون المرحلة الثانية من خمسين ألف مقاتل من المشاة وألف فارس وهؤلاء يشكلون الهيكل الأساسى للحملة وتكون مهمتهم هى احتلال مصر والأراضى المقدسة(٢).

وقد رأى سانودو لكى يتم نجاح المشروع لابد وأن تأتى القوات المشاركة فى الحملة من منطقة واحدة فى الغرب الأوروبى فيرى سانودو "إنه لمن الصعب استدعاء أفراد الجيش والأسطول من ذوى الجنسيات المختلفة فى الطباع المتنافرة للمشاركة فى الحملة الصليبية فيصعب عليهم التفاهم والتآلف ويكون هذا سببا فى فشل الحملة"(٣).

ولذلك رأى مارينو سانودو أن القوات المشاركة فى الحملة يجب أن تعتمد فى تكوينها فى البداية على أهالى مدينة البندقية مسقط رأسه وبرر ذلك عدة أسباب وهى "أن أهل مدينة البندقية لا يوجد فى صدقهم وحماسهم مثيل، ولا يوجد مثلهم من يستطيع

---

(١) le Roulx, *Le France en orient*, pp. 56-57; Barber, *James of Molay*, p. 102.

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٤.

(٣) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٣٤.

أن ينفذ ما يعد به، فضلا عن أن عدداً كبيراً من رجالهم والبحارة المهرة فى البندقية يعملون دائما لمصلحة الصليبيين جميعا، كما أن كل ما يحتاجه الأسطول والجيش من معدات متوفر وجودها فى البندقية، بالإضافة إلى أن أهل البندقية هم أكثر من تعود على الإبحار نحو بلدان الشرق عن غيرهم من المدن الأخرى"،و فى هذا الشأن قال "نحن البنادقة الذين سنقود هذه الحملة ،فمن ذا الذى يستطيع قيادتها أفضل منا فى بلد تتشابه ظروفه الجغرافية وظروف بلادنا من حيث كثرة الترع والقنوات المحيطة"[١]. ويبدو من الأسباب التى ساقها مارينو سانودو إنه بالغ فى وصفه لأهل البندقية من حيث الصدق والأمانة والاهتمام بالمصلحة العامة مما يبين تحيزه إلى بنى جلدته من البندقية.

وبالإضافة إلى مارتآه مارينو سانودو من اقتصار تكوين جيش الحملة من مقاتلى البندقية فقد أقترح اشتراك الألمان معهم فى الحملة لأن الألمان شديدو التضامن مع بعضهم ومتحدين. ومع ذلك فقد طالب البنادقة باتخاذ الحيطة من الألمان خوفاً من أن يتفشى فيهم الطمع والسيطرة خاصة وأن البنادقة يريدون الألمان شركاء لهم وليسوا أسيادا عليهم Socios et non Dominos[٢]. وبذلك يتضح أن سانودو لم ينهج نهج من سبقوه من الدعاة فى أمر اختيار القوات حيث لم يتركها على العموم بل حددها فى البنادقة والألمان.

ولم يكتف سانودو بذلك بل دعا البابوية إلى عدم مشاركة الجنويه فى الحملة المنتظرة، والحذر منهم حتى لا يكونوا عقبة فى تنفيذ المشروع الصليبى المقترح، نظراً لعلاقاتهم الاقتصادية القوية بسلطنة المماليك. وحث البابوية على الحد من نفوذ الجنوية فقال "إن كبح جماح الجنوية لن يتم إلا بفضل سلطان البابوية، وإذا تم ذلك فلن تكون هناك ثمة معوقات تحول دون إتمام المشروع[٣].

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٣٤-١٣٥. راجع أيضا:

Letter of Marino Sanudo to Phylum count Holland, p.815.

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص٢١١.

(٣) **Atiya ,** ***Crusade, Commerce and Culture,p.98-100***

راجع أيضا:مصطفى الكنانى :العلاقة بين جنوة و الشرق الإسلامى ١١٧١-١٢٩١ /٥٦٧-٦٩٠هـ ،الإسكندرية ١٩٨١م،ص٣٩٨ -٣٩٩.

أما بالنسبة للأسطول فقد اقترح سانودو أن يتكون الأسطول اللازم لغزو مصر وفرض الحصار عليها من عدد قليل لا يزيد عن عشر سفن مسلحة تسليحا جيدا لكى تتم عملها بنجاح، وأن تزود بطاقم من البحارة المهرة لكى تنجز مهمتها على أكمل وجه[١].

وقد رأى سانودو أنه يمكن الحصول على السفن العشر من أماكن متعددة وبدون صعوبة فواحدة يمكن الحصول عليها من الجنوية الذين كانوا يحكمون فى جزيرة خيوس Chios[٢] وواحدة أخرى من دوق ناكسوس وليم سانودو Guilleme Sanudo، والثالثة يمكن أن يقدمها سادة نجروبونتى Negroponte[٣] واثنان من جماعة فرسان الاسبتارية، والسفينة السادسة يتكفل بها رئيس أساقفة كريت وأشرافها، أما الأربع سفن

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٢٠- ١٢١.

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص١٢١.

- جزيرة خيوس: هى إحدى جزر إيجه وقريبة من تركيا وكانت تابعة للإمبراطور بلدوين الأول كونت الفلاندرز الذى حكم القسطنطينية ١٢٠٤ – ١٢٠٦م، وفى عهد الإمبراطور البيزنطى ميخائيل الثامن منح امتيازات للجنويه بموجب معاهدة عقدت معهم عام ١٢٦١م وفى عام ١٣٠٤م قامت أسرة إلى زكريا بغزو الجزيرة حتى تمكن البيزنطيين من استعادتها عام ١٣٢٩م ولكن الجنويه عادوا واحتلوا الجزيرة مرة أخرى عام ١٣٤٦م. انظر:

Moore, *Encyclopedia of places*, p. 73.

راجع أيضا: عادل زيتون: العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، دمشق ١٩٨٠م، ص٢٨٢.

(٣) نجروبونتى : هى إحدى جزر بحر إيجه تقع مقابل الساحل الشرقى لليونان ويطلق عليها اسم آخر هو Chaikis أو أيوبيا ،و يفصلها عن اليونان قناة تسير فى مضيق يقل مساحته عند خاليسيس لأقل مائة ياردة و يمتد بها سلسلة جبلية تحمل نفس الاسم و هى مواجهة فى امتدادها لمجموعة الجبال الموجودة فى تساليا ووسط اليونان، قد آلت هذه الجزيرة إلى البندقية بموجب معاهدة تقسيم الدولة البيزنطية فى عام ١٢٠٤م ولكن البندقية لم تفرض سيادتها المباشرة على الجزيرة إلا فى عام ١٢١٢م. انظر:

O.D.B, Vol. 2, P. 736; W.N.G.D, P. 240.

راجع أيضاً: محمد عثمان:أبيروس و سياستها الخارجية ،رسالة دكتوراه غير منشورة ،طنطا ١٩٩٧م،ص ٨٦،هامش ١.

المتبقية فيتكفل بتسليحها ملك قبرص هنرى الثانى وأشرافها[1].وستكون هذه السفن مزودة بطاقم بحارة يبلغ عددهم مائتين وخمسين رجلاً فى كل سفينة[2].

وكان سانودو قد وضع تصوراً للحملة العسكرية فرأى سانودو أن يكون عدد السفن قليلاً و مجهزاً بأسلحة جيدة وتحمل بحارة من الرجال الأكفاء، كما رأى سانودو أيضاً ضرورة أن تكون سفن هذا الأسطول تتكون من أنواع مختلفة فيكون منها السفن الضخمة المعروفة باسم الغليون[3]. واقترح سفن أخرى لنقل الذخيرة والمؤن، المعروفة باسم البطسات، وأن يتضمن أيضا هذا الأسطول أنواعاً أخرى من السفن مثل الشوانى والطرادات وتقوم هذه السفن بمهاجمة أراضى المسلمين ومراقبة البحر ومتابعة الصليبيين المخالفين والمنشقين وذلك لمنعهم من استيراد وتصدير السلع المختلفة كالعبيد والخشب والحديد إلى الأراضى الخاضعة للمسلمين[4].

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٧٧.

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٢١-١٢٢.

(٣) مارينو سانودو : كتاب الأسرار، ص ١٧٧ .

- الغليون هى كلمة معربة عن الأسبانية Galeon وبالفرنسية Gallion وبالإنجليزية Galleon وبالإيطالية Galeone وهى نوع من المراكب عالى الأطراف تمتاز بعظم المقدمة والمؤخرة وكانت تستخدم فى نقل المحاربين وفى بعض الأحيان فى حمل البضائع. لمزيد من التفاصيل انظر: سعاد ماهر: البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية، القاهرة ١٩٦٧م ، ص ٣٣٥؛ درويش النخيلى: السفن الإسلامية على حروف العجم، الإسكندرية ١٩٧٤م ، ص١١٢-١١٣.

(٤) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص١٨٠. راجع أيضا:

Kunstman, *Studien uber Marino Sanudo*, pp. 706-707.

- البطسات مفردها بطسة معناها السفينة الكبيرة واشتهر هذا النوع من السفن فى فترة الحروب الصليبية وكانت تختص بنقل المحاربين والأزواد وكانت تحمل ما بين ثلاثمائة إلى سبعمائة مقاتل. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة [illegible]م، ص ٤٩،هامش رقم[؛ ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، ٣ أجزاء، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٧، جـ٢، ص٣٢٩،هامش رقم].

- الشوانى مفردها شينى وهى نوع من السفن يتميز بطوله وانخفاض سطحه بالنسبة لسطح الماء وتعتمد على المجانيق وكانت يقام فيها الأبراج والقلاع ويرمى منها النار والنفط. لمزيد من=

وقد حدد سانودو تسعة أشهر يتم خلالها تزويد السفن بكل ما يلزمها من مؤن وذخيرة، وأن يتولى قيادتها طاقم ذو كفاءة عالية ولكى يزيد سانودو من حماسة الرجال القائمين على المشاركة فى هذه الحملة اقترح أن يمنحوا كافة ما يستولون عليه من أراضى(١).

وقد أفرد سانودو اهتماماً كبيرا بأسلحة الجيش الذى كان سيخرج فى الحملة المقترحة حيث أقر بضرورة وجود الأسلحة الدفاعية والهجومية التى يحتاج إليها المقاتلون الصليبيون، فيلزم لكل محارب سيف وخوذة حديدية وعدد كبير من التروس

=التفاصيل انظر: ابن مماتى: قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سو ريال عطيه، القاهرة ١٩٤٣م، ص ٣٤٠. راجع أيضا:

Lane, F., Venetion shipping during the commercial Revolution, *AHR* (1933), Vol.38, P. 219.

- الطرادات مفردها طرادة هى سفينة صغيرة لحمل الخيل وهى أشبه بالبرميل وعرف الأوروبيين هذا النوع من السفن فى العصور الوسطى واشتقوا اسمه عن العربية فسموه فى الإيطالية Tartana وفى الفرنسية Tartane. انظر: ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص٤٨،هامش رقم٣ . راجع أيضاً: درويش النخيلى: السفن الإسلامية ، ص٨٩-٩١.
- كان هناك عديد من السلع عملت دول الغرب الأوروبى على حظر استيرادها وتصديرها مثل الرقيق الذين كانوا ذوى أهمية بالغة فى شرق البحر المتوسط خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادى . وكان تجار المدن الإيطالية وخاصة البندقية من النشطين فى تجارة الرقيق وكانوا يأتون بهم من المناطق المتاخمة للبحر الأسود ، وكانت تجارة الرقيق مصدر رزق لهم فخالفوا قرارات الحظر البابوى وجلبوا الرقيق إلى سلطنة المماليك. لمزيد من التفاصيل انظر: كات فليت: التجارة بين أوروبا والبلدان الإسلامية فى ظل الدولة العثمانية، ترجمة أيمن الأرمنازى ، الرياض ٢٠٠٤م ، ص ٨٩-٩٤.
- أما تجارة الحديد كانت من أهم المنتجات التى كان تجار المدن الإيطالية يتاجرون بها وخاصة الجنويه ولكن لم يهتم التجار بقرارات البابوية التى تحظر تجارة الحديد مع المسلمين الأمر الذى جعل البابوية تتوعد المخالفين لقرارات الحظر بالطرد من الكنيسة وكان الحديد يباع فى كافة أرجاء شرق البحر المتوسط وأرمينيا الصغرى وكريت وبيزا. لمزيد من التفاصيل انظر: كات فليت: التجارة بين أوروبا والبلدان الإسلامية، ص ٢٩٩-٢٣١.

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١١٩.

والدروع الواقية للصدر والرأس والرقبة[١]. وأن يحمـــل كـــل جماعـــة منـــهم الأقنعـــة الحديدية[٢]. وأن يحمل الرماة النبال والأقواس وأن يكون فى المراكب الرماح القصـــيرة والطويلة[٣].

كما فضل سانودو" أن تكون فى السفن شناكل حديدية مربوطة بسلاسل حديديـــة حتى أنه عندما يرى الملاحون أنهم تفوقوا الأعداء يلقطون المراكب بهذه الشـــناكل ولا يتركونها تفلت" [٤]. كما رأى سانودو "أن السفن تحتاج إلى منصات للمجانيق الخشـــبية المسماة سبنغاردا SPINGARD وكذلك إلى آلات خاصة أكثر قوة تصل رمايتها إلـــى أبعد ما يمكن والمسماة المدعمة مع كل ما يحتاجه الرجال لتشغيلها من تدريـــب. ومـــن النافع والحسن أن تعلق فى مؤخرة كل سفينة مسلحة خشبة طويلة مربوطة مـــن كـــلا الطرفين تستعملها السفن والبحارة على السواء كرأس كبش quasi aries ويســـتعمل عادة لتحطيم أبواب المدن المحاصرة. ومن المفيد جدا أن تحمل كل سفينة معدة للملاحة آلة رماية ضخمة بإمكانها أن ترمى بالتتالى نحو كل الجـــهات وتكـــون مجـــهزة بكـــل ملحقاتها وكذلك آلة رماية على شكل مـــيزان Balistae a persorola بـــالعدد الـــذى يستحسنه قائد تنلك الجماعة ولو تطلب ذلك عدداً إضافياً من المقاتلين وسيكون فى ذلـك فائدة للسفن المسلحة أيضاً [٥]

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص١٨٢.

(٢) مارينو سانودو : كتاب الأسرار، ص١٨٣.

(٣) مارينو سانودو : كتاب الأسرار، ص١٨٣-١٨٤.

(٤) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٨١. راجع أيضا:

Kunstman, *Studien uber Marino Sanudo*, p. 709.

- المجانيق مفردهامنجنيق كلمة فارسية أو رومية الأصل وهى آلة حربية تستخدم لقـــذف الأحجـــار والسهام وقوارير النفط ولها دفتان عائمتان بينهم سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وفيه كفـــة المجنيق الذى يجعل فيها الحجر، يجذب حتى أسفله على أعاليه ثم يرسل فيرتفع ذنبه الـــذى فيـــه الكفة فيخرج الحجر منه فما أصاب شيئا إلا وأهلكه. لمزيد من التفاصيل. انظر: القلقشندى: صبـــح الأعشى، جـــ٢، ص١٣٦-١٣٧. راجع أيضا:

Oman, Ch., *A history of the art in the middle ages* (London, 1924), p. 219.

(٥) *مارينو سانودو :كتاب الاسرار :ص ١٨٤ .*

وكى لا ينقص شىء للمشروع قال سانودو "حتى يحقق المشروع الهدف الحميد و المأرب المرجو يلزم تماما أن يكون مع كل جيش و خاصة على الأنهار الأبواق و المزامير وكل أنواع آلات الموسيقى الكثيرة الرنين وأن يكثر عددها حتى تتحمس عزائم أصدقائنا على صوتها للقتال فتزرع الفرح فى قلوبهم و يدب الرعب فى قلوب الأعداء الماكرين ." (1).

وقد أكد سانودو فى مشروعه المقدم على ضرورة أن تكون السفن الحربية مزخرفة بالألوان ومليئة بالرسوم المفزعة على الجوانب، وترفرف عليها الأعلام والبيارق والجاليش فى مقدمتها وفى مؤخرتها(2). وقد جاء سانودو متفوقا على أقرانه من الدعاة الذين سبقوه فى هذا المجال حيث لم يرد ذكر زخرفة وتزيين السفن المستخدمة فى مشاريع حملاتهم الصليبية المقدمة إلى البابوية.

وبالنسبة لمؤن الجنود المشاركين فى الحملة فقد الزم سانودو القادة العسكريين بتقديم أنواع الطعام المختلفة من خبز جاف وفول وحبوب واللحم والنبيذ والخمر على، أن يكون هناك نظام لتوزيع هذه الأطعمة على الرجال بشكل منظم فإما أن يوزع الخبز على الجنود لمدة تكفى ليومين أو ثلاثة أو أربعة أيام، أو يكون توزيعه يوماً بيوم(3).

أما بالنسبة للجبن فيوزع على الرجال لثمانية أيام أو لخمسة عشر يوما، ويوزع اللحم المملح كل أسبوع على أن يتم نضجها مع الحبوب(4).

كما حدّد سانودو أن يكون على ظهر كل سفينة أحد الأفراد المسئولين عن أعمال المطبخ وتكون مهمته أن يتسلم اللحوم والحبوب اللازمة للطبخ فى الأيام المخصصة لأكل اللحوم، ويتم استلام هذه الأطعمة قبلها بيوم لتجهيزها وإطعام طاقم

(1) مارينو سانودو : كتاب الأسرار، ص١٨٢.

(2) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٧٩.

- الجاليش معناها فى الأصل الراية العظيمة ويوجد فى أعلاها خصلة من الشعر وقد أطلق الاسم بعد ذلك على مقدمة القلب فى الجيش أو على الطليعة منه. انظر: ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٦٢، هامش رقم ٤.

(3) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٢١٩.

(4) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٩١-١٩٢.

أفراد السفينة[١]. ويكلف ثلاثة رجال باستلام هذه الأطعمة ويرابط أحدهم عند مقدمة السفينة والثانى فى وسطها والثالث فى مؤخرة السفينة، ويعين مع هؤلاء الرجال الثلاثة رجل يكلف بالسهر على الأطعمة خوفا من تعرضها للسرقة حتى يصل لكل فرد من أفراد السفينة حصته من الطعام، وتيسيراً على هؤلاء الرجال وحتى لا يتعرضوا للملل سمح لهم قائد السفينة أن يتبادلوا أماكنهم على ظهر السفينة مع غيرهم من أفراد طاقم السفينة [٢].

ولضمان عدم تعرض الأطعمة للنقصان أو الاختلاس يجب أن تعطى الرواتب كاملة للمسئولين عن توزيع الطعام بدون تأخير وكذلك حصتهم من الأطعمة، حتى لا تكون هناك فرصة للاختلاس أو احتكار الأطعمة حتى لا يؤدى ذلك إلى إلحاق الأذى والضرر بأفراد الجيش، ومن يخالف ذلك يتعرض لعقوبات صارمة وشديدة تصل إلى حد الحبس ، وبهذه الطريقة يستطيع الصليبيين حماية أنفسهم من مختلسى الطعام لحقوق غيرهم من الأفراد وضمان حق الضعفاء مما يقضى على المشاكل التى من الممكن أن يتعرض لها الجيش الصليبى طوال مدة وجوده فى بلاد الشرق الإسلامى[٣] .

وقد شدَّد سانودو على ضمان حقوق النساء اللاتى يقمن مع أزواجهن من رجال الجيش أو الأرامل اللاتى يعملن بالجيش، وذلك بأن تأخذ كل منهن الحصة المخصصة لها من الطعام أسوة بباقى أفراد الجيش من الرجال.[٤] وقد خصص سانودو أيضا معاشاً لكل فرد من رجال الجيش إذا أصابه مرضاً وضعفت قواه الجسدية بشكل لم يسمح له

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٩٢.

- يرى الباحث أن مارينو سانودو كان يقصد من تخصيصه أيام محددة لأكل اللحوم هو توفير النفقات بقدر الإمكان حتى لا يتعلل الملوك والبابوية بالتكلفة العالية حتى لا تزيد النفقات بصورة كبيرة .

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٩٤.

(٣) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٢٠٨ .

(٤) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٢٠٩.

- كانت الجيوش الصليبية عادة ما تصطحب النساء معها فى الحملات الصليبية رغم تحذيرات الكنيسة من ذلك فقد ضمت القوات الصليبية النساء من كل نوع، المتزوجات والراهبات والعاهرات، وكان وجود النساء ضمن جيوش الحملات الصليبية أحياناً أحد أسباب التدنى الأخلاقى بين الصليبيين. لمزيد من التفاصيل انظر: حسين عطية: طبائع الفرنج فى الحملات الصليبية، بحث منشور ضمن كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ الحروب الصليبية، الإسكندرية ٢٠٠٠م، ص٦٢.

ممارسة حياته العسكرية. وكانت قيمة هذا المعاش تعتمد على الراتب الذى كان يتقاضاه وهو فى الخدمة ، أما إذا توفى أو ترك أولاداً وزوجة فتؤول كل حقوقه المالية بنفس القدر الذى كان يتقاضاه فى حياته إلى زوجته وأولاده وفى حالة وفاة الزوجة فيوضع الأولاد الذين لم يصلوا إلى السن القانونية التى تؤهلهم لتحمل مسئولية رعاية أنفسهم فى مكان خاص تحت رعاية قادة الجيش وليتلقوا أسس التربية السليمة والأخلاق الحميدة إلى أن يكونوا قادرين على تحمل المسئولية ومواصلة الحياة العملية[١].

وهكذا ، تميز مشروع سانودو عن مشروعات من سبقوه من دعاة الحروب الصليبية، فلم يغفل شيئا يخص القوات التى كان من المفترض أن تخرج فى الحملة الصليبية التى خطط حتى تنجح فى مهمتها الأساسية وهى الاستيلاء مرة أخرى على الأراضى المقدسة، فالى جانب جنسية هذه القوات تعرض سانودو للسفن التى تنقل القوات و أنواعها و مواصفاتها و تسليحها. كما تميز عن سابقيه فى أنه لم يغفل أمر الحقوق المالية لمن يقضى نحبه أثناء الحملة و حقوق أسرته. وقد اهتم سانودو بكل هذه الأمور فى الوقت الذى اهتم فيه من سبقوه من أصحاب المشاريع الصليبية فقط بجنسية القوات المشاركة فى الحملة الصليبي.

أما بالنسب لقائد الحملة المقترحة والشروط الواجب توافرها فيه فكان هناك إجماع من أغلب الدعاة على شروط القائد. ففيدنزيوا بادوا رأى إنه يجب أن يقود جيش الصليبيين قائد واحد يتصف بالحكمة والتواضع والعدل وحسن التدبير والشجاعة المطلقة[٢]. أما رامون لل فقد رأى أن قائد الجيش يجب أن يكون من سلالة ملكية ويتصف بالشجاعة والحماسة والقوة، وأن يضع نصب عينيه فى المقام الأول مصلحة الصليبيين دون غيرها من الأمور الأخرى وقد أيده فى ذلك شارل الثانى ولكنه فضل أن يكون القائد من أحد الطوائف العسكرية، هذا بينما بقية لم يتعرض بقية الدعاة إلى الشروط التى يجب أنة تتوافر فى قائد الحملة، وكان جلّ اهتمامهم أن يكون أحد رجال الطوائف العسكرية، أو منتميا إلى سلالة ملكية .[٣]

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص٢٠٨-٢٠٩. راجع أيضاً:
Magnocavallo, *Marino Sanudo il Vecchio*, **p. 215.**

(٢) **Fidenzio**, *Liber recuperationis*, **p. 37.**

(٣) **Lull**, *Liber de fine*, **p. 76. Cf. Also, Atiya**, *The crusade in the later Middle Ages*, **p. 79.**

أما سانودو فقد أولى اهتماماً كبيراً بالشروط الواجب توافرها فى القائد المختار لقيادة الحملة ،حيث كتب مذكرة Memoriali خاصة بالأمراء والقواد الذين سيقع عليهم الاختيار لقيادة الحملة والفرق العسكرية، وقدمها إلى البابا يوحنا قائلاً "أن قائد الحملة يلزمه سرعة الخاطر والاهتمام الحثيث والتحسس بما يحقق النتيجة الحسنة، كريم سخى مع الانضباط اللازم، ألا يستهين بأعدائه مما يحتم عليه أن ينتبه ويتجسس ويسمع بعناية كبرى ما قد يكون معاكسا أو مؤذيا له، المحافظة على جماعته وتعريضهم للخطر بأقل ما يمكن، وعدم خوض المعركة إلا إذا كانت كل المبادرة لصالحه ،أخذ الحيطة مسبقا لكل ما يكون ضروريا، الشفقة على الغير أى أن لا يعمل لغيره مالا يريد أن يعمل له، عدم إهمال الأمور الكبيرة بسبب الأمور الصغيرة، النظر بعناية إلى أوضاع الشعب، أى نوعية وحالة الذين يسكنون أرضكم، الفقراء منهم أكثر من المترفين، حب المصلحة العامة أكثر من المصلحة الشخصية، الاستماع إلى الجميع وبعد ذلك التقرير مع القليلين، مكافأة الصالحين ومعاقبة الأشرار، إكرام رجال الكنيسة المقدسة ومعاملتهم باحترام واستقبال التجار والتعامل معهم بلطف، وحمد الله وتسبيحه وبركته على كل ما يتكرم ويمن به من نعم، وأن يكون منظم وشجاع وبحاجة ماسة إلى نعم الله ".(١)

ويتضح مما سبق أن سانودو اتفق مع الدعاة فى كون القائد شجاع وقوى ويهتم بمصالح الصليبيين، إلا أنه استطاع بذكائه الحاد وبعد نظره وتحليله الجيد للأمور أن يهتم بقضايا أهملها الدعاة الذين سبقوه، وكانت سبباً فى فشل بعض الحملات الصليبية، كضرورة حسن العلاقة بين القائد ورجال الكنيسة، وكذا أيضا الاهتمام بالجنود المقاتلين والاستماع إلى كل الآراء الضارة والنافعة، وعدم إهمال الجوانب النفسية لاتباعه مما جعله مميزا على من سبقوه من دعاة الحروب الصليبية .

وبالإضافة إلى تحديد ما يجب أن يتميز به قائد الحملة، فقد أولى سانودو اهتماما خاصا بالأسطول الصليبى وقيادته، وهى غير قيادة الحملة، كما تعدى ذلك إلى مهام خاصة يقوم بها الأسطول الصليبى، وحتى فن الحرب والقتال. كما اهتم سانودو بتحديد أنواع الخشب التى يصنع منها الأسطول، ومصادر الحصول على هذه الأخشاب.

---

(١) مارينو سانودو :كتاب الاسرار ،ص٢٦٠-٢٦١.

وقد راعى مارينو سانودو أيضاً تنظيم الأسطول وقيادته فرأى ضـرورة إرسـال سفينتين للاستكشاف من أفضل السفن المعدة فـي مشـروع الحملـة تكـون مهمتـها استكشافية والكشف عن الجزر والصخور البحرية والقراصنة، بحيث إذا تبين لأى مـن السفينتين وجود أى مكيدة أو أية أمور أخرى تعرقل تقدم مسار الحملة فسرعان ما تقوم بإرسال إشارات معينة متفق عليها يتلقاها الجيش والأسطول ليتدبرا التصدى لذلك.(١)

" فيقوم القائد أو الأميرال والأسطول بإصدار الأوامر للجنـود بتجـهيز أسـلحة الدفاع والسلاح الحربى المناسب استعماله ويفتش عن طريقه مناسبة لبدء المعركة،فـإذا ما تهيا كل شىء وترتب حسب المتفق عليه فان القائد أو أميرال الأسطول يأمر جماعته بالاقتراب من العدو بهدوء وسكينة ." (٢)

وبالإضافة إلى ذلك أدرك سانودو ضرورة أن تكون سفن الأسطول منضمة إلـى بعضها البعض وتكون ألواح المجاديف مقابلة لبعضها البعض حتى لا تكـون هنـاك أى فرصة لسفن المسلمين أن تخترق اصطفاف مراكب المحاربين الصليبيين. كما يجب على كل قائد سفينة أن يطيع أوامر قائد الجيش، كما ينبغى على الجنـود ألا ينسـحبوا مـن المعركة طالما لم تنته، بل وينبغى على كل رماة السـهام والمدربيـن علـى اسـتخدام أقواس والنشاب أن يبذلوا أقصى جهد لهم، وإذا ما فكر أحد الجنود فى الانسحاب مـن المعركة يقع تحت طائلة القانون.(٣)

ومن الواجبات الأخرى التى حددها سانودو لقائد الأسـطول أن تعطـى سـفنه إشارات معينة تعمم على جبهة السفن الأخرى لتعطيهم الأوامر بالرد فقـط علـى مـن يهاجمهم ، وأن لا يتفرقوا على الإطلاق، وأن يكون فى كل السفن والمراكب طوال مـدة بقاء الأسطول فى البحر علامة سرية **Supersignum** يوزعها القائد عليهم حتى يكون من السهل عليهم التعرف على أى سفينة غريبة تدخل بينهم.(٤)

---

(١) مارينو سانودو : كتاب الأسرار ، ص٢٣٤. راجع أيضاً:

Kunstman, *Studien uber Marino Sanudo*, p., p. 760

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٢٣٤-٢٣٥ .

(٣) مارينو سانودود: كتاب الأسرار، ص ٢٣٦.

(٤)مارينو سانودود: كتاب الأسرار، ص ٢٣٧. راجع أيضاً:

Magnocavollo, *Marino Sanudo il Vecchio*, pp. 100-01.

ولكى يتم تنفيذ مهام الأسطول على أكمل وجه حدد سانودو خمسين سفينة للانطلاق عشرون سفينة بالحجم الكبير التى تسير بالمجاديف وعشرين من الحجم الوسط وعشرمن الحجم الصغير، ويفضل أن تكون المجاديف من أفضل الأخشاب ، ويفضل خشب البيرونادا Pironada وتكون هذه الأخشاب مربوطة ببعضها البعض لتتحمل أكثر العناء وعنف التجديف فلا تتحطم بسهولة .[1]

وإذا كانت الأمور لا تساعد على الحصول على هذا العدد الكبير من السفن، فينبغى أن يقوم الصليبيون بصنع باقى السفن التى يحتاجها الجيش الصليبى، وينبغى أن يتم تنفيذ ذلك بأفضل أنواع الأخشاب التى يمكن الحصول عليها من مصادر متعددة فهناك البندقية ويؤخذ منها خشب الشربين Larice وخشب الصنوبر Abeto وهما من أفضل أنواع الخشب ، وهناك أيضاً كريت ويؤخذ منها خشب الوقود للتدفئة وأيضاً على عدد كبير من قرون الغزلان لتصنع منها الأقواس، وبالإضافة إلى ذلك ، توجد هناك أرض صربيا التى يمكن الحصول منها على خشب السنديان .[2] وقد حدد سانودو أيضاً طريقة تسيير السفن فقد فضل أن يكون على كل سفينة أربع جدافين Quartarolos أفضل من خمسة. Quintarolos [3]

---

(١)مارينو سانودود: كتاب الأسرار، ص ١٩٧.

(٢)مارينو سانودود: كتاب الأسرار، ص ٢٠١-٢٠٣. راجع أيضاً:

Kunstman, *Studien uber Marino Sanudo*, p. 768

-صربيا: اختلفت الروايات حول أصل الصرب فعلى حسب الجغرافى اليونانى القديم بوتليمى Potlemy أنهم كانوا يسكنون ضفاف نهر شمال شرق بحر أزوف. أما قسطنطين السابع (٩١٣-٩٥٩م) فيقول بأنهم ينحدرون من الصرب الوثنيين الذين كانوا يسكنون فيما وراء الأتراك فى مكان يسمى بويكى Boiki، ويبدو أنهم آتو من شبه جزيرة البلوبونيز على مرتين الأولى كمهاجرين والثانية كأسرى حرب، وفى القرن العاشر الميلادى قام قسطنطين السابع بتحديد دولتهم فيما بين كرواتيا شمالا وبلغاريا جنوبا. وكلمة صرب فى اللغة الرومانية تعنى العبيد بينما الكلمة الدارجة تعنى الذين يلبسون الأحذية الحقيرة وقد اكتسبوا هذه التسمية لأنهم عبيد للإمبراطور الرومانى. انظر: محمد عثمان: أبيروس وسياستها الخارجية، ص٣١، هامش٢.

(٣) مارينو سانودود: كتاب الأسرار، ص ١٩٧.

– ويرى الباحث أن سانودو ربما فضل النظام الرباعى للتجديف الذى من شأنه أن يحافظ على توازن السفينة .

ويتضح مما سبق أن سانودو قد أظهر شيئا جديدا لم يكن موجودا في أذهان دعاة الحروب الصليبية اللذين سبقوه السابقين عنه وهو اهتمامه بمسألة تخصيص سفن خاصة للتجسس والاستكشاف، بالإضافة إلى تحديده طريقة العمل بالسفن وأماكن الحصول على أخشابها. وهكذا جاءت إجراءات سانودو لتنظيم القوات المشاركة في مشروع حملته الصليبية على أكمل وجه ولم يترك أى شئ إلا وقد أورد له حسابات دقيقة ليدل ذلك على دقته في وضع كل جزئيات و مراحل مشروعه الصليبى للاستيلاء مرة أخرى على الأراضى المقدسة.

وأما بخصوص تحديد الموعد المناسب لقيام الحملة فقد رأى سانودو أن أفضل الأوقات لخروجها من الغرب الأوروبى هو فصل الصيف، حيث يتحرك الجيش والأسطول بتمهل حسب ما يروق لهما حتى تصل قوات الحملة إلى الأراضى المقدسة في فصل الشتاء فيكون الجو مناسبا للصليبيين للقيام بالعمليات الحربية، لأن وصول الحملة في فضل الصيف سوف يضر بهم لشدة الحرارة في ذلك الوقت الأمر الذى من شأنه مما يعرضهم هم ومواشيهم للهلاك بسبب الجفاف الذى يسود هذا الوقت من السنة على النقيض من فصل الشتاء.(١)

و لما كان جل اهتمام سانودو وهو الإعداد الجيد للحملة الصليبية ، فقد اهتم بتوفير القوات العتاد والمؤن الأسطول كوسيلة نقل إلى الشرق و سلاح للحرب ضد المسلمين. وكان سانودو يدرك تماما أن هذا الإعداد الجيد للحملة يعتمد أساسا على الدعم المادى الجيد للحملة المالية. فمن المعروف أن الحروب الصليبية في بلاد الشرق الإسلامى منذ دعوة البابا أوربان الثانى Urban II ١٠٨٨-١٠٩٩م في مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥م لقيام الحملة الصليبية الأولى كانت مكلفة تماما وتحتاج إلى مصادر تمويل متعددة .و قد ظل الأمر كذلك حتى القرن الرابع عشر الميلادى، رغم تغير أسلوب الحروب، بل زادت تكاليف الحملات الصليبية بعد دخول عنصر المرتزقة ضمن عناصر الجيوش الصليبية.(٢)

---

(١) مارينو سانودود: كتاب الأسرار، ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٢) جوناثان ريلى سميث: ما الحروب الصليبية، ترجمة محمد فتحى الشاعر، القاهرة ١٩٩٦م، ص٦٥.

ولذلك فقد احتلت مسائل التكاليف المادية جانباً كبيراً من اهتمام أصحاب مشروعات الحروب الصليبية والتى سبقت مشروع حملة مارينو سانودو فهناك فيدنزيو بادوا الذى اقترح أن تمول الحملة الصليبية عن طريق قائد الحملة الذى يجب أن يكون بالضرورة ثرياً يتحمل نفقات الحملة بنفسه ونفقات من معه من الصليبيين ، وقد عاب فيدنزيو بادوا على الرجال الأغنياء الذين يرفضون تحمل مسئولية المشاركة فى الحملات الصليبية معتمدين فى ذلك على الأموال التى تتبرع بها الكنيسة للصرف منها على الحملات الصليبية ضد الشرق الإسلامى ولذلك فقد عارض فيدنزيو فكرة تحصيل أموال من الكنيسة لهذا الهدف وشكك فى دوافع القادة الذين ربما يشاركون فى الحملة المقترحة.(١)

بينما أقر ويليام لو مارى William La Mari بأن العبء الأكبر من تمويل الحملات الصليبية يجب أن يكون ملقاة على عاتق الكنيسة فتقوم بدورها بجمع الأموال من الأمراء والفرسان الموجودين فى بلدان الغرب الأوروبى بالإضافة إلى ممتلكات الكنيسة الشخصية، وفى نفس الوقت عارض فكرة تحصيل أى أموال من أفراد الشعب.(٢) وجاء على نفس النهج فولك فيلاريه Fulk of Villaret الذى رأى أن تساهم الكنيسة بالنصيب الأكبر فى تمويل الحملات الصليبية، وذلك عن طريق مرتبات الكهنة التى يجب أن تخصص للحملة مع ترك العشر للكهنة كمورد مالى شخصى لهم، ورأى أيضاً أن تؤخذ مرتبات رجال الدين الذين يتغيبون عن أعمالهم بدون إذن مسبق من البابا وتخصص للحملة.(٣)

وقد اشترك مع بييرديبوا مع فولك فيلاريه فى تخصيص مرتبات رجال الدين المتغيبين عن أعمالهم بدون إذن البابا لدعم الحملة مالياً، واقترح أيضاً أن يخصص دخل الأديرة للصرف على الحملة وكذلك المصادر المالية الخاصة بالفرسان من ممتلكات شخصية وإقطاعيات، كما أكد بييرديبوا على ضرورة مصادرة الأملاك الخاصة بالفرسان

---

(١) Fidenzio, *Liber recuperationis*, pp. 42-44.

(٢) Leopold, *How to recover the holy land*, p. 70.

(٣) Leopold, *How to recover the holy land*, p. 75.

لأن من يملك مالاً ولم يشارك فى تمويل الحملة يعتبر خائناً لفكرة الحروب الصليبية وقد لاقت هذه الفكرة رواجاً منقطع النظير فى مجمع فينا فى عام ١٣١١.(١)

ويأتى بعد ذلك وليم نوجارت أحد أهم الدعاة الذين اهتموا بالجانب المالى فأكد أن المصدر الأساسى فى تمويل الحملات الصليبية فى أيدى الكنيسة ورأى أن كل الأمــــلاك الكنسية يجب أن تدعم العدد الأكبر من الجنود أثناء الحملة وأن تفرض الضرائب لتمويل الحملة قبل الحملة بوقت كافى.(٢)

أما راموان لل فقد دعا إلى أن تساهم الكنيسة بجزء مـــن دخلــها فـــى تمويــل الحروب الصليبية إلى جانب فتح باب الإعانات المالية للحملة حيـــث رأى أن الأســـاقفة ورجال الدين والرهبان يجب أن يتبرعوا بجزء مـــن أموالـــهم فـــى تمويـــل الحمـــلات السابقة.(٣) أما شارل الثانى كونت أنجو فقد دعا أيضاً إلى أن تتحمل الكنيســـــة نفقـــات الحملة بالإضافة إلى فرض ضريبة العشر كما دعى أيضاً إلى فرض ضريبة على التجـــار وسلعهم المصدرة إلى الخارج وتخصص للحملة ، كما أيضاً إلـــى ضـــرورة تحصيـــل ضرائب باهظة من الأغنياء بالإضافة إلى التبرعات التى يتبرع بـــها الصليبييـــن إلـــى الكنيسة.(٤)

ويتضح مما سبق أن أفكار الدعاة السابقين على مارينو قـــد جـــاءت أفكـــارهم متشابهة بشأن التمويل المالى فاتفقوا جميعاً على أن الكنيسة يجـــب أن تقـــوم بـــالدور الأكبر فى تمويل الحملات الصليبية بالإضافة إلى التبرعات وذلك باستثناء فيدنزيو بـــادوا الذى عارض فكرة استخدام الأموال الكنسية ودعا إلى تحمل الأغنياء مصاريف الحملـــة. ولكن لم يهتم أحد من الدعاة بالعوامل التى تؤدى إلى البطىء فى جمـــع الأمـــوال ممـــا يؤدى إلى تأخير استلام أفراد الجيش الأموال المخصصة لهم .

---

(١) Forey, The military orders in the crusading proposals of the late thirteenth and early fourteenth century, *Traditio* 36(1980), pp. 320-240.

(٢) Lunt, the First levy of papal annates, *AHR* 18(1912) pp. 50-53.

(٣) Lull, *Liber de fine*, pp. 270-61.

(٤) Leopold, *How to recover the holy land*, pp. 80-81; le Roulx, *Le France en orient*, p. 59.

أما بالنسبة للجانب المالى عند سانودو فقد اهتم بـــه بشـــكل دقيـــق ومفصـــل فخصص جزءاً كبيراً من مشروعه لتمويل الحملة ثم مصادر الحصـــول علـــى الأمـــوال اللازمة لذلك . فبداية بتكاليف الحملة المقترحة عند مارينو سانودو فقدرها بمبلغ اثنيـــن وسبعين ألف فلورين على أساس أن عدد بحارة الحملة يبلغ ألفين وخمسمائة رجل، بمـــا يوازى مائتين وخمسين رجل لكل سفينة.(١) وقد جاء تحديد سانودو وعلى الوجه التالى:

المنصـــــب	الراتب الشهرى
ربان Uno Comito	خمسة عشر صولدى Soldi
ثمانية ملاحين Naucleriis	سبعة صولدى لكلٍ واحد منهم
نجاران ومقلفطان	ثلاثين كروسى Grossi
كاتبان Scribas وتكون مهمتهما توزيع الطعام	الواحـــد منـــهم ســـبعة ونصـــــف صولدى.(٢)
كاتبان آخران لحراسة الأسلحة وتوزيعها على كـــل عنصر	سبعة ونصف صولدى لكـــل واحـــد منهم
طاهى Coquinator	أربعة صولدى
خمسون من رماة الأقواس Balistary	خمسة صولدى للواحد منهم
عشر جدافين سريعين Portoladi عند مقدمـــة السفينة	ستة صولدى للفرد الواحد
عشرين جدافاً على مقاعد السفينة	خمسةصولدى للفرد الواحد
ثلاثين مجدفاً من الأشداء Poderi	خمسة صولدى للفرد الواحد
مائة وعشرين مجدفاً Remigatores	أربعة صولدى للفرد الواحد.(١)

---

(١) Magnocavollo, *Marino Sanudo il Vecchio* ,p.190

-الفلورين: عملة أصدرتها مدينة فلورنسا ابتداء من عام ١٢٥٢م وعرفت باسم Florino d'ore وكان وزنه ٣,٥٣جم من الذهب الخالص . انظر:

Grierson,P., and Travaini,L., *Medieval European Coinage*(Cambridge, 1998), pp. 461-62.

(٢) مارينو سانودو :كتاب الاسرار ،ص ٢٠٩-٢١٠ .

راجع أيضا: Cardinic, I costi della crociata, p.90-92.

-الصولدى عملة بيزنطية من الذهب أصدرت فى عهد قسطنطين الأول ويبلغ وزنها ٢٤ قيراط أو ٤,٥٥جرام.انظر : Grierson, Byzantine coinage(Washington,1999),p59.

ويجب أن يكون على كل سفينة رجلان مقابل راتب عشرة ونصف صولدى وتكون مهمتهم القيام بأى عمل يراه القائد أو قطبان السفينة ضرورياً أو مفيداً لمصلحة الجيش، وبذلك يكون مجموع الرواتب ٧٢٠٠٠ ألف فلورين .(٢) وقد أكد مارينو سانودو على عدم أحقية طاقم السفينة في المطالبة بأى أموال أخرى غير راتبهم فقط ومن يخالف ذلك سوف يعرض نفسه للعقوبة .(٣)

وقد أقر سانودو وسائل عديدة من أجل الحصول على الأموال اللازمة لتمويل الحملة وسد جميع حاجاتها المالية فاقترح أن تمول الكنيسة الحملة من أموالها الخاصة عن طريق تبرع رجال الدين بجزء من دخلهم وأن تفرض ضرائب على رجال الدين المستفيدين من الممتلكات والأوقاف الكنسية.(٤) وفى نفس الوقت دعا البابوية واقترح عليها القيام بالحملة الصليبية فى أنحاء العالم الأوروبى ، حتى يشارك العالم المسيحى بكل طوائفه فى دعم هذه الحملة مادياً ولعل ذلك يتضح فى كلامه الموجه إلى البابوية قائلاً فيه "لو قدر لقداستكم أن تقيموا احتفالاً رسمياً لإعلان الكرازة بتعبئة الحرب الصليبية وينادى بها فى كافة أنحاء العالم المسيحى".(٥)

---

(١) مارينو سانودو : كتاب الأسرار،ص٢١٠.

- الكروسى: هى أكثر أشكال العملات فى القرون الوسطى انتشاراً خاصة فى فترة البنسات كانت محدودة إلى حد ما. انظر:

- **Grierson,P., and Travaini,L., *European Coinage* p.462**

(٢) مارينو سانودو : كتاب الأسرار، ص ٢١٨.

راجع أيضاً: **Cardini, I costi della crociata , p. 90.**

(٣) مارينو سانودو : كتاب الأسرار ، ص ٢١٧.

(٤) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص٢١٩. راجع أيضاً:

Kunstman, *Studien uber Marino Sanudo*, p. 787

- عندما اقترح مارينو سانودو ضرورة مساهمة الكنيسة فى الإعداد المالى لمشروع حملة كان ذلك تطبيقاً لقرارات البابوية فى المجامع الكنسية وعلى رأسها القرار رقم ٣٢ فى مجمع ليون الكنسى فى عام ١٢٧٤م حيث نص على أن يقدم كرادلة الكنيسة بدفع ضريبة من دخلهم الكهنوتى للمساعدة فى الاستيلاء على الأراضى المقدسة وفرض العشر على ممتلكات الكنيسة . لمزيد من التفاصيل انظر:

***Disciplinary Decrees of General council*, ed. Schroder, Hit (London, 1993), p. 361.**

(٥) مارينو سانودو: كتاب الأسرار ، ص ٢١٤.

ويستدل من ذلك أن سانودو قد فتح باب التبرعات من الغرب الأوروبى عامة للمشاركة فى خروج مشروعه الصليبى إلى حيز الوجود، وبالإضافة إلى ذلك أوصى سانودو بفرض ضرائب على الأثرياء والأمراء والبارونات فى الغرب الأوروبى ومدنهم دون أدنى تأخير فى تنفيذ ذلك وأن تقوم الكنيسة بتولى مهمة جمع هذه الضرائب هذا ، و لم يرد أية إشارة تظهر قيام الكنيسة لتحصيل هذه الضرائب-كما اقترح سانودو أيضاً بأن يتحمل النبلاء والأغنياء قدراً من نفقات الحملة الصليبية أو يشاركوا فى تجهيزها، وإذ لم يشترك النبلاء بأنفسهم فى قيادة الحملة فعليهم أن يتبرعوا بجزء من أموالهم مساهمة منهم فى إخراج الحملة إلى حيز التنفيذ.[١] ولم يكتف سانودو فقط بتحديد مصادر التمويل المالى للحملة،بل قام بنفسه بطلب الدعم المالى للحملة من بعض أمراء الغرب الأوربى مثل فيلهم كونت هولندا ،و لويس دوق البربون حيث طالبهما بالتبرع بجزء من أموالهم و أموال الأغنياء من أجل الحملة الصليبية المزمع قيامها[٢].

ويبدو أن البابوية لم تقم سوى بالدعوة فقط دون اتخاذ أى خطوة إيجابية فى سبيل دعم الحملة مالياً. الأمر الذى يرجع إلى فشل السياسة البابوية فى السيطرة على ملوك وأمراء الغرب الأوروبى وعدم قدرتها فى التأثير عليهم للقيام بحملة صليبية جديدة أو حتى المساهمة ماليا فى خروج الحملة الصليبية المنتظرة، بسبب ما أصابها من ضعف فى ذلك الوقت، بالإضافة إلى عدم ثرائها المالى مثلما كانت عليه من قبل. بل أنها استغلت نداءاتها المتكررة بالدعوة إلى الحروب الصليبية من أجل زيادة ثرائها وتلقى التبرعات والمنح، وبيع المزيد من صكوك الغفران[٣].

ويتضح مما سبق أن سانودو، قد بذل مجهوداً كبيراً فى سبيل الحصول على الدعم المادى اللازم للحملة، فلم يترك أى فرصة إلا حاول بكل ما أوتى من قوة أن يدعوا الغرب الأوروبى بكل ملوكه وأمراءه وطوائفه بأن يساهموا فى دعم الحملة ماديا حيث أن ذلك واجب مقدس عليهم. فالدعم المادى عند سانودو كان خطوة رئيسية لكى تبدأ الحملة الصليبية فى تنفيذ استراتيجيته التى وضعها لتحقيق حلمه فى الاستيلاء على الأراضى المقدسة مرة أخرى وهذا ما سيتضح فى الفصل القادم.

(١) مارينو سانودو : كتاب الأسرار، ص ٢١٦.

(٢) **Letter of Marino Sanudo to Louise de Bourbon, p. 812; Letter of Marino Sanudo to Phylum count Holland, p.815.**

(٣) سعيد عاشور :أوروبا العصور الوسطى،ج ١،ص ٥٣٠. راجع أيضا:
Margaret, *A history of medieval church*, p.180.

الفصل الرابع

استراتيجية حملة مارينوسانودو

- الأهداف الاستراتيجية للحملة .
- خط سير الحملة .
- تحديد الحلفاء .

سبق أن أشرنا فى الفصل السابق إلى الإعداد المادى لمشروع الحملة المقترحة كما حدد مارينو سانودو للاستيلاء على الأراضى المقدسة من حيث القوات المشاركة فى الحملة سواء البرية أو البحرية، وتحديد الأماكن التى تتوافر فيها هذه القوات وجنسياتها. وعرفنا أيضا عن الشروط التى يجب أن تتوافر فى القادة الذين سوف يتولون قيادتها، والواجبات المفروضة على القادة والجنود والمهام المكلفين بها والحقوق المادية التى يحصلون عليها، ومصادر التمويل المالى للحملة بالمقارنة مع سبق وأن أشار إليه دعاة الحروب الصليبية السابقين على مارينو سانودو.

كيفما كان الأمر فقد تغيرت أوضاع الشرق الإسلامى والغرب اللاتينى بعد سقوط عكا فى ١٢٩١م/٦٩١، لأن سقوطها كان دليلاً على انقلاب الأوضاع لصالح المسلمين فأصبحت سلطنة المماليك قوة عسكرية كبيرة يصعب الدخول معها فى معركة مباشرة للاستيلاء على الأراضى المقدسة ومن هنا وجب على الصليبيين البحث عن إستراتيجية جديدة لتحقيق هدفهم بعد أن ثبت فشل استخدام القوة وحدها فى مواجهة قوى المماليك وإنتهى رأى دعاة الحروب الصليبية إلى ضرورة إرسال حملة تمهيدية ضد المسلمين يكون هدفها فى البداية هو إضعاف قوة المسلمين اقتصادياً بفرض الحصار البحرى عليهم ثم الهجوم عليهم عسكرياً، وكان هذا هو محور خطط مشروعات استرداد الأراضى المقدسة من المسلمين لأغلب دعاة الحروب الصليبية أمثال فيدنزيو بادوا وشارل الثانى ورامون لل وكذلك مار ينو سانودو مع اختلاف تطبيق هذه الأفكار.[١]

وقبل التطرق إلى الإستراتيجية المقترحة للحملة من جانب سانودو ينبغى الإشارة سريعا إلى استراتيجية الدعاة السابقين عليه . فبداية من فيدنزيو بادوا الذى اقترح إستراتيجية تقوم على أساس عدم الاكتفاء فقط بقرارات الحرمان الصادرة من البابوية ضد كل من يتاجر من الأوروبيين مع المسلمين، بل رأى ضرورة فرض الحصار الاقتصادى ضد سلطنة المماليك لمدة تتراوح ما بين أربع إلى ست سنوات قبل الحملة العسكرية[٢] وأتبع ذلك باقتراح يقضى بإرسال أسطول عسكرى مكون من أربعين إلى خمسين سفينة شراعية لاعتراض التجارة مع المماليك وفى نفس الوقت القيام بهجوم

(١) Leopoled, How to recover the holy land, pp.78-80.

(٢) Fidenzio, liber recuperationis, pp.45-47.

على شواطئ المماليك ويكون ذلك متزامنا مع هجوم برى على شمال بلاد الشام، وقد رأى فيدنزيو أن هذا الحصار سوف يحمى المناطق الخاضعة لسيطرة الصليبيين وسوف يمنع السلطان الأشرف خليل من إرسال جيشه إلى بلاد الشام خوفا من حدوث هجوم شامل على مصر(١).

و بينما تتفق استراتيجية كل من شارل الثانى ورامون لل مع فيدنزيو بادوا، نجد أن فولك فيلاريه Fulk villert مقدم الإسبتارية الذى أدرك بثاقب نظره عدم إمكانية القيام بحملة عسكرية ضد المسلمين فأوصى باتخاذ إستراتيجية جديدة ذات طابع اقتصادى بحت، حيث تهدف إلى استنزاف موارد قوى المسلمين الاقتصادية حتى تضعف تماما فتأتى قوة عسكرية محدودة من الغرب الأوروبى فتستولى على أملاك المسلمين، ويتم ذلك باستخدام أسطول مكون من ستين سفينة حربية لتقوم بفرض الحصار الاقتصادى فقط ضد سلطنة المماليك،لتحرم بذلك المسلمين من المنتجات الواردة من السوق الأوروبية وفى نفس الوقت تحرمهم من تصدير القطن أهم سلعهم إلى أوروبا وتوابل الشرق (٢).

وعلى نفس المنوال سارت مشاريع كل من هنرى الثانى لوزينان ملك قبرص وهيثوم الأرمينى مع خطط المشاريع السابقة على أن يفرض الحصار الاقتصادى على سلطنة المماليك ثم يلى ذلك مهاجمتها عسكرياً(٣). وكذلك هدفت خطة مشروع جيمس مولاى مقدم الداوية، إلا إن خطته كانت ذات ثلاث مراحل(٤).

أما مشروع مارينو سانودو، وإن كان يتفق فى مضمونه مع مشروعات سابقيه ويرمى أيضاً فى البداية إلى فرض حصار اقتصادى على دولة المماليك ثم القيام بهجوم

---

(١) Fidenzio, *liber recuperationis*,p.48.

(٢) Document on the later crusade, ed. And translated by, Housley (London, 1996), p. 43.

Ashtor, The venetian cotton trade in Syria in the latter middle ages, in, *Studia Medivalia*,pp.676-687.

(٣) Henry II, Consilium, pp. 119-123; Hayton, Flos,pp.356-359.

(٤) Barber, James. Of Molay, pp. 97-100, Cardini, I costi Della crociata, p. 184.

وعن المراحل الثلاث للحملة انظر: الفصل الأول ص.

عسكرى يجتاح بلادهم بما فيها الأراضى المقدسة، فإن تميز بأنه أمدنا بتفاصيل تنفيذ هذا المشروع لكل مراحله. وبذلك قامت استراتيجية مشروع سانودو على دراسة دقيقة للأحوال الاقتصادية لبلدان الشرق الأدنى الإسلامى. وفى البداية رأى سانودو أن القيام بهجوم عسكرى مباشر ضد المسلمين هو بمثابة انتحار يؤدى إلى فشل الحملة كلها، لذا يجب أولا إضعاف المسلمين اقتصاديا ثم توجيه الضربة العسكرية إليهم فلا يمكنهم التصدى للغزو الصليبى.

وترتكز الفكرة الرئيسية التى بنى عليها سانودو مخططه لضرب الاقتصاد المملوكى، على فرض حصار محكم على التجارة الخارجية لسلطنة المماليك فالجزء الأكبر من الأرباح التى تمتع بها السلطان المملوكى والشعوب الخاضعة له ترجع فى رأيه إلى أن السلع لا تنتج محليا فى مصر أو غيرها من بلدان السلطنة بل تأتى من الشرق الأقصى من الهند إلى سلطنة المماليك عبر عدن من ناحية ومسيرتها فى الدولة الإيلخانية فى فارس عبر هرمز وقيس والبصرة وبغداد من جهة أخرى[١].

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٠١-١٠٢. راجع أيضا:

Beazly, *modern geography,* vol. 3, p. 310.

- الدولة الإيلخانية: كلمة إيلخان تطلق على خان القبيلة، وقيل لكل حاكم من حكام المغول بفارس إيلخان وقيل للأسرة كلها الإيلخانيون. وقامت هذه الدولة فى فارس على يد هولاكو عام ١٢٥٣م/٦٥١هـ .و قد تعرضت الدولة للصراعات الداخلية حيى تداعت أخر الأمر وحل محلها الأسرات المحلية . لمزيد من التفاصيل :شبولير، المغول فى التاريخ، ترجمة يوسف شلب، دمشق ١٩٨٩م، ص ٥٩-٦١؛ بوزورث: الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى دراسة فى التاريخ والأنساب، ترجمة حسين اللبودى، القاهرة ١٩٩٥م، ص ٢٠٩-٢١١.
- وهرمز: هى من أهم الموانى فى العصور الوسطى من خلال نشاطها التجارى، وهى مجمع تجارى لحكام كرمان وتشتهر بكثرة النخل ودمرت فى عام ٧٠١هـ/١٣٠٠م فانتقل مكانها إلى جزيرة جديدة على مقربة من هرمز القديمة وأطلق عليها نفس الاسم وظلت على تبعيتها لحكام كرمان الذين يدينون بالولاء للمغول. لمزيد من التفاصيل انظر: الأصطخرى: المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، القاهرة ١٩٦١، ص٩٩. راجع أيضا ليلى عبد الجواد: الحياة فى هرمز فى العصور الوسطى، بحث منشور ضمن أعمال ندوة : إقليم الخليج على مر عصور التاريخ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٣٣٣-٣٣٥.

وكان سانودو يهدف من وراء ذلك إلى التأكيد على أن هناك منـــاطق وطـــرق بديلة يمكن عن طريقها الحصول على السلع الشرقية دون التعامل مع سلطنة الممـــاليك، ومن ثم أن امتناع التجار الأوروبيين عن المتاجرة مع الســـلطان المملوكـــى ســيؤدى بالضرورة إلى حرمانه من تلك الأرباح الهائلة التى يجنيها[١]. وفى نفس الوقــت الــذى يتمكن فيه التجار الأوربيون من الحصول على السلع القادمة من الهند والشرق الأقصــى عن طريق أراضى فارس حيث كان الايلخانيون يسمحون للتجـــار الأوربييـــن باجتيـــاز الطرق الواصلة إلى الهند عبر أراضيهم، وكان على النقيض من ذلك حظـــر ســـلاطين المماليك على الأوربيين اجتياز الطرق المارة بأراضيهم إلى الهند[٢].

علاوة على ذلك يخبرنا سانودو بأن السلع الواردة عبر فارس كانت ذات قيمـــة وجودة عالية وأقل تكلفة لأن الضرائب المفروضة عليها قليلة، أما السلع القادمة خـــلال مصر نقلها أسهل ولكنها تختلف فى أن ضرائبها عالية وأقل جودة، والدليل علـــى ذلـــك الزنجبيل، إذ يشير إلى أن الزنجبيل الذى يصل إلى الإسكندرية كان أقل جـــودة وأكـــثر عرضة للتلف من شبيهه الذى يأتى عبر فارس ويرجع ذلك إلى طـــول الطريـــق الـــذى تقطعه قوافل التجارة بحرا من الهند إلى مصر[٣].

– قيس أوكيش: هى جزيرة قيس بن عمرو تقع وسط الخليج الفارسى، وكـــان حكامـــها ينافســـون حكام هرمز فى جذب السفن التجارة القادمة بسلع الهند والصين إلى الخليج الفارسى وقد نجـــح حاكم هرمز قطب الدين فى الاستيلاء على الجزيرة فى عام ١٣٣٠م. لمزيد من التفاصيل انظـــر: الادريسى: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، تحقيق إبراهيم شوكة، العـــراق ١٩٧١م، ص٤١. راجع أيضا: ليلى عبد الجواد الحياة فى هرمز فى العصور الوسطى، ص٣٥١.

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٠٣.

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٠٣-١٠٤.

(٣) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٠٤.

– الزنجبيل : من أشهر التوابل التى شاع استعمالها فى العصور الوسطى لـــدى الأوربييـــن وهـــو عبارة عن نبات معمر ذو ريزومات متشحمة لونه أبيض طيب الرائحة شبيه بالفلفل و هو منبـــت عطرى و زهره اخضر ذو شفاة أرجوانية ونافس الفلفل والبهارات واهتـــم الأوربيـــون بجلبـــه واستعماله فى طهى الأطعمة وصناعة العقاقير الطبية ويزرع فى الهند والصين وبعـــض البـــلاد العربية ويباع أما أخضر أو مخلوط بالسكر. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن البيطار:مختار الجـــامع فى الأدوية المفردة،تحقيق احمد فريد،القاهرة د.ت،ص٢٠٧.راجع أيضا:على حسين: النشـــاط=

ولم يكتف سانودو بذلك بل دعا دول الغرب الأوروبى إلى الامتناع عن استيراد السلع والبضائع المنتجة محليا فى مصر وإيجاد بدائل أخرى للحصول على هذه السلع، ويظهر هذا فى منتجات عديدة مثل السكر والأفاوية حيث يتم إنتاجهما بكميات كبيرة فى دولة المماليك الأمر الذى يحقق له أرباحاً كثيرة يحصلون عليها، بالإضافة إلى الحرير الذى كان يمر عبر الأراضى المصرية فيجنى السلطان من وراءه رسوم مرور وضرائب هائلة[١]. ومن الممكن حرمان المسلمين من هذه الأرباح عن طريق امتناع الصليبيين عن استيراد الحرير والسكر من المماليك ، باعتبار أن السكر ينتج فى أماكن عديدة مثل قبرص ورودس والمورة، أما بالنسبة للحرير فينتج فى صقلية والمورة وأبوليا وكريت. وهكذا يستطيع الصليبيون تأمين ما يحتاجون إليه دون الاعتماد على دولة المماليك[٢].

=التجارى فى شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى ١٢٥-١٥١٧م، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٢٣٤،نيرمين عبد الوهاب:تاريخ الطب و التطبيب فى الأندلس٤٧٩-٨٩٧هـ/١٠٨٦-١٤٩٢م،رسالة ماجستير غير منشورة،طنطا ٢٠٠٥م،ص ٢٠٠ .

[١] مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٠٤.

راجع أيضا: Magnocavalo, *Marino sanudo il vecchio*, p. 119.

- الأفاوية: هى أحد أنواع التوابل كثر استعمالها فى العصور الوسطى تعرف باسم القرنفل عبارة عن جنس أزهار مشهور من الفصيلة القرنفلية دائمة الخضرة تشبه شكل المسمار،وقد ذكر فى الكتب الخاصة بحفظ الأطعمة وخاصة الأسماك وتتبيل اللحوم واستعمل أيضا فى الأغراض الطبية ولا تكاد تخلو صيدلية فى العصور الوسطى منه. انظر: ابن البيطار:مختار الجامع،ص٥٣٧. راجع أيضا: محمد الأشقر: تجارة التوابل فى مصر فى العصر المملوكى، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٢٥٨.

[٢] مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٠٤-١٠٥.

- الحرير: كان الصينيون هم أول من عرفوا استخراج الحرير من دوزة القز فى الألف الثالث قبل الميلاد. وينسب الصينيون هذا الاكتشاف إلى الإمبراطور لنج شى His-Ling-chi التى اشتق لفظ Silk بمعنى الحرير من اسمها وانتقل اللفظ بعد تحويره إلى اللغات اليونانية واللاتينية واللغات الحديثة. انظر:

محمد الجمل: الدول الإسلامية المستقلة فى المشرق، الإسكندرية، ٢٠٠٢ م، ص٤٣٤.

أما عن أهم طرق تجارة الحرير فهى كالآتى:

١-الطريق البرى من شرق قارة آسيا إلى غربها وكان من أهم طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب بالنسبة للحرير.

٢-الطريق البحرى من الصين والهند عبر بحر فارس إلى غرب آسيا. =

وكذلك أوصى سانودو بضرورة تشديد الرقابة على البحر الأبيض المتوسط حيث تقوم السفن الأوروبية بنقل الكتان المصرى إلى مختلف البلدان الأوروبية مما يعود بفائدة عظيمة وأرباح هائلة على السلطان المملوكى و رعاياه خاصة وأن الكتان المصرى يتصف بالجودة ورخص السعر، مما يجعله يجد له سوقا رائجة فى أوروبا. وهناك أيضا القرفة والافاوية، ولذا يجب تشديد الحصار على دولة المماليك لضمان عدم قيام تجار أوروبا بالاتجار مع المماليك فى مصر والشام [(١)].

٣-الطريق البحرى عبر البحر الأحمر ويمتد هذا الطريق من الصين والهند إلى مسقط وموانى عمان ثم تسير السفن بحذاء شاطئ شبه الجزيرة العربية ونتوقف فى عدة محطات حتى تصل إلى عدن ثم تنقل البضائع عبر البحر الأحمر إلى موانى مصر أو تتجه السفن إلى ميناء آيلة ثم دمشق وموانى الشام. انظر: محمد الجمل: الدول الإسلامية، ص٤٤٤-٤٤٩.

- رو دس Rhodes هى من أكبر جزر الدوديكانيز Dodecanese تمتد بمحاذاة الشواطئ الجنوبية الشرقية من آسيا الصغرى. ومن أشهر منشآتها تمثال كولوسوس Colossus، ولعبت دورا بارزا فى الحروب الصليبية من عام ١٠٩٧-١٠٩٩م حيث كانت سفن التجار تقوم بتزويد الصليبيين بما يحتاجون إليه. انظر: O.D.B, vol. 3, p.1791.
- المورة تعرف باسم آخيا وتعنى شجرة التوت التوت وأيضا تعرف باسم البلوبونيز انظر: O.C.D., P. 2, O.D. B., vol. I, pp. 11-12
- أبو ليا Apulia هى منطقة تمتد بطول البحر الإدرياتيكى تضم أقاليم متعددة مثل فوجيا Foggia برنديزى Brindisi-لونيو Lonio وتشتهر بزراعة اللوز والزيتون إلى جانب الحرير. انظر: Moore, *Encyclopedia of places*, p. 44.

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص١٠٥. راجع أيضا:
Cardini, *Icosti Della crociala*, p. 182.

- القرفة أو الدراصينى: وهى معربة عن كلمة درا شين الفارسية عبارة عن شجر هندى كالرمان و أوراقه كورق الجوز و لذلك فهى من فصيلة الجو زيات تنبت أشجارها على شواطئ وأنهار الهند وفى بلاد الملبار بالصين وتصل إلى القاهرة عن طريق البحر المتوسط ويستخدم كمشروب خاصة فى فصل الشتاء. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن البيطار:مختار الجامع، ص ٢٠٠؛ المراكشى: أرجوزة الفواكه الصيفية و الخريفية ،تحقيق عبد الله بنصر العلوى ،أبو ظبى ١٩٩٩ م ،ص ٤٧. راجع أيضا:على حسين : النشاط التجارى فى شبه الجزيرة العربية، ص٢٣٢؛نعيم زكى طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، القاهرة،١٩٧٣م، ص٢٠٣.

ودعا سانودو أيضا إلى حرمان سلطنة المماليك من بعض المعادن التى لا توجد فى أراضيها مثل الذهب والفضة والنحاس والحديد ، وكذلك بعض المنتجات الأخرى مثل الزيوت والعسل والزعفران والجوز واللوز والصموغ وغيرها من المنتجات(١). وكذلك شدد سانودو على أهمية وقف صادرات الحديد والأخشاب والقار إلى مصر، وهى من المواد الحربية التى تستخدم فى بناء السفن والمراكب ولم يهدف سانودو من وراء هذا الإجراء إلى إضعاف البحرية المملوكية فحسب بل، ذهب إلى أبعد من ذلك وتميز مشروعه عن مشروعات بقية الدعاة فى أنه كان يهدف إلى تعطيل وشل حركة المواصلات النهرية بين الأقاليم المصرية، والتى كانت تعتمد على المراكب النيلية، ولما كانت هذه المراكب النيلية تقوم بدور رئيسى فى نقل الغلال والبضائع إلى مختلف الأقاليم المصرية عبر نهر النيل وفروعه، فتتوقف صناعة السفن والمراكب النيلية لعدم توافر مستلزماتها، مما سيؤدى بالضرورة إلى تعطيل و شل حركة نقل الغلال والمؤن إلى القاهرة عبر النيل والاضطرار لنقلها عبر الطريق البرى مما يلحق أشد الأضرار بالتجارة الداخلية، ويجعل سلطنة المماليك لقمة سائغة فى أيدى الصليبيين(٢).

كذلك أشار سانودو إلى ضرورة حرمان السلطان المملوكى من كنز بشرى يتمثل فى الرقيق يجلبهم السلطان من أقاليم البحر الأسود(٣). ويعمل على تدريبهم وتعليمهم الفنون العسكرية ليكونوا العمود الفقرى لجيشه الذى يحارب الصليبيين. ولذلك كان حرمان مصر من هذا المورد أمراً ضرورياً لإضعاف قوة الجيوش المملوكية، حيث تميز

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار،ص١٠٦

- الزعفران عرفة العرب منذ قديم الزمان وتعددت أنواعه بحسب أماكن زراعته فزرع فى إيران وتوفر فى أسواق أوروبا وكان يستخدم فى الطهى والعطور وكعقار طبى فى العصور الوسطى. انظر: على حسين: النشاط التجارى فى شبه الجزيرة العربية ، ص٢٣٥.

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٠٤-١٠٧ و ١١٤.

(٣) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص١٠٦.

- وكان الرقيق من أهم السلع الحربية التى يحصلون عليها عن طريق الجنويين وذلك من خلال الطريق البحرى الذى ربط مصر بالقدم عبر مضيق البوسفور. انظر: ليلى عبد الجواد إسماعيل: علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك البحرية (٦٥٩-٧٨٤هـ/١٢٦١-١٣٨٢م) مجلة كلية الآداب ،جامعة القاهرة ١٩٨٦م ، العدد ٤٦، ٤٧ ، ص٦٠-٦١.

الرقيق الذين كان يجلبهم المماليك من هذا الإقليم بالقوة الجسدية و الشـجاعة و شـدة البأس مقارنة بالعناصر الأخرى التى يتم جلبها من أقاليم أخرى [١].

وقد رأى سانودو أن ضرورة إحكام الحصار الاقتصادى على سلطنة المماليك من خلال اتخاذ البابوية موقفاً حازماً ضد المخالفين لهذا الحصار عن طريق فرض عقوبات دنيوية تفرض على المخالفين من يتعامل مع سلاطين المماليك فى مصـر فـى مجـال التجارة براً و بحراً وينبغى أن تفرض عقوبات مماثلة على الحكام والسلطات العلمانيـة فى أوروبا فى حالة دعمهم للتجار بأى شكل من الأشكال، ويجب أن تكون هذه العقوبات أبدية حتى يرتدع ضعاف النفوس.[٢] هذا إلى جانب عقوبات معنوية دينية تتمثـل فـى إصدار قرارات الحرمان ضد من يخالف تعليمات الحظر الاقتصادى.[٣]

وزيادة فى فرض العزلة الاقتصادية وإمعاناً فى إذلال سلطنة المماليك تضمنـت خطة سانودو فكرة لم يسبقه فيها غيره من الدعاة ، وهى ارتكازه على عـزل سـلطنة المماليك اقتصادياً عن بقية القوى الإسلامية الأخرى، وذلك بقطع جميع الطرق الواصلـة بين السلطنة وبين هذه القوى الإسلامية، لمنع تصديرهـا السـلع كـالتوابل والأقطـان والسكر وغيرها من السلع إلى مسلمى شمال إفريقيا والأندلس مـع مراقبـة الشـريط الساحلى الممتد عبر هذه المناطق مما يضر بسلطنة المماليك وأيضـاً مسـلمى شـمال إفريقيا والأندلس[٤].

---

(١) مارينو سانودو : كتاب الأسرار ، ص ١٠٤ – ١٠٨. راجع أيضاً:

Atiya, *The crusade in the later middle ages*, p.122

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١١٥. راجع أيضاً:

Kunstmann, *Studien uber Marine Sanudo*, pp. 743-744.

(٣) مارينو سانودو : كتاب الأسرار، ص ٩٥.

راجع أيضا: Atiya, *The crusade in the later middle ages*, p. 120.

– الحرمان: هى عقوبة كنسية استخدمتها البابوية كسلاح ضد الأفراد والملوك والحكومـات وكـل المعارضين لها، وعندما تفرض على فرد يصبح هذا الفرد منبوذاً من المجتمع المسـيحى فـلا يسمح لأحد بالاقتراب منه أو التعامل معه سوى زوجته وأبنائه انظر: سـعيد عاشـور: أوربـا العصور الوسطى، جـ٢، ص٢١٩.

(٤) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١١٦–١١٧.

وهكذا يتضح مما سبق أن مارينو سانودو قد طرح عدداً من الأفكار الجديدة لإحكام الحصار الاقتصادى على سلطنة المماليك، حيث اقترح الحصار الاقتصادى كحملة تمهيدية أساسية لنجاح الحملة العسكرية الرئيسية لاحقاً فوضع كل الوسائل ليضيق الخناق على المسلمين اقتصادياً وحدد للصليبيين البديل للسلع التى يحتاجون إليها و كانوا يستوردوها من مصر، وكذلك حدد الأماكن البديلة التى يمكن الحصول منها على احتياجاتهم من هذه السلع والبضائع . وبذلك لم يترك سانودو أى شئ وإلا حدد له البديل مما يدل على خبرته الكافية بشئون التجارة فى البحر المتوسط ، كما أنه فى الوقت نفسه كان دقيقاً ومنظماً فى فكرة، ويعتمد على الأرقام والإحصائيات التى وضعها بنفسه وتعكس تراثه الفكرى فيما يتعلق بشئون البحر والتجارة وهذا ما جعله مميزاً عن باقى الدعاة السابقين عليه لأنه أخذ فكرة الحصار الاقتصادى ممن سبقه من هؤلاء الدعاة وأقام لها دراسة جديدة متعمقة دقيقة حتى يضمن نجاح المشروع الصليبى المزمع القيام به.

ما سبق كان يشكل الجانب التمهيدى من استراتيجية سانودو كمقدمة للجانب الثانى من استراتيجيته وتتمثل فى الناحية العسكرية حيث أكد أن هدفه الأساسى من مشروعه هو احتلال مصر بإرسال حملة صليبية ضدها على مرحلتين، وتتمثل المرحلة الأولى فى وصول الأسطول الصليبى إلى مدينة رشيد وإنزال خمسة عشر ألفاً من المشاة وثلاثمائة من الفرسان إلى الساحل لإقامة رأس جسر على الأراضى المصرية، وتأتى المرحلة الثانية من الخطة بتعزيز هذه القوات بخمسين ألف مقاتل من المشاة، وألف من الفرسان تكون مهمتهم إكمال احتلال مصر ثم مواصلة مسيرتهم إلى بلاد الشام واقتحام حصون المسلمين بها، وفرض الحصار عليها وقطع وصول أية إمدادات إليها حتى يتم تجويع الأهالى، فيستسلمون ويسيطر الصليبيون بذلك على الساحل الشامى تمهيدا لمسيرتهم للأراضى المقدسة والاستيلاء عليها[1].

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص٢٥٨-٢٥٩.

- يرى الباحث أن مارينو سانودو من الممكن أن يكون قد فضل مدينة رشيد عن مدينة دمياط مثل باقى الحملات الصليبية التى جاءت إلى مصر حتى يتجنب الفشل الذى أصاب الحملتين الخامسة والسابعة عندما فضل قادتها أن يتخذوا من دمياط مركزاً لهم لمواصلة طريقهم إلى داخل مصر.

ويتضح مما سبق أن استراتيجية سانودو كانت مبنية على دراسات عن طبيعة المسلمين وطرق معيشتهم وابتكار الأسلوب الأمثل لمواجهتهم، ويظهر التشابه بين استراتيجية سانودو ومن حيث تنفيذ الحملة الصليبية على ثلاثة مراحل، ولكن يرجع تميز مشروع سانودو فى أن استراتيجيته كانت محاولة للوصول إلى الدقة والكمال حيث لم يترك شيئا متروك للصدفة وكانت استراتيجيته عبارة عن خطة حرب متكاملة ناتجة عن إحصاءات ومعلومات دقيقة فأصبحت متكاملة. الأمر الذى ميز مشروعه عن غيره من دعاة الحروب الصليبية.متميزاً عن أقرانه.

أما عن خط سير الحملات الصليبية التى أقرها دعاة الحروب الصليبية السابقين على سانودو فى مشروعاتهم المقدمة إلى البابوية فهى تختلف من داعى إلى آخر فلكل منهم خط سير محدد للوصول إلى الأراضى المقدسة. فهناك من رأى أن الوصول إلى هذه الأراضى يكون عن طريق المرور برا من أوروبا وآسيا الصغرى وهو الطريق الذى قطعته سائر الحملات الصليبية من الأولى إلى الثالثة. وهناك اتجاه آخر رأى أن أفضل الطرق هو الذهاب بحرا، بينما كانت وجهة النظر الأخيرة تتمثل فى خروج الحملة من أسبانيا مروراً بساحل شمال أفريقيا حتى الوصول إلى الأرض المقدسة[١].

فيحدد لنا فيدنزيو ثلاثة طرق للوصول إلى الأرض المقدسة[٢]، و كان اهتمامه موجها إلى الطريق الأول، وقد ناقش احتمالية سفر الجيش برا بالخيول وغيره واضعا فى الاعتبار أن ذلك سوف يستغرق وقتا طويلا ولذلك رأى ضرورة أن يرحل الجيش ببطء لتجنب التعب[٣]. وقد رأى فيدنزيو بأن الطريق إلى الأراضى المقدسة يجب أن يبدأ

---

(١) Leopold, *How to recover the holy land*, p.

(٢) الطريق الأول طريقا بريا عبر أوروبا إلى القسطنطينية ثم من خلال الاناضول ثم أرمينيا ثم إلى الأراضى المقدسة. ويظهر هنا تأثر فيدنزيو بصليبى الحملة الأولى حيث أن هذا الطريق هو نفس الطريق الذى سارت عليه الجيوش فى الحملة الصليبية الأولى. أما الطريق الثانى هو الطريق البحرى من البندقية أو جنوة. أما الطريق الثالث فهو الطريق البحرى طريق برنديزى على الساحل الشرقى ثم السير عبر البحر الأدرياتيكى إلى دروار ثم إلى القسطنطينية ثم بحرا الى الراضى المقدسة وهو نفس خط السير الذى اتبعته الحملة الصليبية الرابعة. انظر :
Fidenzio, *Liber recuperationis*, pp. 49-52.

(٣) Fidenzio, *Liber recuperationis*, p. 51.

من خلال مدينة أنطاكية سواء بريا أو بحرياً، و قدم فيدنزيو قائمة بمزايا المدينة ممـــا يجعلها ملائمة للحملة بريا أو بحريا مما جعلها فى نظرة مناسبة لتكون مركزاً لانطـــلاق الحملة[١]. وقد سار على نفس اتجاه فيدنزيوا هيثوم الأرمينـــى حيـــث رأى أن تتحـــرك الحملة جنوبا من أنطاكية إلى حماة ثم إلى دمشق ثم بيت المقدس[٢]. ومن المحتمـــل أن يكون هيثوم الأرمينى قد شجع هذا الطريق بشكل خاص لأنه يعنـــى مـــرور الجيـــوش الصليبية عبر أرمينيا والمناطق المسلحة المجاورة لها فيوفر الحماية والأمـــن لمملكـــة أرمينيا قبل بدء الصراع الكبير مع المسلمين .

أما رامون لل Ramon Lull فقد اقترح أكثر من طريق للوصول إلى الأراضى المقدسة ففى عام ١٢٩٢م/٦٩١هـ رأى خروج حملة برية عبر الأراضى البيزنطيـــة وأرمينيا، ثم عاد فى عام ١٣٠٥م/٧٠٤هـ وطرح هذه الفكرة جانبا واقـــترح طـــرق أخرى بديلة لهذا الطريق أفضلها أن تصل الحملة إلى مدينة سبته بشمال إفريقيا وهنـــاك يتم إخضاع مملكة المغرب فتونس وطرابلس[٣]. وبذلك يكون الصليبيون على حافة مصر ويستولون عليها، ثم يتجهون إلى الأراضى المقدسة[٤]. وقد عارض هذه الفكرة بعـــض الدعاة مثل مارينو سانودو[٥].

---

(١) Fidenzio, *Liber recuperationis*, pp. 56-57.

(٢) Hayton, *Flos*, p. 108.

(٣) Lull, *Liber de fine*, pp. 276-77.

- اقترح رامون لل كثير من الطرق وهى كالآتى الطريق الأول طريق البحر عبر قبرص وأرمينيـــا ولكن هذا الطريق كان يتصف بطوله البالغ. الطريق الثانى وهو غزو مصر عن طريـــق مدينـــة رشيد المجاورة للإسكندرية وسوف يستطيع الفرسان الاستيلاء عليها بسهولة رغم طـــول هـــذا الطريق وتكلفته العالية. الطريق الثالث هو طريق أسبانيا وشمال أفريقيـــا حيـــث يبـــدأ الجيـــش الصليبى سيره من أسبانيا مارين بجبل طارق ثم يمرون بشمال أفريقيا ثم إلى مصر وبعـــد ذلـــك إلى فلسطين. لمزيد من التفاصيل انظر: Lull, *Liber de fine*, pp. 275-277.

(٤) Lull, *Liber de fine*, p. 276.

(٥) عارض مارينو سانودو هذا الطريق لما يعترضه من صعوبات جغرافية مما يعوق تقـــدم الجيـــش حيث الطريق بين جبل طارق وتونس بالإضافة إلى جبال أطلس ستكون عقبة كبيرة لتقدم الجيـــش إلى الساحل. انظر: مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص١٤٣.

ويرى الباحث أن ما دفع رامون لل لاقتراح ذلك الطريق هو القضاء على حركة السفن المغربية التى كانت تهاجم الموانى والسفن الأوروبية. وثمة دافع آخر ربما يكون دفعه إلى ذلك وهو رغبته أن تكون منطقة شمال أفريقيا مركزا للتبشير بالديانة المسيحية ونشرها.

ومن الطرق الأخرى المقترحة للحملات الصليبية فى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلادى هو استخدام الطرق البحرية، حيث اقترح دعاة الحروب الصليبية مثل هنرى الثانى لوزينان ومقدم الإسبتارية فولك فيلاريه فى استخدام الطرق البحرية.(١) وفى نفس الوقت اختلفوا حول المكان الذى يمكن أن تخرج منه هذه الحملات فرأى البعض وعلى رأسهم هنرى الثانى لوزينان ملك قبرص وشارل الثانى كونت أنجو ومقدم الداوية جيمس مولاى أن تكون قبرص مركزا للغزو(٢).

بينما رأى البعض الآخر مثل الأمير هيثوم الأرمينى أن تكون أرمينيا هى قاعدة للغزو، ولكن مثل جيمس مولاى ومارينو سانودو عارضوا هذه الفكرة ورفضوا اتخاذ أرمينيا كقاعدة للغزو(٣). وقد أيد الملك هنرى الثانى **Henry II** ملك قبرص هذا الرأى على اعتبار أن أرمينيا لا تقدم المأوى والمساعدة للصليبيين بالإضافة إلى أن رفض هنرى الثانى اتخاذ أرمينيا كقاعدة للغزو كان يرجع إلى ذكرى سيئة فى نفسه، فهو من

---

(١) ***Henry II ,consilium , p.124. Cf.also,*** **Leopold, *How to recover the holy land,* 147-148 pp.**

(٢) ***Henry II ,consilium , p.124*** **Leopold, *How to recover the holy land,* pp. 149-150.**

- ويرى الباحث أن الدعاة ربما فضلوا قبرص بسبب إنها كانت أقرب بحريا إلى الشواطئ المصرية وقد سبق وأن قدمت تسهيلات كبيرة لحملة لويس التاسع على مصر. أما هنرى الثانى ربما فضل قبرص بسبب نفس هذه العوامل بالإضافة لكونه ملكا عليها فهو يريدها أن تلعب الدور الحاسم فى الحملات الصليبية.

(٣) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص١٤٠. راجع أيضا

Leopold, *How to recover the holy land,* p. 155.

- وقد عارض جيمس مولاى فكرة اتخاذ أرمينيا بسبب جوها الحار الذى سيؤدى إلى إهلاك الصليبيين، أما مارينو سانودو فقد رفض أرمينيا حيث قال أن أرمينيا موبوءة و سينتج عن ذلك خطر الوباء للجيش وهلاك العدد الكبير من المقاتلين، وهناك أيضا دافع آخر تمثل فى الطقس الحار فى أرمينيا صيفا وصعوبة الحصول على المؤن. انظر: مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٤٠-١٤١. راجع أيضا.

Leopold, *How to recover the holy Land,* p. 155.

ناحية يريد اتخاذ قبرص كقاعدة للغزو، ومن ناحية أخرى كانت مكانا لإقامته أثناء نفيه[1].

أما عن خط سير الحملة المقترح من جانب سانودو طبقا لما أورده فى مشروع حملته الصليبية فقد رأى بأن الحملة يجب أن تبدأ خط سيرها من مصر بعد أن يتم الاستيلاء عليها لأنها قلب العالم الإسلامى ومركز المقاومة ضد الحملات الصليبية منذ بدايتها، حيث أكد سانودو ذلك بقوله أن "مصر هى مفتاح بيت المقدس لن ينال الصليبيون الاستقرار طالما ظلت فى أيدى المسلمين"[2]. وتأكيد لذلك المعنى أورد سانودو فى كتابه قصة رمزية فشبه فيها سانودو الإسلام بشجرة عملاقة لها أغصان وأوراق عديدة تمتد كثيراً وتغطى الأرض وتروى تلك الشجرة ينابيع لا تنضب ويرويها نهر يغذيها باستمرار ولولا ذلك النهر لما كان بإمكان الشجرة أن تستمر، فشبه مارينو مصر بالجذع الرئيسى لهذه الشجرة بينما كانت فروعها متمثلة فى بلاد الشام وأفريقيا وتركيا. وكانت هناك محاولات كثيرة لتحطيم هذه الشجرة ولكن دون فائدة فقد نجحوا فقط فى قطع فروعها وطالما بقيت مصر بعيدا عن الضرر نمت الفروع وازدهرت

---

(١) Edbury, *Cyprus and the crusade*, pp. 125-127.

- تعرض الملك هنرى الثانى لمؤامرة دبرت ضده من أخوه عمورى أمير صور، حيث قبض عليه وسجنه فى أرمينيا فى الفترة من ١٣٠٦-١٣١٠م وظل هناك حتى نجح فى العودة إلى عرش مملكته فى عام ١٣١٠ بعد اغتيال أخيه عمورى وكان ذلك بمساعدة فرسان الاسبتارية. انظر:

Newman, P.,A *short history of Cyprus*(London, 1940), passim; www. Cypnet. Co. uk/ncyprus/history.

(٢) مارينو سانودو : كتاب الأسرار، ص ١٦٢: راجع أيضاً:

Kunstmann, Studien Marino Sabudo, p. 723.

- أشار د/ سعيد عاشور إلى أن الحملات الصليبية ودعاتها منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادى بدأوا يفكرون فى مصر كهدف أساسى للحملات الصليبية القادمة وبالفعل كانت مصر هى هدف معظم الحملات الصليبية فى هذا القرن حيث أن الصليبيين منذ غهد الحملة الصليبية الثالثة أدركوا استحالة السيطرة على الأماكن المقدسة وفلسطين قبل الاستيلاء على مصر ومن ثم نصحوا الصليبيين بضرورة الاستيلاء على مصر فجاءت الحملة الخامسة والسابعة ومشروع الحملة الصليبية الرابعة والسادسة و كان هدفهما مصر. انظر: سعيد عاشور: الحركة الصليبية، جـ٢، ص ٧٥٩ وما بعدها.

الشجرة مرة أخرى، وهذه إشارة لاسترداد مصر قوتها بسبب التجارة، فإذا عرقلت التجارة فى مصر فيمكن إضعاف وتحطيم مصر بسهولة وبذلك ستسقط شجرة الإسلام فعندما تتحطم الجذور تتساقط الفروع[1].ويتضح من هذا التشبيه الذى أورده مارينو سانودو عن قصة الشجرة العملاقة مدى أهمية غزو مصر ودورها الرئيسى فى التصدى للصليبيين، حيث كانت مصر بالنسبة لهم بمثابة الصخرة التى كانت تتحطم عليها دائما أحلام الصليبيين فكان يريد تحطيمها أولا حتى يتسنى لهم تحقيق هدفهم الأساسى وهو استرداد الأراضى المقدسة.

وقد بين سانودو كيفية السيطرة على مصر حيث أشار إلى ضرورة أن يفرض الصليبيون سلطتهم البحرية وذلك عن طريق ألف وخمسمائة جندى من المشاة وثلاثمائة من الفرسان يرسون على الشاطئ المصرى ويشيدون القلاع والمنازل ،ويسمح للمؤن والعتاد بالوصول إليهم عن طريق البحر من جزيرة كريت وجزر البحر المتوسط[2].

ولكى تتم عملية سيطرة الصليبيين على مصر، حث سانودو الصليبيين على إتباع تعليماته بنجاح، وتمثلت فى أن يتقدم الصليبيون لمحاربة المسلمين بحرص فى نهر النيل، ويكون معهم كل ما يلزمهم من وسائل لإطفاء النار، حيث أن المسلمين يستخدمون النار الحارقة وكذلك السلاسل، والعوائق الحديدية التى يستخدمها المسلمون[3]. فيجب على الصليبيين التخلص منها وتكون هذه المرحلة الأساسية للسيطرة على مصر، وبعد ذلك يمكن للصليبيين فرض سيطرتهم على التجارة المصرية وحرمان المماليك من مصادر قوتهم[4].

وقد اتفق هنرى الثانى مع مارينو سانودو فى استراتيجيته فى الهجوم على مصر، وأيده فى رأيه عن الجنود المصريين حيث قلل من شأنهم ووصفهم بالضعف

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص١٤٥-١٤٦.

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٦١.

(٣) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٧١.

- كان سانودويقصد بهذه السلسلة والعوائق الحديدية السلسة التى كانت تغلق مدخل النيل عند دمياط، والبرج الذى كانت تمر به و أطلق عليها "قفل الديار المصرية.

(٤) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٧٢.

وإنهم يعتمدون على الرقيق بصورة أساسية، وأقر بضرورة غزو مصر فى البداية حتى لا تمتد أيديهم بالمساعدة عند الهجوم على الأراضى المقدسة(١).

ويتضح مما سبق أن كثيرا من المفكرين قد شاركوا سانودو فى رأيه الذى يؤكد على أهمية غزو مصر، وضرورة السيطرة عليها ولكنهم اختلفوا معه فى أنهم رأوا أن الهجوم على مصر إنه مجرد حملة، لإضعاف المماليك فقط وإجراء تمهيدى قبل السيطرة عل بلاد الشام والأراضى المقدسة. فى حين أن سانودو لم يكن ينظر إلى مصر كإجراء تمهيدى بل كانت مصر فى نظرة هى الأساس لتحقيق أطماع الصليبيين فى الشرق ويجب الاستيلاء عليها.

وهكذا كانت مصر هى أساس مشروع حملة سانودو وبعد الاستيلاء عليها رأى سانودو أن تتجه الحملة إلى باقى المناطق المحيطة بالأراضى المقدسة. فاقترح أن تتجه الحملة إلى بلاد الشام وسوريا ولن تجد المقاومة الشديدة خاصة بعد الاستيلاء على مصر. وتأتى بعد ذلك بلاد البربر ويقصد بها منطقة الشمال الأفريقى عامة و تونس خاصة التى كانت تخرج منها سفن المسلمين للإغارة على سواحل جنوب أوروبا وخاصة جنوب إيطاليا وفرنسا. كهدف أساسى اقترحه سانودو بعد غزو مصر.(٢)

وأعقب ذلك اقتراح سانودو طبقا لما ورد فى كتابه وهو غزو الإمبراطورية البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية، ويرجع ذلك إلى أن أراضى الإمبراطورية البيزنطية مليئة باليونانيين المنشقين عن الكنيسة الغربية والمذهب الكاثوليكى، وعلاوة على ذلك كان سانودو يهدف من وراء استيلاء الصليبيين على أراضى الإمبراطورية البيزنطية توحيد الكنيسة الشرقية والغربية(٣).

وثمة دافع آخر كان له أكبر الأثر فى توجيه نظر سانودو إلى غزو أراضى الإمبراطورية البيزنطية، وتمثل ذلك الدافع فى كرة البنادقة عامة للإمبراطورية البيزنطية، فسانودو بوصفه أحد مواطنى البندقية كان يكن العداء للإمبراطورية

---

(١) Henry II, Consilium, p. 121.

(٢) مارينو سانودو:كتاب الأسرار، ص ٢٥٩.

(٣) مارينو سانودو : كتاب الأسرار، ص ٢٥٩.

البيزنطية مثل حكومة البندقية التى فقدت امتيازاتها التجارية فى الإمبراطورية البيزنطية خلال فترة حكم الإمبراطور البيزنطى ميخائيل الثامن Michael VIII ١٢٦١-١٢٨٢م الذى أعطى الامتيازات التجارية لمدينة جنوة المنافسة اللدود لمدينة البندقية وقد أبرز ذلك أهمية الإمبراطورية البيزنطية تجاريا مما جعل سانودو يحث على غزوها(١).

وإذا كان دعاة مشروعات الحروب الصليبية يرون أن أفضل الطرق لتحقيق أهدافهم هو البحث عن أكثر من حليف لنجاح تنفيذ خطتهم فى ضرب مصر والاستيلاء عليها. وكان كل من فيدنزيوا بادوا وهيثوم الأرمينى قد نادى بالاتصال بالمغول وعرض التحالف عليه، ففيدنزيوا اقترح أن يقوم المغول بالهجوم على شمال سوريا وفى نفس الوقت يقوم الصليبيون بحملتهم على الأرض المقدسة(٢). أما الأمير هيثوم الأرمينى فقد كان نادرا ومتعمقا فى دراسته لأحوال المغول وأوضح العلاقات بين الصليبيين وهولاكو، وبين أن خان المغول قد وعد بالتحول إلى المسيحية ولذلك كان هيثوم مشجعا للتحالف

---

(١) Laiou, A., Marino Sanudo Torsello, Byzantium and the turks, the back ground to the anti turkish league of 1332-1334, *Speculum*, vol. 45(1970), p. 375.

- ميخائيل الثامن هو سليل أسرة باليولوج التى علا شأنها فى بيزنطة منذ القرن الحادى عشر الميلادى والدته حفيدة الإمبراطور الكسيوس الثالثة، ولد فى عام ١٢٢٤م وتميز بالفطنة والشجاعة والنبل، وكان يعمل فى شبابه فى خدمة الجنود المرتزقة، وتوفى ميخائيل الثامن فى عام ١٢٨٨م ودفن فى قرية باخميوس Pachomis فى تراقيا. لمزيد من التفاصيل انظر: O.D.B. vol II 759.

راجع أيضاً: اسحق عبيد: الدولة البيزنطية فى عصر باليولوج، بيروت، ١٩٨٢، ص٣٥-٣٩.

- قام الإمبراطور ميخائيل الثامن بإعطاء الامتيازات التجارية لمدينة جنوة وذلك طبقا لمعاهدة نيفايوم التى وقعت بين الطرفين فى ١٣ مارس ١٢٦١م/٨ ربيع الآخر ٦٥٩هـ، ونصت على قيام تحالف دائم بين جنوة والإمبراطورية لمحاربة البندقية، وأن تقدم جنوة أسطول مكون من خمسين سفينة توضع تحت تصرف الإمبراطور وفى المقابل تعفى جنوة من الرسوم فى كل أنحاء الإمبراطورية ويطرد الإمبراطور من أرضه أى تجار منافسين ماعدا البيازنة حلفاء باليولوج. انظر: الأمين عبد الحميد أبو سعده: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والقوى الإسلامية فى المشرق فى عهد الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوج (١٢٥٩-١٢٨٢/٦٥٧-٦٨١هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة ، طنطا١٩٩٢ م ، ص١٦٨.

(٢) Fidenzio, *Liber recuperationis*, p. 57.

مع المغول[١]. وجاء رامون لل وأيد التحالف مع المغول ولكنه اشترط تحول المغول إلى المسيحية[٢].

ويتضح مما سبق أن الدعاة السابقين لسانودو أيدوا التحالف مع المغول وخاصة أن العلاقة كانت قائمة بينهم و بين الصليبيين منذ أيام الملك لويس التاسع[٣].

وإذا كان المغول قد احتلوا الجزء الأكبر من اقتراحات الدعاة، فإن ذلك لم يعني عدم الاستعانة بغيرهم كحلفاء، فكانت هناك اقتراحات من جانب بعض الدعاة بالتحالف مع الجورجيين ومثل هذا الاتجاه كلا من فيدنزيو بادوا وهايتون ولكن لم يكن اهتمامهم بنفس درجة الاهتمام بالتحالف مع المغول، وقد نصح كلا من فيدنزيوا وهيثوم البابوات بالكتابة إلى ملوك جو رجيا وطلب مساعدتهم ضد المسلمين[٤]. كما دعى فيدنزيوا إلى

---

(١) Hayton, *flos*, p. 349-351.

- كانت هناك سفارات متبادلة بين الأرمن والمغول دعت إلى اعتناق المغول المسيحية ومن أهم هذه السفارات سفارة الأمير هيثوم الأرميني إلى بلاط الخان المغولى منكوخان وطلب فيها هيثوم من الخان المغولى أن يعتنق هو وشعبه المسيحية، وأن يرد المغول كل الأراضى التى فتحوها فى البلاد المسيحية ، وأن تحرر الكنائس ورجال الدين والمسيحية فى هذه البلاد من العبودية وقد أجابه الخان بأنه سيعتنق هو وأهل قصره المسيحية وسينصح باقى الشعب باعتناق المسيحية ودل ذلك على تغير موقف المغول إلى المسيحية مما جعل هيثوم يشجع التحالف معهم. لمزيد من التفاصيل انظر: حسين عطية: سفارات الأرمن إلى المغول، ص٢٤٠-٢٤١.

(٢) Lull, *Liber de fine*, p. 266.

(٣) كانت هناك علاقات وسفارات متبادلة بين الملك لويس التاسع والمغول منذ وجود الملك لويس فى قبرص عام ١٢٤٨م حيث أرسل إليه المغول سفارة تعرض عليه القيام بعمل مشترك ضد المسلمين، فبادر الملك لويس بإرسال سفارتين إلى الخان المغولى الأولى برئاسة أندرو دى لو نججيمو، والثا نية برئاسة الراهب الفرنسيسكانى وليم روبرك وفشلت هذه السفارات فى إقناع المغول باعتناق المسيحية و لم ينجح كلا الفريقين فى فهم هدف الآخر. انظر:
حسين عطية: سفارات الأرمن إلى المغول، ص٢٣٦، ٢٣٧؛السيد الباز العرينى :المغول ،بيروت ١٩٨٦م،ص ٢٣١؛ جوزيف نسيم: العدوان الصليبى على بلاد الشام ، الإسكندرية ١٩٨٤ م ، صـ٢٦٢ – ٢٧٠.

(٤) Leopold, How to Recover the holy land, p. 118.

الاستعانة بالموارنة المسيحيين المقيمين بالقرب من طرابلس فى الحملة الصليبية على المسلمين[١]. وكان لأهل الحبشة أيضا دور فى المشروعات الصليبية ضد الشرق الإسلامى فقد اقترح هيثوم الاستعانة بأهل الحبشة لكى يقوموا بمهاجمة مصر من الجنوب فى الوقت الذى يهاجم الصليبيين مصر من جهات أخرى[٢].

- جورجيا:هى جمهورية جورجيا الاشتراكية ،سكانها كاثوليك المذهب و اعتنقوا المسيحية فى عام ١٣٠٣م و كانوا يسكنون جبال القبق ،حدودها الشمالية تسير بمحاذاة سلسلة جبال القوقاز ،أما حدودها الشرقية فهى تتاخم بلاد داغستان الجبلية و سهول أذربيجان و تحدها جنوبا أرمينيا و تطل بحدودها الغربية على البحر الأسود .ووردت فى المصادر الإسلامية بأسماء مختلفة مثل جرزان أو بلاد الكرج .لمزيد من التفاصيل انظر :البلاذرى:فتوح البلدان،٣ أجزاء ، تحقيق صلاح المنجد ،القاهرة د.ت ،ج ٣،ص ٢٧٨. راجع أيضا: فايز نجيب. بلاد الكرج بين المسلمين والبيزنطيين، الإسكندرية ١٩٨٨، ص١٧-١٨. و له أيضا: الأشرف خليل بن قلاوون و فتح قلعة الروم ١٦يونيو ١٢٩٢م/١١ رجب ٦٩١هـ ،بحث ضمن كتاب حولية التاريخ الإسلامى و الوسيط، القاهرة ٢٠٠١م،ص ٧٧.

راجع أيضا: Atiya, The crusade of Nicopolis (London,1934), p.167.

(١) Fidenzio, *Liber recuperationis*, p. 55.

-الموارنة ينتسبون إلى القديس مارون الذى ظهر فى نواحى أفامية فى أواخر القرن الرابع الميلادى. وأقيم بعد موته دير باسمه على ضفاف نهر العاصى وكان أكثر الموارنة بجبل لبنان وحمص وأعمالها. وقد اعتنقوا المسيحية على المذهب المونوثولينى الذى ابتدعه الإمبراطور البيزنطى هرقل فى القرن الأول الهجرى/السابع الميلادى، وهو ما عرف باسم مذهب المشيئة والإرادة الواحدة. انظر:

جوزيف نسيم: العدوان الصليبى على بلاد الشام، ص٣١٣، حاشية ١؛ محمد مؤنس عوض: أضواء على تاريخ موارنة لبنان فى عصر الحروب الصليبية،بحث منشور ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى، القاهرة٢٠٠٣ م، ص١٨٩.

(٢) Hayton, *Flos*, p. 352.

-الحبشة أثيوبيا حاليا وجاء اقتراح هايتون بالاستعانة بهم كانعكاس لوجهة نظر البابوية التى كانت تريد اتخاذهم كحلفاء، ولذلك حرصت البابوية منذ القرن الرابع عشر على تقوية صلتها بالحبشة من خلال إرسالها بعثاتها التبشيرية إلى هناك. انظر: سعيد عاشور: الحركة الصليبية، جـ٢، ص٩٥٥.

كما قدم هيثوم عرضا بالتحالف مع مسيحى بلاد الشرق الإسلامى وقد انفرد بذلك بالعرض حيث أوضح إنه يمكن الاستفادة منهم فى مهاجمة المصريين من الداخل وإثارة الفتن[١]. وكان قد سبق لفيدنزيوا التعرض لهذه الفكرة وعارضها ولم يوضح سببا لذلك. ويرى الباحث أن فيدنزيوا ربما رفض هذه الفكرة نظراً لكون مسيحى الشرق مقيمين فى البلاد مع المسلمين منذ القدم و ارتبطوا معهم فى علاقات واصبحوا كمجتمع واحد وبالتالى لن يستطيع الصليبيين الاستفادة منهم.

أما سانودو فقد جاءت نظره فى مسألة الاستعانة بالحلفاء طبقا لما ورد فى كتاباته ضرورية حيث أكد أن الصليبيين لن يتمكنوا من تحقيق أهدافهم فى بلاد الشرق الأدنى الإسلامى دون الاستعانة بحلفاء، وقد أكد على ضرورة التحالف مع المغول ودعوتهم إلى اعتناق المسيحية ونصح بالصبر عليهم وعدم اليأس وعلل ذلك بقوله "أن التتار مهما بلغ بهم الزمن من أمد فلن يستطيعوا نسيان هزيمتهم القاسية على يد المصريين ومهما مرت بهم السنوات فلن يتنازلوا عن إعادة أمجاد الخان الأعظم جنكيز خان"[٢] وكان مارينو يقصد بذلك هزيمة المغول أمام المماليك فى موقعة عين جالوت ١٢٦٠م/٦٥٨هـ وطردهم من بلاد الشام، فهم بذلك عندهم رغبة شديدة فى الانتقام من المسلمين عامة والمصريين خاصة، ولن يترددوا فى عقد التحالف مع الصليبيين طالما أن ذلك سوف يعود بالنفع على كلا الجانبين[٣].

وقد خاطب سانودو الباب يوحنا قائلاً بهذا الصدد قائلاً "انصح باكتساب صداقة التتار والمحافظة عليها بعناية بواسطة الهدايا والكلمات الحلوة والتحيات المتبادلة، ولا يكفى أن نلتمس مودة و صداقة التتار، بل يحسن تحريضهم هم وسائر الشعوب غيرهم لما يكون ضرورياً أو مفيداً لهذا المشروع، ولإنجاز كل هذه الأمور الصعبة والمستمرة، لا يجوز أبداً التقتير فى الصرف وحث سانودو الصليبيين على اكتساب صداقة التتار

(١) Hayton, *Flos*, p. 351 .

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص١٣٦: راجع أيضاً:
Kunstmann, *Studien uber Marino sanudo*, p. 633.

(٣) Leopold, *How to Recover the holy land*, p. 118.

بالهدايا أولا حتى لو أدى الأمر إلى دفع الكثير من الأموال وإتباع ذلك بإرسال السفارات إليهم الأمر الذى سيؤدى فى نهاية الأمر إلى تحقيق الهدف المنشود[١].

كما اقترح سانودو الاستعانة بمسيحى النوبة المقيمين فى جنوب مصر كحلفاء، وكان يقصد بهم أهل الحبشة حيث يقومون بمهاجمة المماليك فى الجنوب. حيث قال "أن المسيحيين الباقين الساكنين فى Nubian الحبشة وهى أبعد أراضى السلطان و كانوا يلاقون كثيراً من قبل السلطان الاضطهاد والويلات لن يتنازلوا عن سحق السلطان متى حانت الفرصة لهم".[٢] ومن الممكن أن سانودو كان يهدف بالتحالف مع الحبشة إغلاق مدخل البحر الأحمر من الجنوب وبالتالى تحرم السفن من المرور فيه ويتحول سير التجارة إلى طريق آخر. [٣]

ولكن فكرة التحالف مع أهل الحبشة لم تلق الرواج الكافى عند بعض الدعاة مثل جيمس مولاى وهنرى الثانى ويرجع ذلك فى رأيهم إلى صعوبة الاتصال بين أهل الحبشة والصليبيين فى ذلك الوقت بالإضافة إلى وضع الحبشة لم يكن يسمح بعقد معاهدات وتحالفات مع أى قوى أخرى.[٤]

ويتضح مما سبق أن سانودو تأثر بمن سبقه فى فكرة التحالف مع المغول وخاصة هيثوم وكذلك بالتحالف مع أهل الحبشة ولم يزد عن الدعاة إلا فى تشديده على أهمية التحالف مع المغول وعدم اليأس بل المثابرة حتى يتم التحالف.

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٢٦٠.

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ١٢٥.

(٣) ظهر بعض الدعاة واقترحوا إغلاق مدخل البحر الأحمر أمام المسلمين مثل وليم أدم والراهب الدومنيكانى جوردانوس دى سيفريك Jordanus de Severac. لمزيد من التفاصيل انظر:
Atiya, ,*The crusade in the later middle ages*, pp. 66-67; Beazley, *modern geography,* vol. 3, pp. 217-222.

(٤) Henry II, Consilium, p. 125. Cf.also,Barber, James of Molay, p. 102; Leopold, How to recover the holy land, p. 119.
كان وضع الحبشة لا يسمح بإقامة تحالف مع دول الغرب الأوروبى بسبب طول المسافة بين الغرب الأوربى والحبشة بالإضافة إلى قوة المماليك وفرض سيطرتهم على بلاد الحبشة انظر: سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ٢ ، ص٩٥٧.

وهكذا نرى أن سانودو قد وضع استراتيجية كاملة لتحقيق الحملة المنشودة للاستيلاء على الأراضى المقدسة حيث بدأ استراتيجية وتلى ذلك بضرورة الضربة العسكرية القوية موضحا الطريق الأمثل لتحقيق النجاح مستعينا فى خطته بالحلفاء مع ضرورة الحذر وبذلك نجد أن سانودو قد قام بتحليل الطريقة المثلى لتحقيق الهدف المنشود واضعا فى اعتباره ضرورة الحفاظ على هذا النجاح عند تحقيقه خوفا من ضياع الأراضى المقدسة مرة أخرى بعد الاستيلاء عليها. كما سيتضح ذلك فى الفصل القادم.

الفصل الخامس

وسائل نجاح وصول الحملة الصليبية إلى الأراضى المقدسة وضمان الاحتفاظ بها

- الحكومة المنتظرة فى بيت المقدس.
- الوسائل اللازمة للمحافظة على الكيان الصليبى الجديد.

تعرضنا فى الفصول السابقة إلى مشروعات الحروب الصليبية التى أعدها دعاة هذه الحروب الصليبية السابقون على سانودو، ثم خصصنا الحديث عن أفكار هذا الداعى ومشروع حملته بدءاً من العوامل التى جعلته يفكر فى مشروع خروج حملة صليبية إلى بلاد الشرق الإسلامى، ثم أشرنا إلى الاستعدادات اللازمة لها من دعم مادى وروحى، ثم أشرنا إلى الاستراتيجية اللازمة لتنفيذ هذه الحملة ولكى تستطيع الحملة تحقيق أهدافها ودورها وتضمن النجاح المستمر فى الأراضى المقدسة، كان ينبغى أن تكون هناك بعض الإجراءات التى تضمن استمرار الحفاظ على هذا النجاح .

فقد أوضح فيدنزيوا بادوا ورامون لل وسانودو إيمانهم الكافى بنجاح مشروعاتهم وما ينجم عنها من استعادة الاستيلاء على الأراضى المقدسة من أيدى المسلمين، وإحياء مملكة بيت المقدس من جديد ، وتكوين مملكة مسيحية جديدة بعد الاستيلاء على أراضى مصر وبلاد الشام وإخضاعها جميعا لسلطة الصليبيين جميعا، ولكى يضمن هؤلاء الدعاة استمرار وجود الأراضى المقدسة بين أيديهم ولا يدعوا مجالا للشك فى استعادة المسلمين لها فيما بعد مثلما حدث من قبل أيام صلاح الدين وخلفائه حتى عام١٢٩١ م/٦٩٠هـ ، فقد وضعوا الكثير من الترتيبات للحفاظ على الأراضى المقدسة والدفاع عنها[١].

وقد كانت أولى الخطوات التى أقرها الدعاة للحفاظ على الأراضى المقدسة هى الهيئة الحاكمة التى ستتولى الحكم فى الأراضى المقدسة. فقد أكد فيدنزيوا ضرورة أن تكون الأراضى المقدسة تحت قيادة ملك واحد ، وأن يكون مستوطنى الأراضى المقدسة متحدين مع بعضهم البعض ، حتى لا يكون هناك فرصة لإحداث انقسام بينهم، بغض النظر عما إذا كان الملك من سلالة ملكية أو طائفة عسكرية. فكان جل اهتمامه هو مصلحة الشعب المسيحى دون النظر إلى طبيعة الملك.[٢]

أما رامون لل فجاء رأيه ثنائياً بمعنى أن يكون الملك على الأراضى المقدسة من أعضاء إحدى الطوائف العسكرية. فيتوج رئيس الطائفة ملكاً على الأراضى المقدسة، وأن يكون ذلك بتدعيم ورقابة الكنيسة ، وفى نفس الوقت فضل رامون لل أن يكون هذا

(١) Leopold, *How to Recover the holy land*, pp. 172-173.

(٢) Fidenzio, *Liber recuperationis*, p. 39.

الملك العسكرى منتميا للدم الملكى[١]. وقد حبذا رامون لل نظام وراثة العرش ربما حفاظاً على استقرار الأمر و سلامة انتقال السلطة بمعنى أن ابن الملك أو أحد أقاربه يتولى حكم المملكة بعد وفاة هذا الملك .[٢]وجاءت أفكار شارل الثانى متوافقة مع أفكار رامون لل حيث فضل أن يحكم مملكة بيت المقدس ملكاً واحداً يتصف بالشجاعة والقوة وأن يكون منحدراً من أصل ملكى ، وأن يكون له الحرية الكاملة فى التصرف فى ممتلكات وبضائع المملكة مما يجعل له مطلق الحرية فى كل تصرفاته .[٣]

أما بييرديبوا فتأتى وجهة نظره بشأن الحكومة المستقبلية لبيت المقدس متشابهة مع أفكار الدعاة السابقين ، ولكنه أظهر تعصبه وميله إلى البلاط الفرنسى، حيث فضل أن يحكم بيت المقدس ملك واحد وتجرى فى عروقه الدماء الملكية الفرنسية.[٤]ويرى الباحث أن دافع بييرديبوا يرجع لكونه مستشاراً للملك الفرنسى فيليب الرابع وعلى علاقة طيبة به.

أما جيمس مولاى مقدم جماعة فرسان الداوية فقد جاء رأيه مخالفاً لغيره من الدعاة حيث فضل أن يكون ملك مملكة بيت المقدس الجديدة رجل من سادة الطوائف العسكرية ، واقترح أن يكون هناك انتخاب عام بين المرشحين لمنصب الملك ممن ينتمون إلى الطوائف العسكرية ، حتى تتوافر الفرصة الكاملة لاختيار الأصلح منهم لحكم المملكة. فخلق بذلك نوعاً من التنافس بين جميع الطوائف العسكرية.[٥]

ويتضح مما سبق أن أغلب الدعاة السابقين على سانودو قد اتفقوا جميعاً أن يحكم مملكة بيت المقدس ملك واحد من سلالة ملكية لها أصول وراثية فى حكم المملكة، بينما ظهر الاختلاف عند كل من رامون لل وشارل الثانى فى موضوع الوراثة الملكية. وهناك أيضاً رأى جيمس مولاى الذى جاء مخالفاً لباقى الدعاة من حيث تفضيله لحكم الطوائف العسكرية.

---

(١) Lull, *Liber de fine*, p. 270.

(٢) Lull, *Liber de fine*, pp.270-71.

(٣) Leopold, *How to Recover the holy land*, p.180.

(٤) Brandt, *Pierre Dubois*, pp. 509-512; le Roulx, *Le France en orient*, p. 52.

(٥) Barber, *The New Knighthood* (Cambridge, 1994), pp. 301-302; Idem, *James Molay*, p.114.

ويأتى بعد ذلك جانب أخر اهتم به الدعاة السابقون على مارينو سانودو وهو السياسة الخارجية للحكومة التى تحكم فى مملكة بيت المقدس و علاقاتها بغيرها من الممالك الأخرى فى الغرب الأوروبى. فقد احتلت هذه المسألة جانباً من تفكير بعض الدعاة، فهناك فيدنزيو بادوا الذى لم يكن موافقاً على قيام علاقات بين حكومة المملكة الصليبية ودول الغرب الأوروبى بدرجة كبيرة حيث دعا إلى إقامة علاقات بسيطة تكاد تقتصر على العلاقات الاقتصادية وذلك بالمساعدة فى إمداد الحكومة مملكة بيت المقدس بالأموال اللازمة لها إذا ما اقتضت الضرورة ذلك.(١)

ويرى الباحث أن فيدنزيو كان قصير النظر فى مسالة هذه العلاقات ، ويرجع ذلك لكونه يرى أن الحكومة التى سوف تحكم مملكة بيت المقدس يجب أن يكون أعضاؤها من الأغنياء ، فلا تحتاج أى دعم من دول الغرب الأوروبى ، وأخذ فى اعتباره العلاقات الاقتصادية فقط وأهمل العلاقات الأخرى ، فلا يمكن تخيل حياة أى كيان صليبى بالشام دون علاقات بالحكومات الأوربية فى كل النواحى السياسية و العسكرية و الاقتصادية.

أما شارل الثانى كونت أنجو فجاء رأيه مخالفاً لفيدنزيو حيث أكد على ضرورة إقامة علاقات مع دول الغرب الأوروبى ، والمطالبة بالمساعدات المختلفة ، واقترح أيضاً أن تقوم الحكومة بتدعيم سلطتها فى بيت المقدس عن طريق الاستيلاء على بعض أراضى الغرب الأوروبى .(٢)وإدراكاً منه لأهمية التجارة ودورها فى تحقيق الكسب الاقتصادى للمملكة دعا شارل الثانى الحكومة إلى الاهتمام بالناحية التجارية فى المملكة وإقامة علاقات اقتصادية مع دول الغرب الأوروبى وخاصة المدن التجارية الإيطالية جنوة وبيزا والبندقية.(٣)

ويأتى بعد ذلك رامون لل الذى توافقت وجهة نظره وتشابهت إلى حد ما مع فيدنزيو بادوا حيث هدف إلى إقامة علاقات مع دول الغرب الأوروبى بهدف إقامة

---

(١) Fidenzio, *Liber recuperationis*, p. 55.

(٢) Smith, R., *Government in Latin Syria and the commercial privileges of foreign merchants, Relations between west and East in the middle ages*, ed. D. Baker (Edinburgh, 1973), pp. 111-114; Leopold, *How to Recover the holy Land*, p.186.

(٣) Leopold, *How to Recover the holy Land*, p. 187.

علاقات اقتصادية والحصول على المساعدات الاقتصادية والمالية ولكنه زاد فى دعوته إلى تقوية العلاقات مع البابوية والكنيسة للحصول على الدعم والتأييد اللازم للمملكة ولتضفى جواً من الشرعية على حكمها .(١)

أما بييرديبوا فقد دعا إلى إقامة علاقات مع دول الغرب الأوروبى ، ولكنه لم يدع إلى إقامة علاقات اقتصادية فقط ، بل دعا إلى إقامة علاقات شاملة مع دول الغرب الأوروبى بهدف إخراج حملات صليبية إلى بلاد الشرق الإسلامى .(٢) وبخصوص التجارة دعا ديبوا إلى الاهتمام بالتجارة مع الدول الأوروبية وبخاصة المدن الإيطالية بيزا وجنوه والبندقية.(٣)

ويتضح مما سبق أنه كان للتجارة نصيب كبير من اهتمامات دعاة الحروب الصليبية. وذلك بشأن اهتمام حكومة بيت المقدس فى إقامة علاقات تجارية بهدف تحقيق المكسب المادى للملكة.

أما سانودو فجاءت وجهة نظره بشأن إقامة حكومة بيت المقدس متوافقة مع باقى دعاة المشاريع الصليبية، حيث دعا جموع الصليبيين إلى ضرورة اختيار ملك واحد لحكم الأراضى المقدسة بعد الاستيلاء عليها مرة أخرى. وأكد ذلك بقوله "أنه بعد احتلال أرض الميعاد يجب تنصيب ملك مقيم بمملكة بيت المقدس أمره نافذ على الجميع ويحكم شعبه بفطنة وعدل ويهزم ويرعب الأعداء" وقد علل سانودو اختياره ملكاً واحداً لحكم الأراضى المقدسة بأن وجود ملك واحد يمنع الانقسام والفرقة بين الجنود ، ويسود السلام والوحدة بيت جميع المستوطنين فى الأراضى المقدسة ويجب أن يقيم هذا الملك باستمرار داخل المملكة ولا يتركها. (٤)

كما أوصى سانودو أن يتم اختيار الملك عن طريق الانتخاب وليس بالوراثة ، و ربما يكون سانودو فضل أن يكون الاختيار بالانتخاب من أجل أن يختار سكان المملكة

---

(١) Leopold, *How to Recover the holy Land,* pp.184-185.

(٢) Brandt, *Pieere Dubois*, p. 514.

(٣) Leopold, *How to Recover the holy Land*, p. 187.

(٤) مارينو سانودو : كتاب الأسرار ، ص ٣٠١. راجع أيضاً:
Kunstmann, *Studien uber Marino Sanudo*, p. 750.

ملكهم بحرية ومن اقتناع نابع من داخلهم مما يجعلهم فى سعى مستمر معه نحو الحفاظ على الأراضى المقدسة بدلاً من أن يفرض عليهم ملكاً لا يرضونه مما يؤدى إلى انصرافهم عنه.

وتطرق سانودو بعد ذلك إلى مسالة العلاقات بين المملكة وباقى دول الغرب الأوروبى ، حيث اقترح إقامة علاقات اقتصادية بين المملكة وغيرها من دول الغرب الأوروبى وذلك بالتبادل التجارى، كما دعا سانودو إلى تقوية العلاقات الاجتماعية فى المملكة وذلك عن طريق تشجيع هجرة الصليبيين فى الممالك الأوروبية إلى الأراضى المقدسة وذلك عن طريق منحهم البيوت والبساتين مقابل مبلغ سنوى معين، وأن تكون هذه الممتلكات ملكاً لهم .[١] وأكد سانودو وذلك بقوله "أنه يجب على الملك وسائر الذين يتملكون الأرض المحتلة Conqusisitas terras أن يؤمنوا للقادمين أرضاً ليقيموا فيها بيتاً وبستاناً وكرماً لقاء مبلغ سنوى معين يدفعونه ، وتكون هذه العقارات ملكاً أبدياً لهم ولورثتهم . وإذا وجد ذلك مناسباً تعطى لهم أرض زراعية يعتنون بها وتقدم لهم المساعدة لامتلاك المواشى."[٢]

كما اهتم سانودو اهتماماً كبيراً بالتجارة فى المملكة حيث دعا الملك القادم وأعضاء حكومته إلى السماح لجميع التجار بالقدوم إلى المملكة اللاتينية والاتجار فى مختلف البضائع ، وعدم وضع العراقيل والمعوقات أمامهم عن طريق فرض الضرائب الجمركية عليهم . وبهذه الوسيلة تتوافر الخيرات ويتدفق التجار على الأراضى المقدسة مما يحقق الرخاء الاقتصادى للمملكة الصليبية.[٣] ومما سبق يتضح لنا أن أفكار سانودو، بشأن إقامة حكومة لاتينية لمملكة بيت المقدس الجديدة، قد تشابهت مع أفكار من سبقه من دعاة الحروب الصليبية، وإذا كان سانودو قد أيد فكرة الحكم الوراثى للمملكة الصليبية فى الشرق، فإنه زاد على من سبقوه من الدعاة فى تشجيعه لمنح الامتيازات للمهاجرين من إفرنج أوروبا إلى الأراضى المقدسة ليكون ذلك عاملا من

---

(١) ماينو سانودو: كتاب الأسرار، ص٣١٩.
Magnocavallo, Marino Sanudo il Vecchio, p.105

(٢) مارينو سانودو : كتاب الأسرار ، ص ٣٢٠.

(٣) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٣٢١.

عوامل ازدهار المملكة المزمع إقامتها والغالب فإن كونه بندقيا جعلـه أكـثر حساسـية وتحمساً للنشاط التجارى وامتيازات التجار.

وفى أعقاب المقترحات التى تقدم بها دعاة الحروب الصليبية بخصوص تكويـن الحكومة الجديدة فى مملكة بيت المقدس، اهتم البعض منهم بوضع خطط للدفـاع عـن الكيان الصليبى الجديد فى مواجهة العالم الإسلامى، وكانت هذه الخطط المقترحة تختلـف فى مضمونها من داع إلى أخر.

فقد اهتم فيدنزيو بادوا بمناقشة الوسائل اللازمة للدفاع عن بيت المقدس وحيـث أكد على ضرورة إمداد جيوش الصليبيين بالقوى الكافية باستمرار، وحراسة المنـاطق الساحلية للأراضى المقدسة بقوى بحرية عظيمة . عن طريق تخصيص عشر سفن تقوم بحماية الساحل ومنع التجارة بين بلدان المسلمين وغيرها من البلاد، كما أقر فيدنزيـوا أيضا بضرورة إنشاء القلاع والتحصينات للحفاظ علـى المواقـع العسـكرية والدفـاع عنها.[١] كما أوصى فيدنزيوا أيضاً بزيادة الحاميات العسكرية فى البلاد وتدعيمها ماليـاً عن طريق تخصيص جزء من دخل الكنائس والأديرة ورواتب الأساقفة لصالح الجنـود ليزداد حماسهم للدفاع عن الأراضى المقدسة .[٢]

وإيماناً من فيدنزيو بأهمية الطابع الخلقى فى حياة الفرسان والجنود أفرد جـزءاً كبيراً من اقتراحاته للحفاظ على الأراضى المقدسة بشأن أخلاق الجنود فـاهتم بـالجنود المنتصرين وعاداتهم بعد المعركة ، ودعاهم إلى عدم الإسراف فى مظاهر الانتصار. كما دعا قادة الجيش إلى التحلى بالفضائل الإحسان و العفة والتواضع والقناعة والحكمة.[٣]

أما الداعى رامون لل فلم يول اهتماماً كبيراً بالوسائل اللازمـة للحفـاظ علـى الأراضى المقدسة، وإن كان قد حمّل الطوائف العسكرية المسئولية الكاملة للدفاع عنـها حيث أوصى بإنشاء التحصينات والقلاع، ورأى إنه فى حالة وفاة أى فارس من الفرسان يجب أن يحل محله فارس آخر فى نفس المكانة والكفاءة كما أكد على ضـرورة تنفيـذ

---

(١) Fidenzio, *Liber recuperationis*, p. 59. CF. Also, fory, The order of mounjoy, *speculm* 46 (1971) p. 253.

(٢) Fidenzio, *Liber recuperationis*, pp. 34-35.

(٣) Fidenzio, *Liber recuperationis*, p. 37.

الجنود لتعليمات قادتهم لأن مخالفة الأوامر تؤدى إلى الفشل والهزيمة.[١] وسار على نهج رامون لل شارل الثانى ملك صقلية حيث دعا الحكومة الجديدة للأراضى المقدسة أن تستفيد من أخطاء الماضى التى أدت إلى فشل الحروب الصليبية فى الحفاظ على الأراضى المقدسة والعمل على منح الأراضى الإقطاعيات للفرسان والجنود ليتمادوا فى الاستبسال والدفاع عن الأراضى المقدسة.[٢]

ويأتى بعد ذلك بييرديبوا ورأى أن أفضل الوسائل للدفاع عن الأراضى المقدسة هو تأكيد استقلالية التاج الملكى الفرنسى فى المملكة المقدسة وفصله تماماً عن سلطة الكنيسة ، والعمل على القضاء على تعدد القوميات داخل المملكة لأن القوميات المتعددة فى نظره تؤدى إلى المشاكل والنزاعات المستمرة .[٣]

كما دعا ديبوا إلى ضرورة تعليم أبناء الصليبيين من الذكور اللغات الشرقية بالإضافى إلى القانون وعلم اللاهوت والعلوم الطبيعية وغرس الدين المسيحى فى عقولهم منذ نعومة أظافرهم لتتأسس فيهم العقيدة المسيحية السليمة فيكون لديهم الحماسة للدفاع عن الأراضى المقدسة وأقترح أيضاً تعليم البنات الصليبيات اللغات الشرقية ليتزوجوا من نبلاء وأساقفة الشرق، كما دعا لضرورة تعلمهن علم الطب والجراحة لينلن ثقة النساء الشرقيات[٤]. ثم يأتى بعد ذلك دور الحاميات العسكرية فى الدفاع عن الأراضى المقدسة حيث شدد على أهمية تواجد الفرق العسكرية باستمرار فى الأراضى المقدسة وعدم ترك أماكنهم مهما كانت الظروف.[٥]

---

(١) Lull, *Liber de fine*, pp. 270-74.

(٢) Schein, *The west and the crusade*, p. 189.

(٣) Schein, *The west and the crusade*, pp. 206-08; Brandt, *pierreDubois*, P. 519.

(٤) Leopold, *How to Recover the Holy Land*, p. 186.

(٥) Leopold, *How to Recover the Holy Land*, p. 187.

- عندما اقترح بيير ديبوا ضرورة تعليم اللغات الشرقية مثل رامون لل كان ذلك تطبيقاً لقرارات البابوية فى المجامع الكنسية وعلى رأسها القرار رقم خمسة وأربعون من مجمع فينا الكنسى ١٣١١م حيث نص على ضرورة تعليم اللغات الشرقية والعبرية للصليبيين المستوطنين فى الأراضى المقدسة .انظر: Disciplinary Decrees, p. 395

ويرى الباحث أن بييرديبوا عندما أثار مسألة القضاء على تعدد القوميات في الأراضى المقدسة وتأكيد استقلالية التاج الفرنسى، إنما كان يبغى أن يكون ملك فرنسا ملكاً على الأراضى المقدسة ، وأن يكون قاطنو هذه الأراضى من الفرنسيين فقط مما سيؤدى بعد ذلك إلى وجود العديد من المشاكل الناتجة عن استئثار الفرنسيين بها.

أما سانودو فلم يضع أى وسيلة لنجاح وصول القوات الصليبية إلى الأراضى المقدسة والحفاظ عليها، إلا بعد دراسة متأنية ودقيقة للظروف والأوضاع السلبية السابقة التى كانت موجودة فى الأراضى المقدسة والتى أدت إلى فشل الحملات فخرج من هذه الدراسة بأكثر من وسيلة للحفاظ على الأراضى المقدسة بعد نجاح مشروعه للاستيلاء عليها.

وكانت أولى الوسائل التى اقترحها مارينو سانودو ضرورة الانضباط العسكرى قبل الخوض فى أى معركة وبعدها وكان للانضباط العسكرى فى نظر مارينو سانودو أوجه متعددة، وتتمثل فى ضرورة دراسة أوضاع المعركة وظروفها قبل بدايتها وعدم الاستهزاء بالمسلمين والاستهانة بقوتهم ، فالتعالى وعدم إعطاء المسلمين حقهم اللازم بالقدر الذى يستحقونه كان سبباً جوهرياً فى إخفاق الصليبيين فى حملاتهم فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين.(١)

كما اقترح سانودو ضرورة أن يخفى الصليبيون أهدافهم و نواياهم فى المعركة عن أعدائهم من المسلمين حتى لا يستطيعوا اتخاذ الاحتياطات والتدابير اللازمة ضد الصليبيين. فأكد ذلك بقوله "إذا فهمك العدو فقد خسرت المعركة"(٢)، وعلى الجانب الآخر

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٢٧٣-٢٧٤.

- وفى الموضوع نرى أن عدم تقدير قوة المسلمين والتكبر عليهم كان من أسباب هزيمة الصليبيين أحياناً مثلما حدث من أرناط عندما أخذ يدعو الأمراء الصليبيين والملك جاى لوزجنان على التقدم إلى طبرية قبل موقعة حطين وعدم الانتظار لمجيء المسلمين مما أدى إلى زحفهم عبر مسافة صحراوية فى ظروف سيئة بالنسبة لهم وأدى إلى هزيمتهم بعد الاستهانة بقوة المسلمين. لمزيد من التفاصيل انظر:
- الأصفهانى: الفتح القسى فى الفتح القدسى، تحقيق محمد صبح، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٧٧-٧٨.

(٢) مارينو سانودو : كتاب الأسرار ، ص ٢٧٥.

دعا الصليبيين إلى أن يبذلوا قصارى جهدهم للاستخبار عن نوايا المسلمين واتجاهاتهم مثلما كان المسلمون يفعلون معهم(١).

كما أوصى سانودو أيضا باتخاذ الاحتياطات اللازمة لتجنب الأخطار العديدة Pericula multa التى قد تتعرض لها الجيوش الصليبية وهى فى تقدمها للأراضى المقدسة فلابد من الحفاظ على السرية التامة فى تنقلات الجيش لتجنب المكائد والمخاطر التى من الممكن أن يتعرض لها الجيش(٢).

كما حدد سانودو أيضاً الطرق المثلى لإقامة معسكرات الجيش الصليبى أثناء الحروب، ويأتى فى مقدمتها ضرورة أن يكون معسكرهم قريبا من العدو، وأن يكون فى مكان آمن تتوافر فيه الأخشاب والعلف والماء، مع توفر المكان الصالح والمناخ المناسب لإقامة المعسكر وينبغى أيضا أن يتجنب الصليبيون أن يكون الجبل قريبا أو المكان مرتفعا حتى لا يسهل ذلك من مهمة المسلمين فى الاستيلاء على المعسكر، ويلزم تجنب حصر الجيش فى مكان ضيق، ويجب أن يقيموا معسكرا تهم حسب المكان الذى تدور فيه المعركة ، فأحياناً يكون المعسكر فى وضع التشكيلة المربعة والمستطيلة Quadrangula وتكون مناسبة فى حالة الدفاع والمستديرة Circularis تعطى مفعولا أكبر(٣).

كما دعا مارينو سانودو وأكد على ضرورة تشديد الحراسة على المعسكرات والاهتمام بإضاءتها من بعيد حتى لا ينقض العدو عليهم فجأة . وأن يكون كل فارس

---

(١) مارينو سانودو : كتاب الأسرار ، ص ٢٧٦.

- حرص كل حكام المسلمين على محاولة الحصول على معلومات مسبقة عن أى حملة صليبية قادمة، بل وقعوا على ذلك فى معاهدتهم مع بعض القوى الأوروبية مثل أراجوان وبيزنطة فى إعلام المسلمين بأى مشروع مقبل لحملة صليبية، وبالفعل يمكن القول أنه لم تصل حملة صليبية إلى الشام إلا وعلم المسلمون بها قبل وصولها بوقت كاف. أما قبل الحملات نفسها فى بلاد الشام فكان الجانبان المسلمون والصليبيون يعملان على قطع الطرق والقبض على التجار والمسافرين لمنع نشر أخبار الحملة. انظر: ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص .

(٢) مارينو سانودو : كتاب الأسرار ، ص ٢٧٧-٢٧٨.

(٣) مارينو سانودو : كتاب الأسرار، ص ٢٨٠.

راجع أيضاً: Kunstmann, *Studien uber Marino Sanudo*, p. 710.

بصفة دائمة على أهبة الاستعداد وجاهز بسلاحه يترقب أى محاولة هجوم من قبل المسلمين(١). وكانت رؤية سانودو فى بيان كيفية إقامة المعسكر متشابهة إلى حد كبير مع فيدنزيو بادوا(٢).

كما أفرد سانودو اقتراحاته بضرورة اختيار الأماكن الملائمة لنشوب المعركة، فأكد على ضرورة ألا يترك الصليبيون الأماكن العالية للمسلمين حتى لا يكون لهم الفرصة فى الانحدار والهجوم عليهم والتحكم فى سير المعركة ، لأن تركيز الجيش فى الأماكن المنخفضة كثيرا ما يؤدى إلى هزيمة الجيش(٣). كما أكد أيضاً على ضرورة اتخاذ بعض الاحتياطات العسكرية عند قيادة الجيش استعداداً لدخول أى معركة، وأن يلتزم الجنود الصليبيون بتنفيذ أوامر قادتهم، لأن عدم الالتزام يؤدى إلى الفشل والخذى والعار. كما يجب على الصليبيين أيضاً أن يعملوا بقدر الإمكان على تنظيم قواتهم أثناء المعركة، فرأى مارينو سانودو أن يتبع الصليبيون نفس أسلوب التتار فى تنظيم لقواتهم(٤).

وقد نبه مارينو سانودو على جنود الصليبيين أن يحملوا معهم جميع أنواع الأسلحة من الرماح والخناجر والسهام والنبال بكثرة ، وأن يكونوا متحدين مع بعضهم البعض، وأن يراعوا عدم تفرق صفوفهم حتى لا يقعوا فريسة سهلة فى أيدى

---

(١) مارينو سانودو : كتاب الأسرار ، ص ٢٨١. راجع أيضاً:
Magnocavallo, Marino Sanudi il Vecchio, p. 95.

(٢) وقد رأى فيدنزيوا بادوا إنه يجب على الصليبيين أن ينصبوا المعسكر فى مكان آمن وموقع مناسب وتتوفر فيه المؤن وكل ما يلزم الجيش وتكون فيه مياه كثيرة وأن ينصب معسكرهم دائما بجوار الأنهار ليتسنى الرجال وجميع المواشى وفرة المياه وكثرتها. لمزيد من التفاصيل انظر:
Fidenzio, *Liber recuperationis*, p. 31.

(٣) مارينو سانودو : كتاب الأسرار، ص ٢٨٢.

(٤) مارينو سانودو : كتاب الأسرار، ص ٢٨٤.
راجع أيضاً : **Kunstmann, *Studien uber Marino Sanudo*, p. 700.**

– كانت الجيوش التتارية تعمل على تنظيم جيوشها وتقسيمها إلى فرق عسكرية. وكان لكل فرقة راية خاصة بها حتى إذا ضل أحد الجنود طريقه يرجع بسهولة إلى فرقته العسكرية. كما كان لهم علامة خاصة توضع على خوذتهم وتدل عليهم. لمزيد من التفاصيل انظر:
Thorau, p., The battle of Ayn jalut: a rexamined, *Crusade and Settelment*, pp. 240-242.

المسلمين[١]. كما حدث مارينو سانودو أيضاً الصليبيين على عدم التكالب علــــى ســـلب الغنائم إلا بعد التأكد من هزيمة المسلمين ، حتى لا يأخذ المسلمون الفرصـــة ويبـــادروا بالهجوم مرة أخرى على الصليبيين. وقد توافقت نصائح سانودو فى هـــذا الشـــأن مـــع نصائح فيدنزيو بادوا أيضا[٢].

واقترح مارينو سانودو العديد من التوصيات والتعليمات إلى المقاتلين الصليبيـــن من قادة وجنود، فقد أوضح للقواد أن القيادة لها دور أساسى فى نجاح أى حملة فيجـــب أن يكون هناك إجماع بين الصليبيين على عدم تعدد القيادة داخل الفرقـــة الواحـــدة لأن كثرة القادة يؤدى فى كثير من الأحيان إلى نتائج مزرية ومخيبة لآمال الصليبيين مثل ما حدث أيام الحملة الصليبية الخامسة من ازدواجية القيادة مما كان له أكبر الأثر فى فشـل الحملة[٣].

---

(١) مارينو سانودو : كتاب الأسرار ، ص ٢٨٥.

(٢) مارينو سانودو : كتاب الأسرار ، ص ٢٩٥-٢٩٦. راجع أيضاً:

Kunstmann, *Studien uber Marino Sanudo*, p. 704.

- وقد اقترح فيدنزيوا بادوا على جنود الصليبيين عدم الاقـــتراب مـــن الغنـــائم، حتـــى إذا انـــهزم المسلمون أمامهم وتخاذلوا فربما فعلوا ذلك استعداداً للانتقـــام، والفتـــك بجنـــود الصليبييـــن، وليتخذوا حذرهم إذا أرادوا عقد صلح أو سلام وحتى إذا كتب لهم النصر الكامل فلا يسارعوا إلـــى جمع الغنائم إلا بعد تحقيق النصر وإخضاع العدو إخضاعاً تاماً قبل التفكير فى الغنائم. انظر:

Fidenzio, *Liber recuperationis*, p. 31.

(٣) Kunstmann, *studien uber Marino Sanudo*, p. 744; Magnocavallo, *Marino Sanudo il Vecchio*, p. 97.

- جدير بالذكر أن ازدواجية القيادة كانت من أهم عوامل فشل الحملة الصليبية فقد كـــانت الحملـــة بقيادة الملك حنا دى بريين وفى نفس الوقت كان هناك المندوب البابوى بلاجيوس الـــذى تناســـى دوره الدينى وتعامل كقائد عسكرى ، وكانت تصرفاته يغلب عليها طابع العنجهية والعجرفـــة مـــع جنود الحملة عامة ومع الملك حنا دى بريين خاصة . فلم يكن يتشاور مع فى أى شئ فتصـــرف كل منهما برأيه . وقد ظهر هذا الازدواج فى عرض الملك الكامل على الصليبييـــن الجـــلاء عـــن دمياط مقابل تنازله لهم عن جميع الأراضى التى أخذها منهم صلاح الدين الأيوبـــى ، وأن يعـــاد إليهم صليب الصلبوت ، وأن يحتفظ المسلمون بالقلاع الواقعة وراء نهر الأردن المتمثلـــة فـــى الكرك والشوبك . وجاء هذا العرض فرصة للصليبيين فوافق عليه الملك حنا دى بريـــن وأيـــده باقى البارونات ، ولكن جاءت المفاجأة غير المتوقعة فى رفض العرض من المنـــدوب البـــابوى بلاجيوس على الرغم من الأوضاع السيئة التى كان يعانى منها الصليبيون الأمر الذى تسبب فـــى ضياع هذه الفرصة من الصليبيين وتعرضهم للهزيمة بعد ذلك. انظر:

Oliver of paderborn,*Capture of Domietta*, (Philadelphia, 1948), p. 222. CF. Also, Throop, *criticism of the crusades*, pp. 37-41.

كما نصح مارينو سانودو قادة الجيوش بعدم تكليف أى جندى بمهمة عسكرية إذا لم يكن هذا الجندى كفء لها مهما بلغت قوة وشجاعة هذا الجندى لأن المهارة والسرعة وكفاءة العمل وسرعة البديهة تأتى فى المقام الأول . وقد أكد ذلك بقوله "أعلم أن العدو لا يغلب بزينة الأسلحة والقوة بل بالمهارة فى استخدام الأسلحة والرعب وفى باقى الحالات يمكن الإصلاح بعد ارتكاب الخطأ ". أما الغلطة فى الحروب فلا يمكن إصلاحها فإن عقوبتها تنزل حالاً معها[١].

وأوضح سانودو أيضاً فى تعليماته الموجهة للصليبيين لضمان النصر دائما فى الحروب أنه فى حالة الاشتباك فى أية معركة مع المسلمين يجب أن يكون الصليبيون على وعى وإدراكاً تاما بطبيعة أرض المعركة ودراستها جيدا من حيث طبوغرافيتها وتحديد الوقت المناسب لاحتلالها ، حيث أن عدم الدراية بطبوغرافية الأراضى التى يحارب الصليبيون عليها كثيرا ما أدت إلى فشل الصليبيين فى حملاتهم[٢].

واختتم سانودو تعليماته عن الانضباط العسكرى **Militiaris disciplina** بوصية كانت فى نظرة هى أهم التعليمات اللازمة فى هذا الشأن. وهى ضرورة الانصياع

---

(١) مارينو سانودو : كتاب الأسرار ، ص ٢٠٠.

(٢) مارينو سانودو : كتاب الأسرار، ص ٢٨٧. راجع أيضاً:

Schien, *The west and the crusade*, p. 214.

- كان جهل الصليبيين بطبوغرافية أراضى المسلمين سببا فى هزيمة الصليبيين فى مرات عديدة مثل ما حدث زمن الحملة الصليبية الخامسة والحملة الصليبية السابعة. ففى الحملة الصليبية الخامس اختار الصليبيون طريقاً صعباً للوصول إلى القاهرة، فبالرغم من علم الصليبيين بمواعيد ارتفاع و انخفاض مياه النيل فقد احتاروا الطريق المحاذى لفرع دمياط مارا بفارسكور وشارمساح والمنصورة. وكان يعترض هذا الطريق العديد من الترع والقنوات التى تتفرع من النيل فكانت أشبه بالكمائن والفخاخ التى توقع بالجيش الصليبى وكان غزو مصر من هذا الطريق مصيره الفشل. ورغم هذا قام الملك لويس التاسع باتباع نفس الطريقة ولم يستفيد من أخطاء قواد الحملة الصليبية الخامسة. ولمزيد من التفاصيل انظر:

مؤلف مجهول: تتمة وليم الصورى، ص١٦٤؛ القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة حسن حبشى، القاهرة ١٩٦٨م ، ص١٤٢-١٤٦. راجع أيضاً:

محمود سعيد عمران: الحملة الصليبية الخامسة ، ص٢٦٠-٢٦٤.

لأوامر قاد الجيوش وعدم الإقدام على أية خطوة إلا بعد استشارتهم، لأن تصرف الجنود من تلقاء أنفسهم يؤدى إلى الفشل(١).

ويتضح مما سبق أن سانودو قد وضع نصب عينيه أولاً على ضرورة تحقيق الانضباط العسكرى فى الأراضى المقدسة، حيث أنه من واقع خبراته وجد أن عدم الالتزام عسكريا كان يؤدى فى كثير من الأحيان إلى فشل الصليبيين لذلك كان تحقيق الانضباط العسكرى هى الخطوة الأولى للحفاظ على الأراضى المقدسة من الضياع مرة أخرى.

وبعد أن أنهى سانودو توجيهاته العسكرية حول تحقيق الانضباط العسكرى بين الصليبيين، حوّل وجهته تجاه تحقيق الانضباط الخلقى فى المجتمع الصليبى حيث وجد من خلال دراسته أن الصليبيين يحتاجون إلى المزيد من التوجيهات الخاصة بالحياة الخلقية Vitae Mores.

فبدأ سانودو ونصائحه إلى من سيتولون أمر المملكة الصليبية فأوصاهم أولاً بأن يمتنعوا عن كل باطل وأن يتجنبوا الخطايا والآثام التى من الممكن أن تؤدى إلى نهاية المملكة ونهايتهم هم شخصيا مما قد يكون له أكبر الأثر فى أن شعوبهم باتباع خطاهم فقال مارينو "على الملك الصالح أن يتحلى بالفضائل والأخلاق الحسنة حتى يبعث فى مواطنيه الأخلاق الحميدة مثلما تفعل الرأس فى الأعضاء"(٢).

وأكد سانودو على ضرورة استقامة الملك الصليبى فى معيشته وأن يخضع كافة تصرفاته وشهواته لسلطان العقل ، وألا يجعل شهواته تسيطر عليه فتكون هى المقياس الحقيقى لتصرفاته ، كما نصح سانودو الملك المنتظر أنت يجلس على العرش فى

---

(١) Kunstmann, *Studien uber Marino Sanudo*, p. 752.

- كان عدم انصياع الجنود لأوامر القواد أحياناً عاملاً مؤثراً فى إلحاق الهزيمة بالصليبيين ويظهر ذلك بوضوح فى الحملة الصليبية الخامسة عندما كانت القوات الإسلامية ترابط فى فارسكور فقام الجنود الصليبيين بالتصرف من تلقاء أنفسهم دون الرجوع إلى أولى الأمر مما تسبب فى هزيمتهم وقتل مئات من الصليبيين . لمزيد من التفاصيل انظر:
- سعيد عاشور: الحركة الصليبية ، جـ٢، ص٧٧٠-٧٧٤.

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٣٠٥-٣٠٦.

الأراضى المقدسة أن يكبح جماح نفسه عن الملذات التى يتشارك بها مع البهائم، ويأتى فى مقدمة هذه الشهوات والملذات الشهوة الجنسية فينبغى على الملوك والأمراء والقادة أن يمتنعوا عن اقتراف الخطايا التى تؤدى إلى غضب الله كالزنا وتعدد الزوجات والابتعاد عن الرذائل ، ففى نظره أن الملك الذى يسير وراء شهواته دون أى إرادة منه فى تلجيمها ليس مؤهلاً لأن يحكم غيره، بل الأجدى أن يكون تحت حكم غيره ممن يتبعون حكم العقل(١).

كما أفرد سانودو توجيهاته أيضا إلى الرعايا القاطنين فى الأراضى المقدسة والجنود المحاربين بأن يمتنعوا تماما عن اقتراف الخطايا والفسوق والعصيان والملذات الجنسية ، وأن يراعوا السلوك الأخلاقى فى معيشتهم حتى لا يكونوا مثل كثير من الصليبيين ممن سيطرت عليهم تلك الشهوات فأودت بهم إلى الحضيض ، ونالوا كثير من الكوارث التى ساهمت فى نهاية وجودهم فى الأراضى المقدسة(٢).

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٣٠٦-٣٠٧.

- جدير بالذكر أن هناك بعض الملوك كانوا يقترفون جرائم لا أخلاقية مثل الملك لويس التاسع الذى ذكره جوانفيل بأنه بعد هزيمته فى المنصورة زنى بامرأة حتى سجى فى جحرها من الإجهاد. لمزيد من التفاصيل انظر: جوانفيل: القديس لويس حياته وحملاته، ص١٤٧. راجع أيضاً: حسين عطية: طبائع الفرنج، ، ص٣٠ ، هامش ٨٨ .

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٣٠٨-٣٠٩ .

- ظهر الانحلال الأخلاقى عند كثير من الصليبيين فى مواقف عديدة أثناء الحروب الصليبية ففى الحملة الصليبية الأولى ظهرت النساء العاهرات ومارس الإفرنج أعمال الفحشاء والمنكر وخاصة عند مدينة أنطاكيه. بالإضافة لإبعادهم بنات الهوى عن المعسكر الصليبى قبل آية معركة حاسمة. انظر: ريموند داجيل: تاريخ الفرنج غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين عطية ، الإسكندرية ١٩٨٩م، ص ٨٩ ، ١٦٨.

- وكان هناك أيضا مظاهر للانحلال الجنسى فى الحملة الصليبية الخامسة. فكان هناك الكثير من العاهرات اللاتى يتوجهن إلى الحانات ويشربن الخمر بالإضافة إلى وجود بنات الهوى فى السفن، فكان البحارة ينزلون إليهم فى القاع ويمارسون الفحشاء معهن. لمزيد من التفاصيل انظر:

Paderborn, *Capture of Domietta*, p. 65.

راجع أيضا: حسين عطية: طبائع الفرنج ، ص ٨٤.

ومن الجوانب الخلقية الأخرى التى انفرد بها سانودو عن غيره من الدعاة هى انتقاده للصليبيين فى إيمانهم بالأشياء الخرافية وأعمال السحر وقد جاء ذلك فى قوله "أن على الصليبيين جميعا أن يشعروا بالخذى والعار لتدنى مستواهم الفكرى إلى حد الاستعانة بالكهنة والعرافين و الإيمان بالظواهر الطبيعية"(١).

كما اقترح سانودو على حكام الأراضى المقدسة أن يقللوا من فرض الضرائب على الرعايا والعمل على إلغائها تخفيض امتيازات الأمراء. ففى البداية كانت هذه الأموال والضرائب تجمع من الرعايا بهدف إعداد الجيوش للاستيلاء على الأراضى المقدسة، ولكن عندما يتم الاستيلاء على الأراضى المقدسة من الأفضل أن توزع دخول المملكة على البارونات والجنود والرجال المقاتلين الذين يخدمون الملك والملكة لقاء راتب محدد ، وإذا تبقت آية أموال أخرى تخصص لمساعدة الرهبان والمعوقين والرجال الذين بذلوا جهداً كبيراً لاحتلال الأراضى المقدسة وخدموا فى بلاط الملك، وكما يجب أن تخصص جزء من هذه الأموال لبناء الكنائس والأديرة وترميمها وأيضاً للإنفاق على المرضى والمحرومين من آية مساعدات(٢).

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٣٠٥ .

راجع أيضا: **Magnocavallo, Marino Sanudo il Vecchio, p. 142.**

- آمن الصليبيون بكثير من السحرة والعرافين وظهر ذلك فى أكثر من موقف أثناء الحروب الصليبية. ففى الحملة الصليبية الثانية رأى الصليبيون أحد الحواة يلعب بالحيات فى حانة إحدى المدن البيزنطية، ليكسب بعض المال بما يعرضه عليهم من حيل فظنوا أنه ساحر ومزقوه إربا. وإذا كان ذلك يوحى بأن الإفرنج لم يكونوا يحترموا السحر، فإنه فى الوقت نفسه يثبت أنهم كانوا يؤمنون بما له من تأثير.
- أما إيمانهم بالظواهر الطبيعية فظهر ذلك فى الحملة الصليبية الأولى فقبل وقوع المعركة الفاصلة بين الصليبيين وكربوغا سقط أحد الشهب وسط معسكر الأتراك ورأى الإفرنج فى ذلك علامة إعجازية من الله تعبر عن تأييده لهم. لمزيد من التفاصيل انظر: حسين عطية: طبائع الفرنج ، ص ٣٤-٣٨.

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٣١٠.

وكما يجب أن تخصص جزء من هذه الأموال لتوزع على المدن والقلاع لربط المدن ببعضها البعض، وأن يكون لهم سلطة إدارية عليا وتحكم بينهم لوائح وقوانين مشتركة. وتكون أشبه بالإقطاع fudum trivuere.

ومن أجل الحفاظ على الأراضى المقدسة مستقبلاً يجب أن يلتزموا بالشريعة المقدسة Sacrae legis ، وأن يحتفظوا بنسخة منها لتكون نبراساً مضيئاً لكل ملك فى الحكم ليقود الشعب إلى الأمان(١).

كما دعا سانودو الرعية أن يتبعوا الورع والفضيلة فى حياتهم حتى لا تتعرض الأراضى المقدسة للضياع منهم مرة أخرى، وعليهم أن يدرسوا نصوص الكتاب المقدس Scriptura sacrae باللغة العامية على يد الرهبان فى مدارس اللاهوت Scholis Theologiae مثلما تم تطبيق هذا فى مدينة البندقية فوصل أهلها إلى درجة كبيرة من الإيمان(٢).

ونصح سانودو حكام وملوك الأراضى المقدسة بأن يكونوا متواضعين مع الرعية ويتمتعوا بالحلم والتقوى والعطف وعدم التكبر عليهم حتى يتجنبوا مشاعر البغضاء والكراهية من جانب رعيتهم، وعليهم أن يخافوا ويرتعدوا من الله وألا يعتمدوا على أسلحتهم فقط فى معاملة الناس فالمعاملة الحسنة تكون أفضل دائما. كما نصح أيضا سانودو الملوك والحكام بالتسامح والعفو عن الذنوب والأخطاء وتخفيف العقوبة على الرعية إذا كان فى استطاعته ذلك، وليكون رحب الصدر والسعة فى مواجهة الإساءة حتى يستميل شعبه إليه(٣).

وختاما دعا سانودو الحكام والملوك المرتقين فى حكم المملكة اللاتينية بعد إحيائها بان يكونوا عادلين ، فيجب أن تسن الشرائع والقوانين التى تلائم المملكة وتطبق على الجميع دون استثناء حتى يسود الاستقرار والاحترام للملك(٤).

---

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص٣١٢.

(٢) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٣١٣.

(٣) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٣١٤-٣١٥.

(٤) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٣١٥.

وقد طالب سانودو بإصدار قوانين تلغى التمرغ فى الجنس والسكر المتكرر فى الحانات الليلية والفنادق حيث المغنيات والرقص الخليع مما يشجع على الخطيئة، ورأى أن يتم إلغاء كل هذه الحانات بقرار ملكى وتخصص الفنادق لاستقبال الضيوف الذين ليس عندهم منازل للسكن، ودعا إلى إصدار قوانين تحرم النساء من ممارسة أعمال السحر والشعوذة المتنوعة، حيث أنهن يشتركن مع المنشقين والهراطقة والملحدين ويتعلمن أعمالهن التى كثيراً ما تحولت إلى تشكيك وخراب، وهذه رذائل يجب على الملك اقتلاعها من جذورها لأنها كانت سببا فى ضياع وخسارة الأراضى المقدسة فعلى الملك أن يسهر لكى يطبق جميع الشرائع بعدالة تامة لكى تستمر الأراضى المقدسة فى أيدى الصليبيين[1].

ويتضح مما سبق مدى حرص سانودو على الحفاظ على الأراضى المقدسة حيث قدم نصائح فى غاية الأهمية بناء على دراساته السابقة لفشل الحروب الصليبية فلم يترك أى قصور إلا ووضع حلاً لها مما أكد تميزه على غيره من الدعاة.

ورغم كل هذه الوسائل التى وضعها سانودو للحفاظ على الأراضى المقدسة من الضياع مرة أخرى، وحتى تكون نبراساً مضيئاً للملوك والأمراء لكى يتخذوا الخطوة الأولى فى تنفيذ مشروعه الصليبى، إلا أن مشروعة ظل حلماً ضائعاً لم ينفذه أحد فسار مناراً اقتضى به معظم واضعى المشاريع الذين جاءوا بعده[2].

(١) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص ٣١٦-٣١٧.

(٢) تقدم بعض الدعاة بمشاريع للاستيلاء على الأراضى المقدسة عن طريق تطبيق الأفكار التى دعا إليها مارينو سانودو مثل وليم أدم وبوركارد وعن هذه المشاريع انظر:

Atiya, *The Crusade in the Later Middle Ages, p. 64-90.*

الخاتمة

الخاتمـــة

فى أعقاب سقوط الكيان الصليبى فى الشرق فى عام ١٢٩١م/ ٦٩٠هـــــ بـدأ الغرب الأوروبى يدرك عدم جدوى استخدام القوة العسكرية مع دولة المماليك فـــى ظـل قوتها العسكرية والاقتصادية. الأمر الذى جعل البابوية ودول الغرب الأوروبى تبحث عن طريق آخر للتغلب على سلطنة المماليك، فرأت أن افضل الطرق هو اســـتخدام سياســة الحصار الاقتصادى للسلطنة الأمر الذى سيؤدى إلى ضعفها ثم يتبع ذلك غزو عســكرى وإسقاطها.

وكانت هذه الاستراتيجية موضع دراسة كثير من الدعاة الذين تقدموا إلى البابوية بمشروعات فحواها هذه الاستراتيجية، ولكن كان أكثر الدعاة تطوراً وتميزاً هو مـــارينو سانودو تورسيللو ولذلك كان لابد من دراسة مشروع مارينو سانودو الأمر الذى مكـــن الباحث من التوصل إلى عدة نتائج تمثلت فى أن الحركة الصليبية لم تنته بعــد ســقوط الكيان الصليبى فى الشرق، إنما كان هذا السقوط بداية لانبعاث الروح الصليبية من جديد من خلال الدعاة الذين كانوا يريدون غزو بلاد الشرق الإسلامية الواقعة علـــى شـــاطئ البحر المتوسط لتحقيق أمل الاستيلاء على الأراضى المقدسة مرة أخرى والسيطرة على طريق التوابل المار بأراضى الدولة المملوكية ذلك الطريق الذى كان مصدراً لثراء مـــن يمتلكه.

ومن النتائج التى أمكن التوصل إليها خلال موضـــوع البحـــث أن أغلـــب دعـــاة الحروب الصليبية اتخذوا من الدين ستاراً لتحقيق أهدافهم الدنيئة المتمثلة فـــى فـــرض الصليبيين سيطرتهم الاقتصادية على بلدان العالم الإسلامى وذلك عن طريـــق طرحـــهم أفكار لنشر المذهب الكاثوليكى بين المسلمين.

كذلك أمكن التوصل على امتداد البحث إلى عدة استنتاجات تاريخية هامة ألقـــت الضوء على كثير من النقاط التى شابها الغموض، والتـــى وقفـــت أمامـــها الدراســـات التاريخية الحديثة دون الأخذ برأى قاطع. ومن أهم هـــذه الاســـتنتاجات التوصـــل إلـــى الأسباب التى أدت إلى عدم تنفيذ مشاريع الحروب الصليبية بما فيها مشـــروع مـــارينو سانودو وتمثلت أولى هذه الأسباب فى تفضيل المدن الإيطالية التجاريـــة اللجـــوء إلـــى

سياسة المهادنة واللين والسلام مع سلطنة المماليك خوفا على مصالحـــهم الاقتصاديـــة الأمر الذى جعلهم يخالفون قرارات الحظر البابوى ويتحايلون بشـــتى الوســـائل علـــى البابوية للتعامل مع سلطنة المماليك أما السبب الثانى تمثل فى ضعف البابوية وفقدانـــها مكانتها وعدم قدرتها على فرض سيطرتها على مقدرات الأمور فى الغـــرب الأوروبـــى، الأمر الذى جعل دول الغرب لا تولى أى اهتمام للبابوية، بالإضافة إلى عدم التعاون بيـن الدول الأوروبية وعدم تقديرهم للمسئولية الملقاة على عاتقهم.

وكذلك أمكن للباحث التوصل أيضا إلى أن اصل مارينو سانودو البندقى الأصـــل كان العامل والمحرك الأساسى لتقديمه مشروعه الصليبى على بلاد الشرق رغبة منه فى زيادة مكاسب البنادقة الاقتصادية. ويرى الباحث أن مارينو ســـانودو لـــم يكـــن يهمـــه استرداد الأراضى المقدسة من أجل الدين بل كان يمثل عنده دافعاً ظاهرياً ليحصل علـــى التأييد اللازم من جانب البابوية.

ومن القضايا الهامة التى تناولها الباحث تأثير ما قام به مارينو ســـانودو علـــى الغرب الأوروبى فى ظل الأوضاع السائدة فأمكن للباحث التوصـــل إلـــى أن مجـــهودات مارينو سانودو قد ساهمت إلى حد ما فى إحساس بعض طوائـــف المجتمـــع الأوروبـــى بمسئوليتها مثل رجال الدين ،فقاموا بدرهم فى الدعوة للحملة الصليبية ويدل على ذلـــك رسالة بطرس أسقف سباستوبوليس.

الملاحق

الملاحـــق

الملحق الأول: خطاب مارينو سانودو إلى فيليب السادس فالوا ملك فرنســـا، ٤ أبريــل ١٣٣٢م. انظر:

Kunstmann, Studien Uber Marino Sanudo, pp.791-796.

الملحق الثاني: خطاب مارينو سانودو إلى فيليب السادس قالوا ملك فرنسا، ١٣ أكتوبــر ١٣٣٤م. انظر:

Kunstmann, Studien Uber Marino Sanudo, pp. 799-808.

الملحق الثالث: شكل توضيحى يبين شجرة عائلة مارينو سانودو انظر:

Magnocavallo, Marino Sanudo el Suo Progetti de croisade, p. 23.

تتصل هذه الملاحق اتصالا وثيقا ومباشرا بموضوع البحث، وتلقى كثـــيرا مـــن الضوء على بعض جوانبه، وتكشف الغموض عن بعض قضاياه. فهى تتضمن وثـــائق حررها مارينو سانودو بخصوص موضوع البحث.

والملحق الأول والثانى هى رسائل تم تبادلها بين مارينو سانودو وفليب السادس ملك فرنساوهى مازالت بلغاتها الأصلية (اللغة اللاتينية) ولم تنشر بأى لغة حديثة بعـد. أما الملحق الثالث فهو شكل توضيحى يبين عائلة مارينو وأخوته وأولاده.

أما عن الملحق الأول فهو نص الرسالة التى بعث بـــها مـــارينو ســـانودو مـــن البندقية فى ٤ أبريل ١٣٣٢م إلى الملك فيليب السادس فالوا ملك فرنسا بشأن الحملـــة على الأراضى المقدسة يبدأ الخطاب بتذكيرها مارينو للملك فيليب بأنه سبق وأن قـــدم الكتاب الخاص بالمشروع لكثير من الرجال ومنهم سلفه الملك شارل الرابع. ثم يلى ذلك توضيحه للملك كيفية تنفيذ المشروع بما يضمن سلامة المســـيحيين وتدمـــير ســـلطان مصر والاستيلاء على الأراضى المقدسة ويلى ذلك بيان بالمطلوب من القوات والقـــادة والحلفاء وتعليمات خاصة بكيفية الاستيلاء على الأراضى المقدسة.

أما عن الملحق الثانى فهو الخطاب الذى بعث به مارينو ســـانودو إلـــى فيليـــب السادس ملك فرنسا فى ١٣ أكتوبر ١٣٣٤م بشأن توحيد الكنيسة الشـــرقية والغربيـــة باعتبار ذلك عاملا مساعدا على تحقيق النصر على المسلمين فهو يبدأ خطابه بتوضيـــح أملاك إمبراطور الروم والأمم المحيطة بهم وتتبع حذوهم ثم يشير إلى مجمـــــع ليـــون ١٢٧٤م ومحاولة توحيد الكنيستين ويلى ذلك توضيحه للولايات التـــــى تعـــرض لـــها المسيحيين بسبب عدم الوحدة وبعد ذلك يوضح إمكانية تحويل اليونانيين إلى المذهـــب الكاثوليكى وإذا رفضوا يعتبروا هراطقة ثم يشدد علـــى ضـــرورة تحولـــهم لأن ذلـــك سيساعدهم على الاستيلاء على الأراضى المقدسة.

الملحق الأول

خطاب مارينو سانودو إلى فيليب ملك الفرنجة في ٤ أبريل ١٣٣٢م

نقلا عن

Kunstmann, Studien uber Marnio Sanudo, pp. 791-797.

(Marini Sanudi Philippum Regem Francorum Epistola).

Victoriosissimo principi ac praeclarissimo domino, domino philippo regi Francorum, Marinus Sanutus, aliter dictus Torxellus, de venetiis se ipsum ad grata si qua possum obsequia voluntarium et devotum cum omni reverentia magnificentiae vestrae scribendo.

Quia cursus temporis sollicitudoque ardua interdum oblivionem inducunt, noverit vestra serenissima magnificentia, quod ille Marinus ego sum praesentavi domino summo pontificii, et bonae memoriae serenissimo Karolo consanguineo et praedecessori vestro, ac quam pluribus allis et praesertim de regno mangnificentiae vestrae librum secretorum fidelium crucis et mappas mundi. Qui liber est tam pro conservatione fidelium quam pro conversione vel consumptione infidelium, quamque etaim propter acquirendam et tenendam terram sanctam et alias multas terras, deo dante, in bono statu pacifico et quieto. Et licet praesumptuosum appareat, servum humilem sublimi domino ardua memorari, quamquam tamen nec reprehensibile servo recordari, nec dominop audire in decens judicature. Hine est quod me existente Neapoli in curia serenissimi et excellentissimi Jerusalem et Siciliae regis pro facto Turchorum audivi, quod

vestra serenissima et excellens magnificentia intromiserat et promiserat cum pluribus allis regibus principibus et baronibus negotium passagii terrae sanctae. De quo secundum meae parvitatis modulum gaudeo in immensum, deum rogans, ut) vestrae excellentiae et omnibus aliis qui ad talia satagunt et hanelant) longam et bonam vitam cum prosperitate largiri dignetur, ut hoc sanctum negotium exccutioni) mandetur.

Verum cum omni reverentia colloquendo) pro communi bono christianitatis duo sunt valde necessaria et maxime ad praesens. Primo quod fiant processus in terra et inquisitores similiter utrique solum hinc in posterum duraturi. Secundo quod galeae X. vel usque ad XV. Pro maris custodia facienda. Et in istis eo ordine procedatur, prout in libri praedicti secretorum fidelium orucis serie continetur). Igitur cum ita sit, quod et fundamentum debilitandi soldani Babylonis potentiam, et removendi a multis occasionem participandi cum et tenendi terram sanctam sit, ponere istud opus antediutum ad executionem, id est tenere fortiter, processum in terra, et dictas X. vel XV. Galeas in mari bene munitas ad hoc, ut nichil eis penitus portaeture hinc, vel inde huc affereture) poterit vestra excellentia ordinare ac mandare de his sicut et qua ndo vestrae excellentiae placuerit et mandaverit ordinandum. Quod si ea executioni mandanda vestra excellentia serenissima determinaverit, ad plenam consumptionem soldani exigetur. Si placet excellentiae vestrae, quod in anno primo vel secundo postquam succursus rerum quae terris soldani contra inhibitiones sanctae ecclesiae portari solent defecerit, deigratia praeeunte, non est dubium, quod hoc erit casusa pacis inter

fideles, prout patet in libro praedicto, libro secundo, parte secunda, capitulo ultimo suae partis, et in libro Josue ubi loquiture de prohinitis rebus absconditis de Jericho). Postea eligatur unus home diligens et timens deum ac magni valoris et prudentiae, qui sit pro utilitate boni communis christianitatis, et plus illud diligat quam proprium bonum, habeatque benevolentiam et amicitiam Venetorum, ut possit cum illis facere facta sua, et in illis auxillum et consilium invenire. Huic si quidem capitaneo opportuna) erunt in omnibus XV. Milia hominum peditum, et trecenti homines cum equis, cum hominibus) de galeis supradicitis, ita ut uno deficiente aluis loco ejus subrogeture, omnes ad stipendium cum navigiis victualibus et aliis ad bellum necessariis ut oportet. Et sit unicus capitaneus cui committature negotium, quia res ordinata unum caput requirit. Quos omnes dictus capitaneus ducet super maritima loca Egypti, ibique terram capient, et habitationes faciet juxta consilium quod ab expertis datum sibi fuerit et ostensum. Congrebit ibi etiam navigium tam fluminum quan maris, et victualia in maxima quantitate, et ali multa ad bellum necessaria tam pro ipsis quam pro aliis venturis, ut possit super inimcos fidei currere quando et quo sibi videbitur expedire), et quod armata dicti capitanei sive amirati de uno loco, ubicumque commodius poterit inveniri, assumatur, quia gentes exercitus galearum et navigii in diversis partibus armatorum congregatae insimul male conveniunt, et male se tolerant, et facile posset oriri dissensio) inter cos, propter quod tota res posset leviter deperire. Et si serenissimae vestrae majestati placeret armare et mittere gentes in diversis partibus, et) armatam ad hoe aptam, credo quod nihilominus in bonum

finem , deo dante, posset negotium terminari, dummodo in gente illa non forent homines in quantitate notabili diversarum nationum et morum, seu etiam dominiorum se in moribus non bene portantium, quia nimia nationum diversitas mor umque dispartias, procurante diabolo qui actibus felicibus invidet, possent aliquam turbationis materiam inducere in armatam. Sed si omnino videretur gentes diveretur gentes diversarum mittere nationum, tunc opor teret tot esse exercitus quot sunt gentes, nec non et quod exercitus sint distantes ab inimicis valeant se tueri). Verum omuimode cum omni reverentia dico, ut res istae in honorem vestrae magnificentiae condescendant, necessarium est ut praedictus vester capitaneus seriem ipsius libri secretorum fidelium crucis totaliter consequature, et ant e suos oculos habeat, et videat mappas mu ndi et particulariter terrae sanclae et maxi me terrae Egypti ac totius mundi, et mappas maris meditereanei cum quibus nautae dirigunt iter suum. Et si haeo omnia fierent diligenter, spero in nomine domini nostri Jesu Christi, in quo ista res agitur, quod hoc negotium finem saluberrimum sortietur). Verumtamen quando excellentiae vestrae placebit personaliter transfretare, poterit ire quo vester exercitus castrametatus fuerit, vel alio, ut vestrae excellentiae ab espertis fuerit perconsultum, et praesertim in Alexandriam ex vestrae magnificentiae ac exercitus regalis vestri dominii cumquo vestra excellentia transfretaverit sospitate. Et non dubito, quod deo dante ipsa Alexandria in manus vestri dominii condescendet. Et deinde et de aliis locis maritimae Egypti vestra domination discedens cum subditis vestri dominii procedet peraquam et terram, sicut domino deo nostro placuerit gratiam ministrare. Et si alicui videretur, quos disctus primus

exercitus X. vel Xv. Galearum magnarum bene munitarum cum trecentis hominibus progalea esset parvus pro facto Turchorum ac potentia soldani saracenor um et aliarum gentium inimicarum, respondeo quod hoc declaratum est in cedulis in hac littera interclusis, quae etiam sant in isto libro tam in gallico quam litteraliter), quia gentes ipsarum galearum magnum adjutorium invenient in illis partibus orientis, donec in brevi armata dictarum galearum fiat. Secundus vero exercitus XV. Milium hominum peditum et trecentorum equitum cum navigiis et aliis ad bellum necessariis, erit satis sufficiens, quia in brevi antequam transeat annus plures ministeriales sine soldo V. milia, et alii victualia et alia ad exercitum, necessaria portantes, current ad ipsum secundum exercitum , qui erunt ad conservatipem et defensionem dicti exercitus, ut alii ac multo plures concurrent solummodo si expensas ad victum pertinentes sine stipendio haberent. Et hoc modo terra Egypti leviter potest haberi quoniam qui dominabuntur tam in aque dulci quam salita finaliter erunt domini ipsius terrae Egypti, Item esset spes, et non fallax, quod christiani de Nubia et aliis partibus superioribus Egypti, qui sunt nigri et qui maxima flagella a soldano Babyloniae receperunt, rationabiliter descendent exparte sua), ita quod infideles Egypti se penitus substinere non poterunt. Et similiter postae erunt domini residui terrae quam tenet soldanus Babylonicus, ex terra ita situata, et or dinem supradicit libri sequendo. Et non videatrur alicui modicum terra soldano subjecta, qui tenet ad suum stipendium XXX. Milia homines equestres, quorum unusquisque servit cum tribus equis et duobus camelis, videlicet XVIII: milia in Egypto et XII milia in Syria Semo et principatu Antiochiae, qui

est ultra desertum Egypti. Verum antiquitus ipse soldanus solebat tenere in Egypto solummodo XIIII. Milia; sed) propter amplificationes Egypti modo tenet XVIII. Milia absque Arabis Beduinis et Turchomannis in equis existentibus, qui habitant et in c ampaniis commorantur et qui in magna quantitate consistunt. Verum nihilominus ipsi non possunt defendere dictam terram Egypti et terram sanctam cum residuo aliaruni terrarum quas tenet, ut in dicto libro et mappis plenius continetur. Ac etiam ipsa terra valeret plus in manibus christianorum quam Saracenorum, bonum ordinem mereatoribus imponendo. Scribo etiam excellentiae vestrae, quod populus Agarenus leviter, ut mihi videtur, posset converti ad fidem, et maxime populus egyptiacus, si christiani solum haberent bonum oppidum) in illis partibus Egypti, ita quod cum omni reverentia vestrae serenissimae santae coronae loquendo dico, quod est utile et necessarium quod dictae X. vel XV. Galeae bene munitae antecedant, ut supra dixi ex causis praedictis. Est etiam opportunum ac necessarium, ipsas galeas esse magnas et bone fultas remis et balistraiis, et maxime ad praeliandum et subjugandum Turchos praedictos, ut illae terrae et insulae Romaniae non destruantur in totum, quoniam immensum dampnum et sinistrum essent passagio antedicto. De alio secundo exercitu omnimode et necesse, ut supra dictum est, quia absque ferro vincitur qui frumentum non praeparat et alia opportuna.

Vestrae etiam excellentiae mitto quandam cedulam in hac littera interclusam, pertinentem ad dominos qui habent regere gentem et maxime armigeram. Quae incipit: Omnes gratiae et

omnia dona a deo descen-dunt etc.) aliam etiam quam feci in romana curia Avinioni, quando Laiacium et casreum terrae et maris per gentem soldani Babyloniae fruit captum, et quasi totum illud regnum fuit decursum et depraedatum. Quae incipit: pro communi bono christianitalis tria sunt valde necessaria, et ad praesens). Verum aliud non est multum necessarium ad praesens, videlicet quod Armenia furniatur), quia Armeni sunt concordes cumsoldano Babyloniae sub tributis vivendo. Et quando processus praedictus erit factus, et dictae X. vel XV. Galeae erunt in mari ad custodiam, ipsi Armeni majorem inde utilitatem consequentur, ita quod melius valebunt solvere tributum praedictum. Aliam etiam quam serenissimo pra edecessori majestatis vestrae in gallico feci, quae incipit: ramenbrance a la royal majeste etc.) Et ad majorem eautelam vestrae magni ficentiae misi exemplum relationis factae ipsi domino summo pontifici. Quae incipit: anno domini millesimo etc.) quae omnes cedulae sunt in isto libro.

....

....

....

....[1].

Satum venetiis anno domini MCCCXXXII mense aprilis die III. Exeunte.

---

(١) هذه الفراغات عبارة عن ثمانية أسطر يعدد فيها مارينو سانودو أمــلاك الصليبيــن والمســلمين ويصفهم بكلمات وضيعة.

الترجمة العربية

من مارينـو سانـودو إلى فيليب ملك الفرنجة

من مارينو سانوتو الملقب أيضاً بتورسيللو إلى الملك صـــاحب النصـــر المبيـــن والسيد الألمعى، فخامة فيليب ملك الفرنج(١). كتب لكم من البندقية معلنا ولاءه الاختيارى الورع وبالغ الإكرام لفخامتكم، مقدما ما يستطيع من آيات المودة والاحترام.

لما كان مرور الزمن والهموم المؤرقة تسبب النسيان لتعلم عظمتكم المبجلة أنـــى مارينو الذى قدم إلى الحبر الأعظم وطيب الذكر فخامة شارل قريبكم وسلفكم(٢)، ولجملـــة كبيرة من الرجالات لا سيما من مملكة فخامتكم "كتاب أسرار مؤمنى الصليب" وخرائـــط العالم. وهذا الكتاب مفيد سواء للدفاع عن المؤمنين أو لهداية الكفرة أو إفنائهم، وكذلـــك للاستيلاء على الأرض المقدسة وأراض أخرى كثيرة والحفاظ عليها بعونه تعالى بســلام وطمأنينة. ولما كان أمراً لا يخلو من الإدعاء أن يذكر عبد متواضع إلى سيده الســـامى أمورا جسيمة كهذه، إلا إننا نرى أنه لا عيب على العبد أن يذكر ولا لوم على الســـيد أن يصغى ولذلك فإثناء إقامتى فى نابولى فى دائرة صاحب العزة والفخامة ملـــك أورشـــليم وصقلية(٣)، لأمر متعلق بالأتراك، علمت أن عزتكم وفخامتكم اقترحت مـــع عـــدد كبـــير غيرها من الملوك والأمراء والبارونات حملة على الأرض المقدسة، ووعدت بها. وقـــد سبب لى هذا أنا الصغير، على طريقتى المتواضعة، فرحا عظيما، ودعوت إلـــى الله أن يمنح فخامتكم وجميع الذين يتطلعون ويبذلون المساعى لمثل هذه الحملة، العمر الطويـــل الهنئ مقرونا بالازدهار لتدخل هذه المهمة مرحلة التنفيذ.

أقول بجزيل الاحترام أن مصلحة المسيحيين تقتضى أمرين بالغى الضرورة فـــى الوقت الراهن: أولهما رسم خطة متابعة مع أجراء تحريات فى الناحيتين (البر والبحـــر) والالتزام بذلك منذ الآن فصاعدا. الثانى تسليح عشرة زوارق أو حتى خمسة عشر للقيام

(١) المقصود به فيليب السادس فالوا ملك فرنسا.

(٢) المقصود به شارل الرابع ابن الملك فيليب الرابع ولد فى عام ١٢٩٤م وتولى الحكم فـــى الفـــترة من ١٣٢٢م – ١٣٢٨م انظر:
WWW. Columbia, Encyclopedia, com (a ccessed 7-10-2005).

(٣) المقصود به روبرت ملك صقلية تولى الحكم فى الفترة من ١٣٠٧م – ١٣٤٣م.

بالحراسة على البحر. يتبع فى هذه الأمور بالترتيب ما ورد فى الكتـــاب ســـابق الذكـــر "أسرار مؤمنى الصليب". ولما كان الهدف الأول والأساسى إضعاف قوة ســـلطان مصـــر وقطع الطريق على الجميع عن المساهمة مع أعداء الصليب خلافـــا لأوامـــر الكنيســـة والاستيلاء والحفاظ على الأرض المقدسة فلابد من تنفيذ المهمة المذكـــورة أى اتبـــاع الخطة بدقة على البر وتعبئة الزوارق العشرة أو الخمسة عشر المذكورة جيدة التسليح، بحيث لا يمكن نقل أى شئ من أو إلى هناك، ولجلالتكم إصدار الأوامر اللازمة فى هـــذا الشأن كما يحلو لجلالتكم إصدارها. وإذا ما قررت جلالتكم المبجلة الأمر بالتنفيذ، فلابـــد من استهداف القضاء المبرم على السلطان.

وإذا ما رضيت جلالتكم بذلك، ستتوقف بعونه تعالى بعد ســـنة أو ســـنتين كـــل المعونات التى تنقل عادة إلى السلطان خلافا لأوامر الكنيسة المقدسة مما ســـيؤدى بـــلا شك إلى استتباب السلام بين المؤمنين كما يتضح من الكتاب المذكـــور الكتـــاب الثـــانى الجزء الثانى الفصل الأخير منه ومن سفر يشوع (بن نون) حيث يرد الحديث عن تخبئة الممنوعات المجلوبة من فلسطين. ثم يتم اختيار رجل جاد يخاف الله من ذوى المـــروءة والحكمة، لمصلحة المسيحيين وخيرهم العام، أحرص عليه من حرصه علـــى مصلحتـــه الشخصية ومن ذوى المودة والحظوة لدى البنادقة ليتسنى له تحقيق مســـاعيه معـــهم ويجد لديهم المشورة والمساعدة. مثل هذا القائد يحتاج إلى خمسة عشر ألف رجل مـــن المشاة وثلاث مئة من الفرسان ورجال على الزوارق سابقة الذكـــر، بحيـــث إذا ســـقط أحدهم حل محله الآخر. كل هؤلاء بالأجرة وبصحبتهم سفن التموين وكل مـــا تقتضيـــه المعركة كما يجب. وحبذا لو كان القائد الذى تسند إليـــه المهمـــة واحـــدا لأن الأمـــور المنتظمة لا تحتاج إلى أكثر من واحد. هذا القائد يمضى بهم جميعا إلى سواحل مصـــر، حيث يستولون على البر ويصنعون لهم مساكن وفق أوامر وتعليمات الخبراء. يجمعـــون هناك أيضا مراكب نهرية وبحرية ومؤنا بكميات كبرى وأشياء أخـــرى كثـــيرة لازمـــة للحرب، سواء لهم أو القادمين بعدهم ليمكن الهجوم على أعداء الإيمان متـــى وكيفمـــا سنحت الفرصة.

يعبأ جيش القائد أو الأمير المذكور من مكان واحد، حيثما اتفق وتسنى لـــهم، لأن رجال الجيش والزوارق إذا ما حشدوا من أماكن وجيـــوش مختلفـــة يعســـر تجميعـــهم

ويصعب تألفهم وسرعان ما تنشب الخلافات فيما بينهم مما يؤدى إلـــى فشـــل العمليـــة بأسرها أما إذا شاءت جلالتكم تسليح قوم من الناس وتعبئتهم من أماكن مختلفة وتكوين جيش ملائم للغرض يبدو لى أنه ممكن إنجاز هذه المهمة بنجاح بعونه تعالى بشـروط ألا يكون الرجال مختلفى التقاليد والقومية بأعداد كبيرة وكذلك لا يكون قادتـــهم مـــن ذوى الأخلاق السيئة لأن كثرة الاختلاف فى القومية وتنافر التقاليد بوسعها-بإيعاز من إبليس الذى يحسد المبادرات الناجحة أن تشكل سببا للاضطراب فى الجيش. لكن إذا كان لابـــد من حشد رجال من قوميات مختلفة، عندئذ لابد من تعدد الجيوش بعدد القوميات ويكـــون الواحد بعيدا عن الآخر ويكون كل واحد منها قادرا على الدفاع عن نفسه.

ثم أقول لجلالتكم ببالغ الاحترام، إذا شئتم لهذه الأمور أن تشرفكم، لابد لقـــائدكم سابق الذكر أن يلتزم بدقة بالترتيب الوارد فى "كتاب أسرار مؤمنى الصليب" المذكـــور، ويكون على الدوام نصب عينيه، ويطلع على خرائط العـــالم لا ســـيما خرائـــط الأرض المقدسة وفى مقدمتها مصر والعالم بأسره كذلك خرائط البحر المتوسط التـــى يـــهتدى البحارة بها فى ما يسلكونه من طرق. وإذا ما أنجزت كل هذه الأمور بعناية أمل باســـم ربنا يسوع المسيح الذى من أجله تتم هذه العملية، أن تكلل المهمة بأسعد نهاية.

وإذا ما أحبت جلالتكم أن تبحر شخصيا، فلكم أن تنقلوا إلى حيث عسكر جيشـــكم أو إلى مكان آخر دل جلالتكم عليه خبراؤكم فى المقدمة الإسكندرية بعد تحريرها على يد جيش سيادتكم الملكى بانتقال جلالتكم معه. ولا أشك أن الإسكندرية ستستسلم بين أيديكم ثم تغادر سيادتكم مواقع مصر الساحلية الأخرى متقدما مع رجال جلالتكم براً وبحراً على ما يوفقكم إلهنا وربنا بنعمته.

وإذا ما استصغر بعضهم لجيش الأول سابق الذكر بزوارقه العشرة أو الخمســـة عشر الكبرى جيدة التسليح يحمل كل واحد منها ثلاث مئة رجل، أجبت أن الأمر موضـــح فى البطائق طية وهى مذكورة أيضاً فى هذا الكتاب باللغة الفرنسية والفصحى لأن رجـــال هذه الزوارق سيجدون مساعدة وافرة فى الأقطار الشرقية ريثما تتم تعبئة جيش هـــذه الزوارق فى وقت قصير. أما الجيش الآخر ذو الخمسة عشر زورقا والألف من المشـــاة والثلاث مئة من الفرسان بمراكبهم ولوازم المعركة الأخرى، فتكفى للغرض لأنه قبـــل مضى سنة سيسارع عدد كبير من المهنيين إلى تقديم خمسة آلاف وغيرهم يأتى بالمؤن

وغير ذلك من احتياجات هذا الجيش الآخر، مما يفيد للدفاع عن الجيـــش الأول وبذلـــك يهرع عدد كبير غيرهم مكتفية بما يوفر للدفاع عن الجيش الأول وبذلك يـــهرع عـــدد كبير غيرهم مكتفين بما يوفر لهم من نفقات معيشتهم مستغنين عن الأجرة. بذلك يتيسر الاستيلاء على البلاد المصرية، لأن أسيادها ســـواء عنـــد الميـــاه العذبـــة أو المالحـــة سيكونون فى آخر المطاف هم أصحاب الأراضى المصرية.

كذلك هناك أمل وطيد واحتمال أن يخرج مسيحيو النوبة ومناطق الصعيد الأخرى من الزنوج، ممن عانوا من تبقى من أصحاب الأراضى التى فى حوزة سلطان مصر فـــى وضعها الجديد، مع اتباع خطة الكتاب سابق الذكـــر. ولا ينبغـــى أن تعتـــبر الأراضـــى الخاضعة للسلطان شيئا قليلاً، لأن فى حوزته ثلاثين ألفا من الفرسان بأجرتهم كل منهم يقدم خدمته بثلاث من الخيول وجملين، أعنى ثمانية عشر ألفا فى مصر، واثنا عشر ألفا فى سوريا وإمارة أنطاكية الواقعة ما وراء صحراء مصر. لم يكن للسلطان قديمـــا فـــى مصر إلا أربعة عشر ألفا لكن بعد ما جرى فى مصر من توسع له الآن ثمانية عشر ألفا ما عدا العرب البدو والتركمان وهم من الفرسان سواء من الحضر أو من سكان البريـــة وأعدادهم كبيرة. على أن هؤلاء لا يستطيعون الدفاع عن أرض مصر والأرض المقدسة وما يتبعها من أراض، كما ورد فى الكتاب المذكور وفى خرائطه بشكل أوضح. ثـــم إن هذه الأراضى لو كانت فى أيدى المسيحيين لكان وضعها خيرا منه فى أيدى المســـلمين إذا ما فرض على التجار نظام أفضل.

وأريد أن أضيف لجلالتكم أن اهتداء الهاجريين إلى الإيمان أمر يســـير لا ســـيما المصريين منهم، لو كان للمسيحيين فى البلاد المصرية بلدة حسنة وأنا أقول لجلالتكـــم بكل احترام أن ذلك مفيد وضرورى لكى تسبق إليها العشرة أو الخمسة عشـــر زورقـــا كاملة التسليح كما سبق وقلت وللأسباب المذكورة. ويحبذ ويجب أن تكون هذه الـزوارق كبيرة ومزودة كما يجب بالمجاديف والطاعنين بالسهام فى المقام الأول، لمحاربة الأتراك سابقى الذكر والسيطرة عليهم كى لا يقضى بالسهام فى المقام الأول بمحاربـــة الأتـــراك سابقى الذكر والسيطرة عليهم كى لا يقضى على بلاد الروم وجزرهم قضاء مبرما ممـــا ينتج عنه ضرر جسيم وكارثة للحملة المذكورة. أما الجيش الثانى فلابد منه، كما ســـبق وقلنا لأن من لا يعد القمح وما إليه يسقط بلا سلاح.

أرسل إلى جلالتكم طية بطاقة متعلقة بالسادة الذين سيرئسون القـــوم، لا ســيما المتسلحين منهم، أولها: "كل النعم وكل الهبات تنزل من الله". وهنـــاك بطاقــة أخــرى حررتها فى الدائرة الرومانية فى أفنيون يوم سقطت Laiacium والقلعة براً وبحرا فى أيدى سلطان مصر وتم غزو معظم أرجاء تلك المملكة ونهبها أولها: "لمصلحة الشـــعب المسيحى ثلاثة لابد منها وعلى الفور". أما الأمور الأخرى فليست من الضرورات الملحة فى الوقت الراهن أعنى إعداد أرمينيا لأن الأرمن موالون لسلطان مصر ومقيمون تحــت الجزية. وعند تنفيذ الخطة سابقة الذكر وبرابطة السفن العشر أو الخمس عشـــرة فـــى البحر للحراسة، سيحقق الأرمن المزيد من الفوائد وبذلك يصبحـــون أقــدر علـــى أداء الجزية المذكورة.

كما وحررت لجلالة سلفكم المبجلة باللغة الفرنسية بطاقة أولها: "مذكرة لجلالـــة الملك". ولتكون جلالتكم على علم بالموضوع أرسلت صورة من التقرير الـــذى أعددتـــه لسيادة الحبر الأعظم نفسه أوله: "فى سنة الميلاد ألف، الخ". وجميع هذه البطائق طـــى هذا الكتاب.

صادر عن البندقية سنة ١٣٣٢م مساء الرابع من شهر أبريل.

الملحق الثانى

خطاب مارينو سانودو إلى فيليب ملك الفرنجة فى ١٣ أكتوبر ١٣٣٤م نقلا عن

Kunstmann, Studien uber Marino Sanudo, pp. 799-808

(Ejusdem epistola ad philippum Francorum regem)

Christianissimo principi ac victoriossimo domino, serenissiom domino philippo dei gratia regi Francorum, ac capitaneo generali illustrissimo passagii dei et terrae sanctae per sanctissimum summum pontificem constituto, marinus Sanudo, aliler dictus Torsellus, de civitate Rivialti de confinio sancti severi de provincia Venetiarum, sanctae matri) ecclesiae et vestrae praeclarae dominationi) perr omnia devotus, se cum omni recommendatione et promptitudine famulandi.

Licet praesumtuosum appareat, servum humilem sublimi domino ardua memorari, quandoque tamen nec reprehensibile servo recorsari, nec domino vestrae transmiserim litteras de mense decembris proxime elapsi per nuntios illustris domini mei dusis et communis venetiarum ad celsitudinem vestram transmissos, postae vero circa calendas julii excellentiae vestrae scripsi per nobilem et circumspectum virum dominum Thibaldum de Barbaxano nuntium regiae majestatis vestrae in Italiam transmissum pro opportunis negotiis comitis Joannis arminiacensis et Rutiensis. Post haec etiam magnificentiae vestrae scripsi per jachinum de Cremona virum fidelem, quem serenitati

vestrae prout valeo recommendavi et recommendo. Nunc vero cum a quodam reverndo et probissimo viro fuerim requisitus, quod sibi deberem consulere super unione ecclesiarum Graecorum cum latinis, aspiciens hoc esse immensum bonum et maximum proficuum, intentus vestri sanctissimi passagii dei et terrae sanctae, super haec cogitavi scribens aliqua cum omni reverentia et humilitate ad emendationem vestrae regiae majestatis: scilicet quod hoc deberet inducere, et moveret dominum nostrum summum pontificem, vestram excellentiam circumspectam, cardinales, praelatos et alios reges, principes et barones, et fideles quoscunque, videlicet quod cum imperator Graecorum teneat ad praesens modicam terram respectu ejus quod antiquitus tenere solebat, tamen non videatur cuiquam gens modica ea quae sequitur Graecorum vestigia : nam quam plurimae terrae ipsorum amissae habitantur pro majori parte ab ipsis graecis et sequentibus eorum vestigia. Primo Asia minor quae est tanta terra, et plus quanta est tota Hispania in qua Asia minori est comimanatus Trapessunda, quod est magnum dominium et sana terra valde; secundo soldanaticus Cunii, quem antiquitus Turchii tenere solebant, sed ad praesens tartari, qui tartari eum appellant Euromi id est Romaniam; et similiter Mesopotamia: Et repertitur in libro ultramarini conquestus, quod Balduinus frater Gothifredi de Bullonie primus rex coronatus jerusalem fuit comes illic, et appellabatur comes de Roas. Postmodum habuit balduinus de Burgo secundus rex Jerusalem, et postea Gensulinus et filius suus fuerunt comites ibidem. Quae

Mesopotamia est terra valde fertilis et amoena, in qua plures solebant esse dignitates et magnae praelaturae. Erat etiam quasi tota Syria et Aegyptus plena Graecis, et adhuc ibi sunt plurimi in praesenti. Sunt etiam in aliis terris imperatoris: Tartarorum de persia quam plurimi Graeci, qui sequuntur praedicta vestigia. Sunt etiam juxta ipsos Tartaros duo reges georgianorum qui appellantur Yvari et aliqui Gichi – qui faciunt se vocari david, quorum unus subditus est tartaris, alius vero. Qui sunt probi homines et fortissimi, bellatores et audaces et sunt magnus populus, et tenent ritum Graecorum. Sunt etiam in galgaria et in aliis locis subjectis Tartaris de septentrione aliqui populi, scilicet Gothi et aliqui Alani et aliquae aliae plures nationes, quae sequuntur Graecorum vestigia. Praeterea sunt in Ruscia duo duces, qui sunt submissi Tartaris, qui tenent terram magnam cum gente maxima, qui sequuntur Graecorum vestigia. Ex qua descendit quantitas maxima variorum in franciam in Alemanniam et in Italiam. Et est Rusoia major et minor. Major vero a septentrione confines habet ad occidentem cum livonia, in qua fratres cruciferorum habent magnas terras, ab oriente cum Sythia et terra Husbecci tartari a meridie autem est Ruscia minor, quae confinat ab occidente cum Polonia, meridie autem Ungaria, et ab oriente cum Husbecco tartaro domino suo praedicto. Imperium etiam cagorae sive Bulgariae, quod habitatum est a sclavis, est terra magna, et tenet ritum. Graecorum. Sequuntur etiam Graeoorum vestigia illi de regno serviae sive rassiae, praeter aliqualem gentem modicam quae residet prope mare. Item sub

dominio regis Hungariae est magnus populus, qui sequuntur Graecorum vestigia. Item in despotatu archae, qui se extendit juxta mare per trecenta miliaria et per unam vel duas diaetas infra terram, sunt omnes graeci et sequuntur praedicta vestigia. Item in cilicia, quae appellatur armenia, pro majori parte habitant graeci qui tenent dictum ritum. Et nihiloininus terra cypri, quae est habitata a graecis, et crefensis insula, et omnes terrae et insulae aliae archipelagi, principatus amoreae, ducatus athenarum et blachiae, omnes quasi Habitantur a Graecis. Et quamvis obedientes sint in verbis, corde tamen male obediunt, quamvis dominium in magna parte in Latinis sit temporale et spirtuale, ita quod Graeci et eorum vestigia sequentes occupant multam terram. Sed quantum ad mentem fideles esse credo plures et meliores. Quare perfectio tractatus unionis praedictae esset optima tam pro obviando infidelibus quam pro acquirendis tot animabus. Nam ut ait augustinus VIII confessionum: plus gaudet home de salute animae desperatae et de majori periculo liberatae, quam si spes ei semper affuisset, et misericors deus pater plus gaudet de uno peccatore poenitentiam agente, quam de nonaginta novem justis qui non·indigent poenitentia, et nos cum magna jocuditate audimus, quia exultantis pasroris humeris reportetur ovis quae perierat, etdrachma referatur in theesauros suos collaetantibus vicinis quae invenerit, et Iacrymas excutit gaudii solemnitatis donius dei, cum Iegitur in domo sua defilio juniore, quoniam mortuus erat et revixit, perierat et inventus est. Luc. 15. Et est sciendum, quod proayus istius imperatoris Graecorum

Andronici qui nunc regnat, qui nominabatur chiemicali palealore, fecit sacramentum per suos nuntios tempore papae gregorii placentini in concilio lugdunensi, quod esset obediens sanctae matri ecclesiae. Qui nuncii tunw cantaverunt graece alta voce: credo in unum deum, sicut cantatur a latinis: quod ex patre filioque procedit etc. qua de causa ipse imperator multos suorum calogerorum, qui ad hoc obstabant, fecit mori et in mare submergi. Postmodum vero inimico humanae naturae, cui cuncta bona utilia displicent, interventiente praedicto sanctissimo summo pontifice defuncto alter successit ibidem, ita quod ex procuratione aliquorum magorum dominorum saepe dictus chiemicali palealocus fuit anathemate irretitus. Quare ipse chiermicali tunc dixit ego de hoc revertor ad omnipotentem deum feci quod potui. Post haec omnes exercitus, ques rex carolus magnificus misit in Romaniam contra ipsum chiermicali imperatorem, tam per mare quam per terram nihil profecerunt, quin immo pro majori parte debellati fuerunt, ita quod defuncto chiermicali praedicto gens sua eum sepelire noluit, et adhuc ejus corpus remanet insepultum. Post ejus obitum multitudo Graecorm, conversa fuit ad pristinam schismaticam pravitatem cum filio suo Andronico. Nihilominus aliqui sui graeci nunquam voluerunt redire ad ipsam pristinam pravitatem schismaticam, sed semper usque in finem perseverant. 0 quanta mala ex hujus unionis fractione fidelibus catholicis evenerunt! Quod non longum, sed longissimum esset dicere et narrare ut apparuit. Nam post haec modico lapsu, temporis sicilia rebellavit, propter quam rebellionem o quanta proelia et

conflictus inde secuta fuerunt tam mari quam in terra, et maxime damnum immensum strenui regis philippi filii sancti ludovici, et regis petri aragonum ejus cognat, et multorum comitum baronum ac militum, et populi infiniti! Et adhuc non cessat haez pestis, et maxime in Italiam. Et Graeci et quasi omnes sunt consumti cum sequentibus eorum vestigia. Quare clare et veridico innotescit verbum domini dicentis: omne regnum in se dicisum desolabitur, et domus supra domum cadet. Totum et quod tenebant in Syria, scilicet Achon tyrus et tripolim, cum aliis pluribus munitionibus fuit amissum. Et sicut praedictae fractio unionis, ut ostenditur, multum displicuit domino nostro Jesu christo, cujus sanguine pretioso sumus redemti, ita sum certus, quod si ipsa unio effectualiter tractatum haberet, esset e converso. Et hoc leviter posset fieri et compleri per ea quae vidi in constantinopoli, quando anno praeterito fui loquens cum abbatibus monasteriorum de constantinopoli, et cum aliquibus sacerdotibus, et maxime cum chernuf sapienti valde divite et antiquo olim patriacha constantinopolitano, qui est unum corpus et una anima cum imperatore andronico graecorum qui nunc regnat, ita quod pro certo mihi videtur, quod tempus sit aptum ad hoc percomplendum. Quare si dominus noster summus pontifex et vestra praecellens regalis majestas dignaretur mittere huc aliquem reverendum patrem bene sociatum, credo et non dubito, quod hoc negotium finem saluberrimum sortiretur. Si aliquis vero objiceret, quod ecclesia plures illic miserit hac de causa, et specialiter dominus noster summus pontifex qui nunc est cum

christianissimo rege carolo bonae memoriae rege francorum miserit illuc reverendum fratrem benedictum de cumis ordinis praedicatorum, sacrosanctae paginae professorem et nunc episcopum cumensem, responeo, quod tunc temporis erat magna divisio inter imperatorum graecorum andronicum de functum cum nepote suo andronico qui nunc regnat, propter quam divisionem uterque ipsorum nor fuit ausus loqui palam de fide, ne contrarium aliquod reciperent a populis eorundem. Sed modo est e converso. Nam ipsi graeci non possunt videre aliquam viam nec modum ut evadant a manibus turchorum et tartarorum infidelium, quin perficiatur unio fidei subra dictae. Quare qui haberet ipsum imperatorem andronicum qui nunc regnat, et praedictum chiernuf olim patriarcham ex suo latere, omnes alii graeci et aliae nations sequentes corum vestigia revertentur protinus ad fidem catholicam supradictam, et ipsam dee dante nunquam relinquerent. Verum si dictus imperator graecorum andronicus qui nunc regnat cum aliis suis magnatibus tam elericis quam laicis nollet redire ad fidem catholicam supra dictam et ad obedientiam sanctae romanae ecclesiae? Quod non credo ex his quae vidi et in tellexi; ac et ex periculis eisdem imminentibus, ex his quae possunt ustendi eis in veteri testamento quod est imago sive figure novi testamenti. Alias vero rationes super hoc ostendenda dimitto theologis sapientibus. Nam quando populus dei praevaricabatur, nationes cirum circa eisdem adjacentes eos affligebant, ipsos in captivitatem ducendo, et eos omnimodo subjugando, donec ipsi revertebantur ad dei praecepta ideo. Dictis

graecis possumus iucide demonstrare; quod postquam ipsi discesserunt ab obedientia ecclesiae et fide catholica a tempore Eraclii imperatoris Graecorum usque nunc multa flagella aliquando receperunt et recioiunt. Et si quod bonum habuerunt imitium, fuit tempore Gothfridi de Bullione et aliorum principum baronum, qui ibant per terram ad servitium dei et terrae sanctae, et qui acquis iverunt nomine ipsorum graecorum niceam, et debellaverunt exercitium turchorum. Nam tunc Graeci amiserant asiam minorem tempore imperatoris graecorum alexii sed filius suus nomine chaloyanem ipsam postea acquisivit, et lilius suus nomine emmanuel eam retinuit, quod emmanuel recepit in uxorem filiam christianissimi regis qui tunc regnabat, et alias parentelas fecitcum rege jerusalem et aliis principibus latnis, ut reperitur in libro conquisitionis terrae sanctae per gratiam dei. Qua propter si praedicti imperalores. Graeci nollent redire ad unionem fidei catholicae supra dictae, quod nullo modo credo tune debet procedi contra eos tamquam contra haereticos et capitales. Nam ut ait apostolus ad galatas quinto: modicum fermenti totam massam corrumpit. Et ideo post requisitionem praedictam si nollent redire ad unionem fidei catholicae supradictae, tune summus pontifex et alii fideles catholici tam clerici quam saeculares debeant eligere dominum, qui habeat voluntatem potestatem et scientiam acquirendi cum venetis ipsam civitatem constantinopolitanam, et ipsam retinendiu cum aliis terris eidem imperatori. Graecorum subjects. Nam ipsi veneti habent jus scientiam et potentiam in hoc. Et si quis aluis juxta

aliquid in ipsis terris haberet, in hoc unio fidelium provideat, sicut videbitur utile pro opportunitate negotii supra dicti. Verum utilius esset, quod dictus imperator et graeci redirent ad fidem eatholicam praedictam, ut haberemus homines et ipsam terram, quam solummodo terram. Nihilominus si aliqua pars graecorum ad fidem catholicam vellet redire, esset recipienda, non obstante quod dicta terra esset acquisita per praedictum dominum et venetos.

Datum ventiis die XIII. Octobris anno ab incarnatione christi millesimo trecentesimo tricesimo quarto.

الملحق الثانى

من مارينوسانودو إلى فيليب ملك الفرنج

من مارينوس سانودو، الملقب أيضا بتورسيللو Torsellus ، من مدينة ريفالتو المتاخمة للقديس ساويروس فى ولاية البندقية، الموالى ولاء مطلقـــا لأمنـــا الكنيســـة المقدسة ولسيادتكم المبجلة، مع أطيب السلام والاستعداد للخدمة، إلى الملك المســـيحى الفاضل والسيد صاحب النصر المبين فخامة السيد فيليب[١] بنعمته تعالى ملـــك الفرنـــج والقائد العام الأعظم للعبور الإلهى إلى الأرض المقدسة المنظمة على يد القديس الحـــبر الأعظم.

قد يبدو ضربا من الإدعاء أن يعرض عبد حقير إلى سيد مبجل أمورا ذات شـأن، إلا إننا نرى أنه فى بعض الأحيان لا لوم على العبد أن يعرض ولا عيب على الســـيد أن يصغى. لذلك بعد أن وجهت مؤخرا إلى عظمتكم المبجلة رســـالة فـــى شـــهر ديســـمبر المنصرم. نقلها إلى سموكم سفراء سيدى دوق دولة البندقية، كتبت إلى سموكم ثانيـــة فى أوائل شهر يوليو، على يد النبيل الحكيم السيد تيبالدو دى بارباكسانو سفير جلالتكـــم الملكية الموفد إلى إيطاليا فى شأن مهمة متعلقة بالكونت يوحنا أرمينياك وروتينســـيس. كتبت بعدها لسموكم مرة أخرى على يد الرجل الأميـــن يـــاكينوس دى كريمونـــا الـــذى أوصيتكم وأوصيكم به ما استطعت. أما الآن فقد طلب منى رجل محترم وكلى الفضـــل أن أرشده حول اتحاد الكنيستين الرومية واللاتينية، ولما رأيت أن الأمر ينطوى على خـــير عظيم ومنفعة كبرى فكرت أن أكتب قليلا فى هذا الشأن لإطلاع جلالتكم الملكية، أعنـــى أن هذا الأمر ينبغى أن يحرض ويحرك سيدنا الحبر الأعظم وفطنة جلالتكـــم والكرادلـــة والرؤساء الروحيين وسائر الملوك والأمراء والبارونات وجميع المؤمنين.

ذلك إن ما يملكه الآن إمبراطور الروم[٢] فى الوقت الراهن قليل بالنسبة إلى مـــا كان يملكه قديما، لكن لا ينبغى لأحد أن يظن أن الذين يتبعون خطى الروم قليل عديدهم، لأن عددا كبيرا من الأراضى التى فقدوها معظم من يسكنها من اليونانيين والذين يحذون

---

(١) المقصود به فيليب السادس قالوا ملك فرنسا ١٣٢٨ – ١٣٥٠.

(٢) المقصود به الإمبراطور لويس الرابع البافارى (١٣١٤م-١٣٤٧م).

حذوهم. أول ذلك آسيا الصغرى-ومساحتها أكبر من إسبانيا – التـــى تضـــم كومنينيـــة ترابيزوند[١] وهى إمارة واسعة وأرضها كثيرة الخيرات.

ثانيا، سلطنة قونية[٢] التى كانت قديما فى أيدى الأتراك وفى الوقت الراهن فـــى أيدى التتر الذين يسمونها Euromi أى بلاد الروم. كذلك ما بين النهرين. وجاء فـــى كتاب فتوحات ما وراء البحار أن بلدوين أخا جودفرى دى بوليون أول من تـــوج ملكـــا على أورشليم، كان له هناك منصب الكونت وكان يطلق عليه اسم كونت الرها. تلاه فـــى وقت لاحق بلدوين دى بورج ملك أورشليم الثانى ثم جنسولينوس وابنه كان لهما هنـــاك منصب الكونت. وما بين النهرين هذه أرض خصبة غناء كان فيـــها عـــدد كبـــير مـــن المناسب ورئاسات روحية كبرى كذلك سوريا كلها ومصر كانـــا حـــافلتين باليونـــانيين وأعدادهم كبيرة حتى أيامنا هذه. وتضم بلاد التتر أيضا فى فارس أعـــدادا كبـــيرة مـــن اليونانيين يحذون حذو أولئك وهناك بجوار التتر ملكان من الكرج[٣] هما إيفارى وجيخى – يطلقان على نفسيهما اسم داود، أحدهما خاضع للتتر والآخر لا فـــهذان مـــن أفضـــل الناس وأقوى الأقوياء والشجعان فى الحرب. ولهما شـــعب عظيـــم ويتبعـــون الطقـــس اليونانى وفى بلاد الخرز والبلاد الأخرى التابعة للتتر شمالا بعض الشعوب أعنى القـــوط وبعض الآلان[٤] وأمم أخرى كثيرة، يحذون حذو اليونانيين، أضف إلى ذلك قائدين فـــى

---

(١) قونية هى إحدى المدن الهامة للإمبراطورية البيزنطية فى آسيا الصغرى. استولى عليها الأتـــراك عام ١٠٦٩م ثم السلاجقة ١٠٨٤م ثم استولى عليها الصليبيون بمساعدة الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٦م واستولى عليها التتار عام انظر. O.D.B., Vol. II, P. 117.

(٢) ترابيزوند هى إمارة طرابيزون تقع شمال شرق آسيا الصغرى فى شبه جزيرة الأناضول يرجـــع تاريخها إلى القرن الثامن قبل الميلاد. لمزيد من التفاصيل انظر: هناء بركات: التـــاريخ السياســـى لإمبراطورية طرابيزون البيزنطية منذ منتصف القرن الرابع عشر حتى سقوطها عام ١٤٦١م، ص ٢١-٢٤، رسالة ماجستير لم تنشر بعد جامعة طنطا.

(٣) الكرج هى جمهورية جورجيا الحالية.

(٤) الآلان هم من العناصر الإيرانية استقرت بمنطقة القوقاز واستقروا بها منذ القرن الأول الميـــلادى واسهموا بدور فعال فى الأحداث السياسية فى المنطقة. لمزيد من التفاصيل انظر: محمد عثمـــان : أضواء على مملكة الآلان القوقازية فى العصور الوسطى، بحث منشور ضمن مجلـــة كليـــة الآداب جامعة حلوان، العدد ١١ و ١٢ ، ٢٠٠٣ ، ص ٨٠١-٨٠٥.

روسيا خاضعين للتتر يملكان أرضا واسعة فيها شعب لا يحصى يحذو حذو اليونـــانيين تنحدر منهم أعداد كبيرة جدا إلى فرنسا وألمانيا وإيطاليـــا وهنـــاك روســيا الكــبرى والصغرى فالكبرى تحدها شمالا وغربا ليفونيا لإخوة الصليبين فيـــها أراض ولســعة، وشرقا بلاد السكيت وأراض الأوزبك التتر، تقع روسيا الصغرى جنوبا، تحدها بولونيـــا غربا والمجر جنوبا والأوزبيك التتر سابقو الذكر شرقا. هناك أيضا إمبراطورية كـــاجورا أى بلغاريا،سكانها من الصقالبة وأرضها واسعة وتتبع طقس اليونانيين. يحـــذو حـــذو اليونانيين الذين فى صربيا أيضا أى روسيا،ما عدا عددا قليلا يسكن بجوار البحر.وكذلك فى أمارة أرخا الممتدة على الساحل على مدى ثلاث مئة ميل ومسافة يوم أويومين بـوا، الجميع يونانيون ويحذون حذوهم. هناك أيضا قيليقيا المسماة أرمينيا،معظم سكانها مـــن اليونانيين ويتبعون الطقس المذكور. هناك أيضا أرض قبرص التى يسكنها اليونـــانيون وجزيرة كريت وسائر أراضى الأرخبيل وجزيرة الأخرى وأمارة عموريه ودوقيـــة أثينـــا وفلاخيا، معظم سكانها من اليونانيين. هؤلاء يطعيون باللسان إلا إنهم قليلـــو الطاعـــة بالقلب، مع أن معظمهم تحت سلطان اللاتين روحيا وزمنيا.هكذا فإن اليونـــانيين ومـــن يحذون حذوهم منتشرون فى أراض واسعة.

أما بالنسبة إلى الطوية فأظن أنهم من المؤمنين الصالحين وبأعداد كبيرة. لذلـــك تحقيق الوحدة المذكورة فكرة عظيمة الشأن، سواء للتصدى للفكرة أو لكسب النفـــوس، كما يقوا القديس أغسطينوس فى الفصل الثامن من الاعترافات: سعادة الإنسان بخـــلاص نفس واحدة بتحريرها من اليأس ومن خطر جسيم أوفر مما لو لم تفقد قط هذا الأمـــل، وفرح الله الأب بخاطئ واحد يتوب أكثر منه بتسع وتسعين من الصديقين لا يحتـــاجون إلى توبة. ونحن نفرح ونبتهج لدى سماعنا عن الراعى السعيد يحمل خروفه الذى ضاع ثم وجده وعن الفلس الذى يعود إلى مال صاحبه وسط فرح الحـــيران بعـــد أن وجدتـــه السيدة التى فقدته وعن دموع الفرح وسط العيد فى بيت الله، لدى قراءتنا عـــن الفـــرح للابن الأصغر الذى عاد إلى بيته وكان قد مات فعاش وكان ضالا فوجد.

وأعلموا أن الجد الأكبر لإمبراطور الروم أندرونيكوس[١] هذا المالك الآن وكـــان أسمه كيميكالى باليالورى (ميخائيل باليولوج) حلف اليمين على يد سفرائه فى عهد البابا غريغوريس الذى من بيتشنزا فى مجمع ليون، حلف أن يكون مطيعـــا لأمنـــا الكنيســـة المقدسة. وقد رنم فى ذلك الحين سفراؤه باليونانية بأعلى أصواتهم: "أومن بإله واحـــد" كما يرنم اللاتين، أى "أنبثق من الأب والابن" ألخ. لهذا السبب أهلك هذا الإمبراطور عددا كبيرا من كهنته المعارضين للأمر بإغراقهم فى البحر. لكن فى وقت لاحق بتدخل عـــدو الجنس البشرى الذى يكره كل ما هو مفيد وبعد وفاة الحبر الأعظم القديس سابق الذكر، خلفه آخر، وميخائيل باليولوج هذا عوقب بالحرم بمساعى بعـــض الأســـياد والأعيـــان. عندئذ قال ميخائيل: إنى استأنف إلى الله القادر على كل شئ. لقد فعلت ما بوسعى.

فيما بعد جميع الجيوش التى أرسلها شارل العظيم إلى بلاد الروم ضد الإمبراطور ميخائيل براً أو بحراً لم تفلح فى شئ لا بل هزم معظمها بحيث لما توفى ميخائيل رفــض شعبه أن يدفنه وجثمانه ما زال حتى الآن بلا دفن. وبعد وفاته عاد جمهور اليونـــانيين إلى آفة الانشقاق القديم فى عهد ابنه أندرونيكوس[٢] على أن بعـــض اليونـــانيين مـــن الموالين له لم يقبلوا قط آفة الانشقاق القديم وثبتوا حتى النهاية.

يا للويلات التى حلت بالمؤمنين الكاثوليك بانتهاك هذه الوحدة! لا يكفى لذكرهـــا الإسهاب، بل الإسهاب الملل، كما ثبت (فى وقت لاحق). ذلك إن صقلية انشقت بعد ذلك بمدة قصيرة، وكم من الحروب والأزمات تلت ذلك براً وبحراً فى مقدمتها الضرر الجسيم الذى أصاب الملك فيليبوس الشجاع[٣] ابن القديس لويس وصهره بطرس ملك أراجـــون وعددا كبير من الكونت والبارونات والجنود وما لا يحصى من الشعب! حتى الآن لم يزل هذا الطاغون لا سيما فى إيطاليا واليونانيون مع الذين يحذون حذوهم على شفا الهلاك. لذلك صدق وصح كلام الرب القائل: " كل مملكة تنقسم على نفسها تخرب وبيت يتســـاقط على بيت. لقد فقدوا كل ممتلكاتهم فى سوريا أعنى عكا وصور وطرابلس بالإضافة إلـــى

---

(١) المقصود به اندرونيكوس الثالث هو ابن ميخائيل التاسع تولى الحكم ٢٤-مايو-١٣٢٨م. حتـــى وفاته فى ١٥ - يوليو - ١٣٤١م. انظر: O.D.B, Vol. I, P. 95

(٢) المقصود به أندرونيكوس الثانى (١٢٨٢-١٢٢٨م).

(٣) المقصود به فيليب الثالث لقب بالجرى ولد فى ٣-أبريل ١٢٤٥م وتوفى فى ٥ أكتوبـــو ، ١٢٨٥م وتولى الحكم فى الفترة من ١٢٧٠-١٢٨٥م. انظر:
http//en.wikipedia-org (accessed-29-10-2005).

عدد كبير من الحصون. وانتهاك تلك الوحدة أزعج ربنا يسوع المسيح كثيرا كما يبـــدو هو الذى فدانا بدمه الكريم، لذلك أنا واثق أنه لو تمت تلك الوحدة لكانت النتيجة عكسية.

ومن أسهل الأمور تحقيق ذلك، عن طريق ما شاهدته فـــى القســطنطينية يـــوم تحدثت العام المنصرف مع رؤساء أديرتها وبعض الكهنة وفى مقدمتهم صاحب الحكمـــة والثراء بطريرك القسطنطينية سابقا وهو جسد واحد ونفس واحدة مـــع أندرونيكـــوس إمبراطور اليونانيين المالك سعيدا وأنا على يقين أن الظروف ســـانحة لتحقيـــق هـــذه الوحدة. لذلك لو تنازل سيدنا الحبر الأعظم وفخامة جلالتكم الملكية بإيفاد أحـــد الآبـــاء المحترمين إلى هنا بوفد جدير، أظن ، بل لا أشك أن هذه المهمة ستتكلل بكامل النجاح.

فإن قال قائل أن الكنيسة كثيرا ما أوفدت إلى المكان المندوبين لهذا الغـــرض لا سيما سيدنا الحبر الأعظم المالك سعيدا الذى بعث مع الملك المسيحى شارل طيب الذكـــر ملك فرنسا الأخ المحترم بينيديكت دى كوميس من رهبنـــة الواعظيـــن أســـتاذ الكتـــاب المقدس وحاليا اسقف كوما، قلت أن الخلاف كان فى ذلك الحين عظيما بيـــن المرحـــوم إمبراطور اليونانيين أندرونيكوس وحفيده أندرونيكوس المالك سعيدا وبسبب هذا الخلاف لم يجرؤ أى منهما التحدث علنا فى شؤون العقيدة تفاديا للمعارضة من قبل شعبهما.

أم الآن فالظروف معكوسة لأن اليونانيين لا يجدون أى سبيل ولا أيـــة وســـيلة للتخلص من أيدى الأتراك والتتر الكفرة ما لم تتحقق وحدة العقيدة هذه لذلـــك لـــو تـــم استقطاب ولاء الإمبراطور أندرونيكوس المالك ســـعيد و Chiernuf ســـابق الذكـــر البطريرك سابقا لسارع إلى الانضمام إليهما فى الإيمان الكـــاثوليكى ســـائر اليونـــانيين والأمم الأخرى التى تحذو حذوهم ولن يتخلوا عنه قط بعونـــه تعـــالى. أمـــا إذا رفـــض إمبراطور اليونانيين أندرونيكوس المذكور المالك سعيدا مع أعيانه مـــن رجـــال الديـــن والعلمانيين أن يعود إلى الغيمان الكاثوليكى والطاعة للكنيسة الرومانية المقدسة؟ لا أظن ذلك بناء على ما شاهدته وأدركته وبناء على ما يحدق بهم من أخطـــار جســـيمة ومـــا يتضح لهم من العهد القديم وهو عبارة عن شكل أو صورة للعهد الجديد.

أترك للحكماء واللاهوتيين ذكر أسباب أخرى فى هذا الشأن. ذلـــك إن عـــب الله كلما أخطأ قامت الأمم المجاورة له بالتعدى عليه بأسره أو بإخضاعه لســـيادته إلـــى أن يعود إلى وصايا الله. لذلك بوسعنا أن نثبت لهؤلاء اليونانيين بوضـــوح أنـــهم بعـــد أن تباعدوا عن الطاعة للكنيسة والإيمان الكاثوليكى منذ عهد إمبراطور اليونـــانيين هرقـــل

حتى أيامنا هذه حلت لهم وما زالت ويلات كثيرة. وإذا ما نعموا ببعض الفرج إنمـــا تـــم ذلك على يد جوتفريد دى بوليون والأمراء والبارونات الآخرين، لدى عبورهم برا لخدمة الله نحو الأرض المقدسة، حيث استولوا على نيقيا باســم اليونـــانيين وقـــهروا جيـــش الأتراك.

كان اليونانيون فى ذلك الحين فى عهد إمبراطورهم أليكســى قـد فقـدوا أسـيا الصغرى. إلا أن ابنه المدعو كالو يوانيس استعادها فى وقت لاحق، وابن هـــذا الأخـــير المدعو عمانوئيل احتفظ بها تزوجه من ابنه الملك المسيحى المالك فـــى ذلـــك الحيـــن، وعقد مع ملك أورشليم وغيره من الأمراء اللاتين مصاهرات أخرى بنعمته تعالى كمــــا ورد فى كتاب فتوحات الأرض المقدسة.

لذلك إذا رفض هؤلاء الأباطرة اليونانيون العودة إلى وحدة الإيمـــان الكـــاثوليكى هذه مما أستبعده على وجه الإطلاق – عندئذ لابد من التعامل معهم كهراطقة وأتباع لأنه كما يقول الرسول فى رسالته إلى أهل غلاطية، الإصحاح الخامس "قليل من الخمير يفسد العجين كله". لذلك بعد هذا الاقتراح إذا رفضوا العودة إلى وحدة الإيمان الكاثوليكى هـذه عندئذ الحبر الأعظم وسائر المؤمنين الكاثوليك من رجال ديـــن وعلمـــانيين عليـــهم أن يختاروا سيدا يتمتع بالإرادة والسلطة والحكمة للاستيلاء مــــع البنادقـــة علـــى مدينـــة القسطنطينية نفسها والاحتفاظ بها مع باقى الأراضى الخاضعة لإمـــبراطور اليونـــانيين. ذلك إن البنادقة يتمتعون بالحق والحكمة والسلطة اللازمة لهذا الغرض.

وإن كان هناك آخرون ممن لهم شئ فى تلك الأصقاع فلينظر فى الأمر جماعـــــة المؤمنين على ما يتفق ويفيد هذه المهمة. لكن من الأفضل أن يعود الإمبراطور المذكور واليونانيون إلى هذا الإيمان الكاثوليكى لنكسب الناس والأرض لا الأرض وحدهـــا. مـــع ذلك إذا أراد قوم من اليونانيين العودة إلى الإيمان الكاثوليكى فلابد من قبوله حتى لو تم الاستيلاء على هذه البلاد من قبل سيدنا المذكور والبنادقة.

وفى ما يتعلق بالأموال الكنيسة فلابد لنا من السخاء مع اليونانيين الذين يعودون إلى الإيمان الكاثوليكى وكذلك مع البارونات والجنود اليونانيين لأن بينهم مـــن الكـــرام والفضلاء ممن يتكل عليهم لفائدة الإمبراطورية سواء فى الروحيات أو الزمنيات. وتبيينا وتوضيحا لما ذكرت أورد لكم مثلا واحدا، من المعلوم على وجه العموم أن جلالة الملـــك لويس القديس ملك الفرنج الراحل، الذى حضرتكم وأجدادكم ينحدرون من نسله النبيـــل

يوم كان يجاهد فى عكا لقضية الأرض المقدسة استمال بالهدايا عدد كبيرا من المسلمين إلى الإيمان، رغم أن عددا كبيرا منهم عادوا إلى قيئهم وجحدوا معتنقين دينــــهم الأول. ولما لفت رجال الملك نظره باحترام وكادوا يوجهون إليه اللوم، أجاب أن الأمر لا يخلــو من فائدة ما فخلاص نفس واحدة بمقدار كل ما لديه من كنور.

فجلالتكم السامية مدعوة إلى الاقتداء بمثل الرب القائل فــــى إنجيــل متـــى ١٥ للكنعانية المتوسلة إليه: "لم أرسل إلا للخراف الضالة من بنى إسرائيل". لكن بعــد الآلام والموت والقيامة أمر قائلا:(إذهبوا فى العالم كله وبشروا بالإنجيل لجميع الخلائق.مــن أمن وعمد خلص ومن لا يؤمن يدان)، إلخ. الإصحاح الأخير مــن مرقــس. وكمــا إن النحو هو أساس جميع المهن الحرة وأصلها، بشهادة العلمـــاء، كذلــك أقــول ببــالغ الاحترام والتواضع أنه يبدو لى أن عمل وحدة الكنائس هذا هو على مثال ذلك، لإضعاف الكفرة وقيرهم بالتمام والكمال، فيمون بعونه تعالى راع واحد وحظيرة ورعية واحــدة، كما يقول ابن الله الأمجد يسوع المسيح فى إنجيل يوحنا ١٠.

يا جلالة الأمير والملك، الأراضى المقدسة أيضا تدعوكم وتلفت نظركم وتجذبكــم إلى مأثر أسلافكم هذه، أعنى بهم الملك فليبيوس وكذلك ابنه القديــس لويــس ســابق الذكر، كما جاء فى الكتاب الإلهى: "حارب حرب إسرائيل بفرح فزاد شعبه بسطة فى العز ولبس لأمته كجبار وتقلد سلاحه للقتال وباشر الحروب وبسيفه حمى الجيــش. وكــان كالأسد فى حركاته وكاشبل الزائر على الفريسة. فتعقب أهل النفاق مستقصيا آثار الذيــن يفتنون شعبه" (١ مكابيين، ٣، ٢-٥).

الملك والمعطى الأكرم والأفضل لجميع المواهب الحسنة عسى أن يكتنف جلالتكم السامية بندى الروح القدس وبدفعكم إلى تدبير وترتيب ما سبق ذكره بحكمة للمضى بها فورا نحو هدفها المنشود.

ما زال لدى أشياء كثير أشرحها لجلالة تاجكم المقدس لذلك أود أن أتقدم نحــــو قدمى سموكم المتألق لكن ضعفى يمنع تنفيذ رغبتى ومحتاج إلى تنازل من القادرين على أن يقدموا لى المساعدة وهأنذا العبد الذليل المتأهب على الدوام، أرجو لكم رغم ضعفــى حسن الأحوال طالبا ومتمنيا الرضى من جلالتكم السامية.

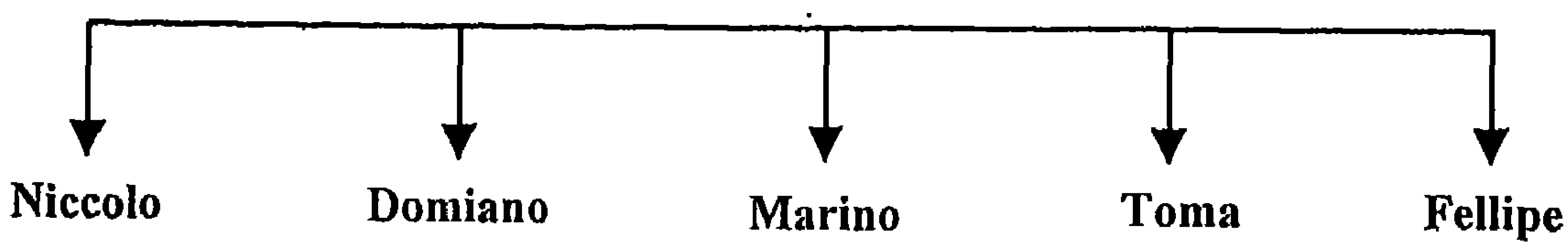
صادر عن البندقية فى الثالث عشر من شهر أكتوبر سنة ألــف وثلاثــون مئــة وأربع وثلاثين لتجسد المسيح.

الملحق الثالث

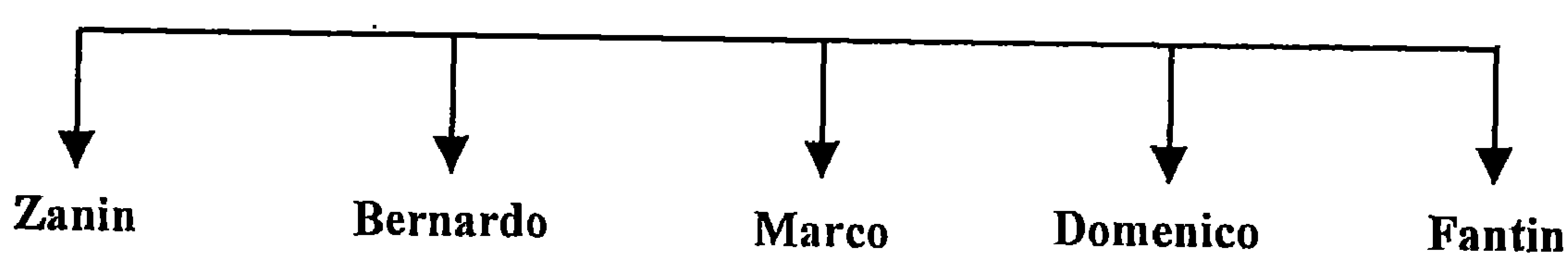
شكل توضيحي يمثل عائلة مارينو سانودو

نقلا عن: Magno cavallo , Marino Saundi il Vecchio, p. 23.

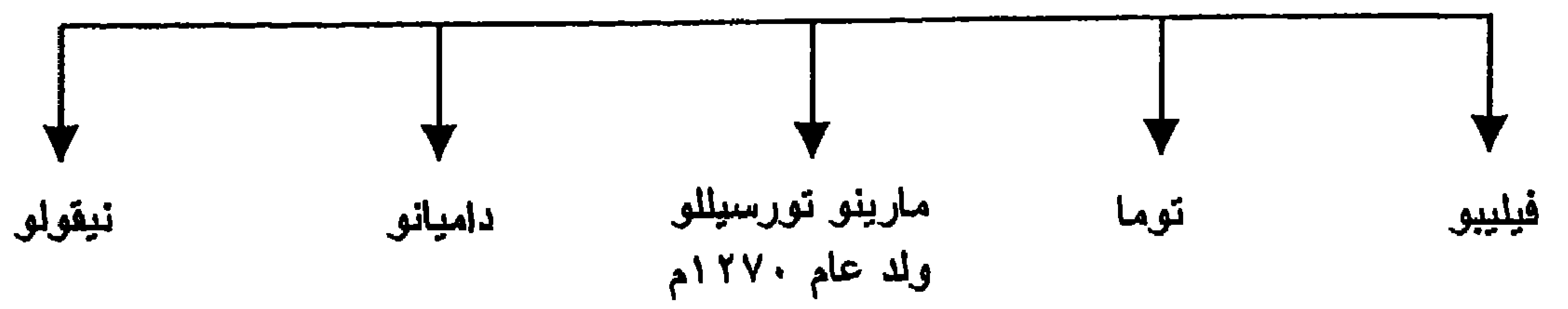
Marco detto Torsello



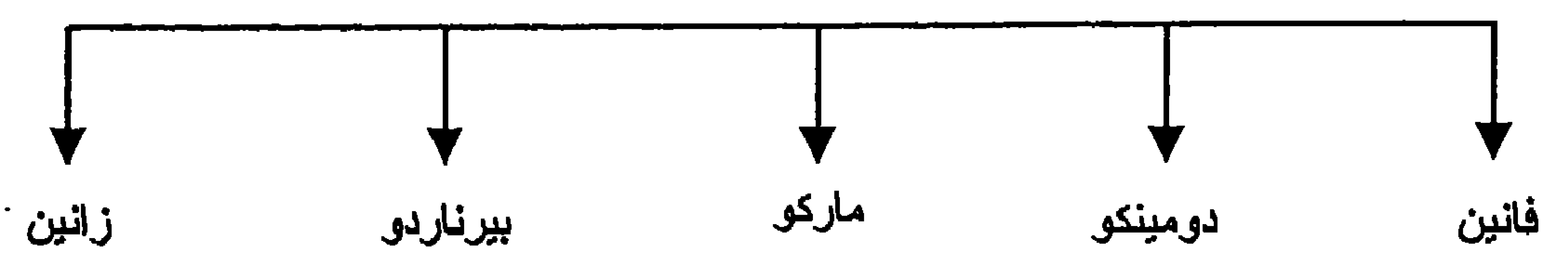
Marino detto Torsello



ماركو تورسيللو

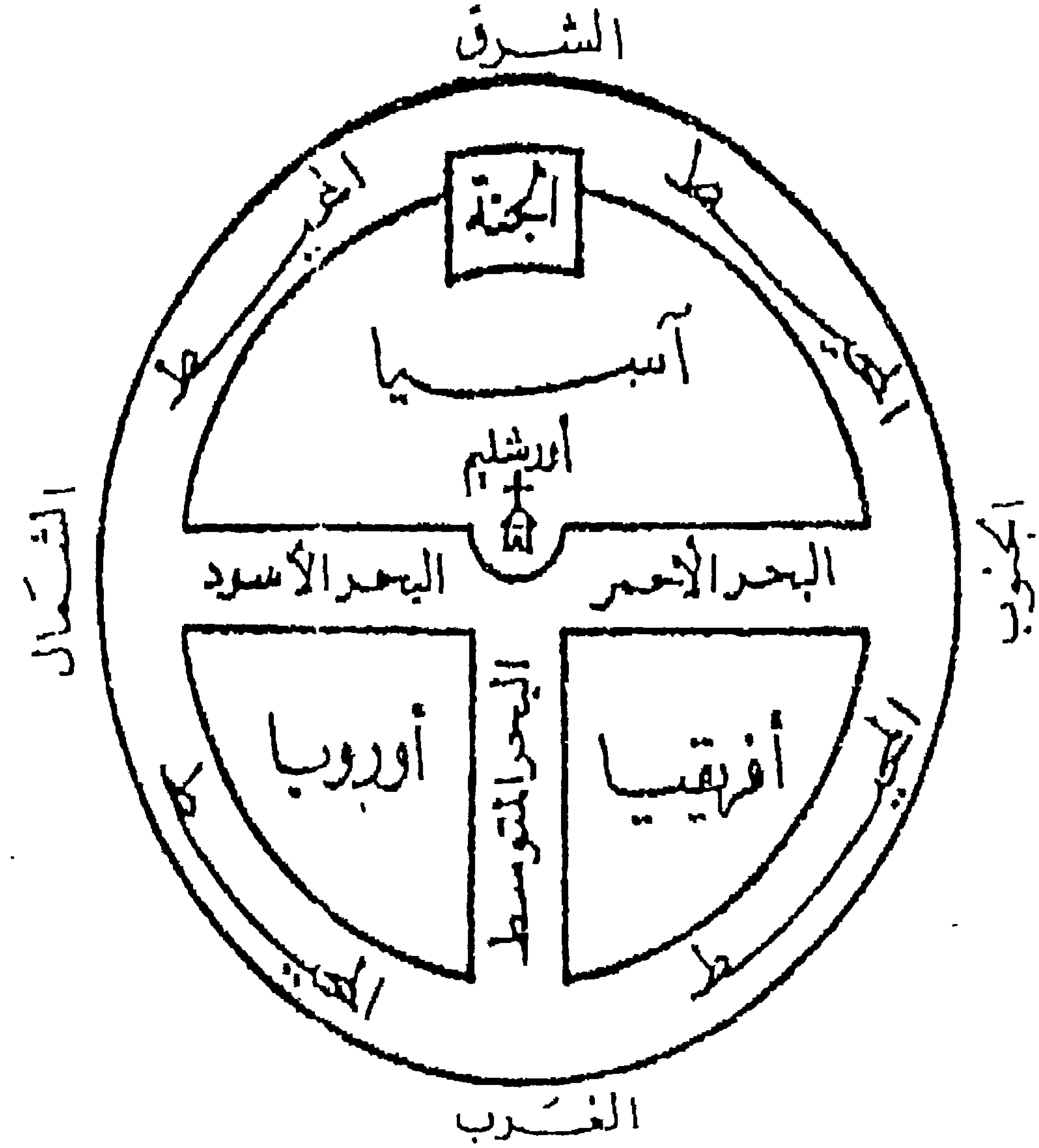


مارينو تورسيللو



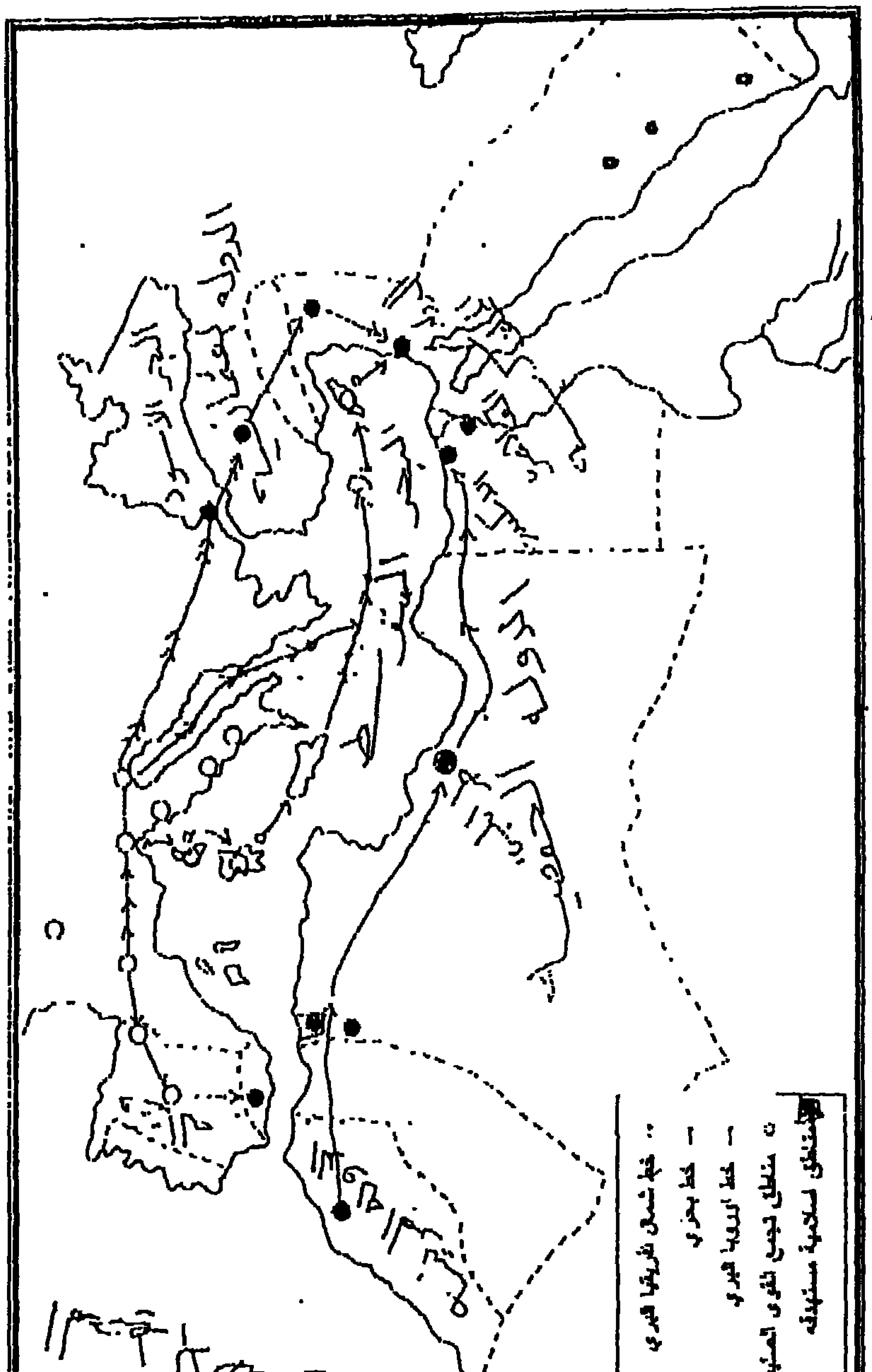
خريطة مارينوسانودو ويرجع تاريخها إلى عام ١٣٢١م وهى على هيئة دائـــرة مركزها أورشاليم وموضح عليها بحران متصلان بالبحر المحيط وقد ألحق مارينو هـــذه الخريطة بكتاب الأسرار الذى قدمة إلى البابا يوحنا الثانى والعشرين لتوضيح فكرته التى تهدف إلى محاصرة العالم الإسلامى حصاراً إقتصادياً

خريطة العالم لمارينوسانودو

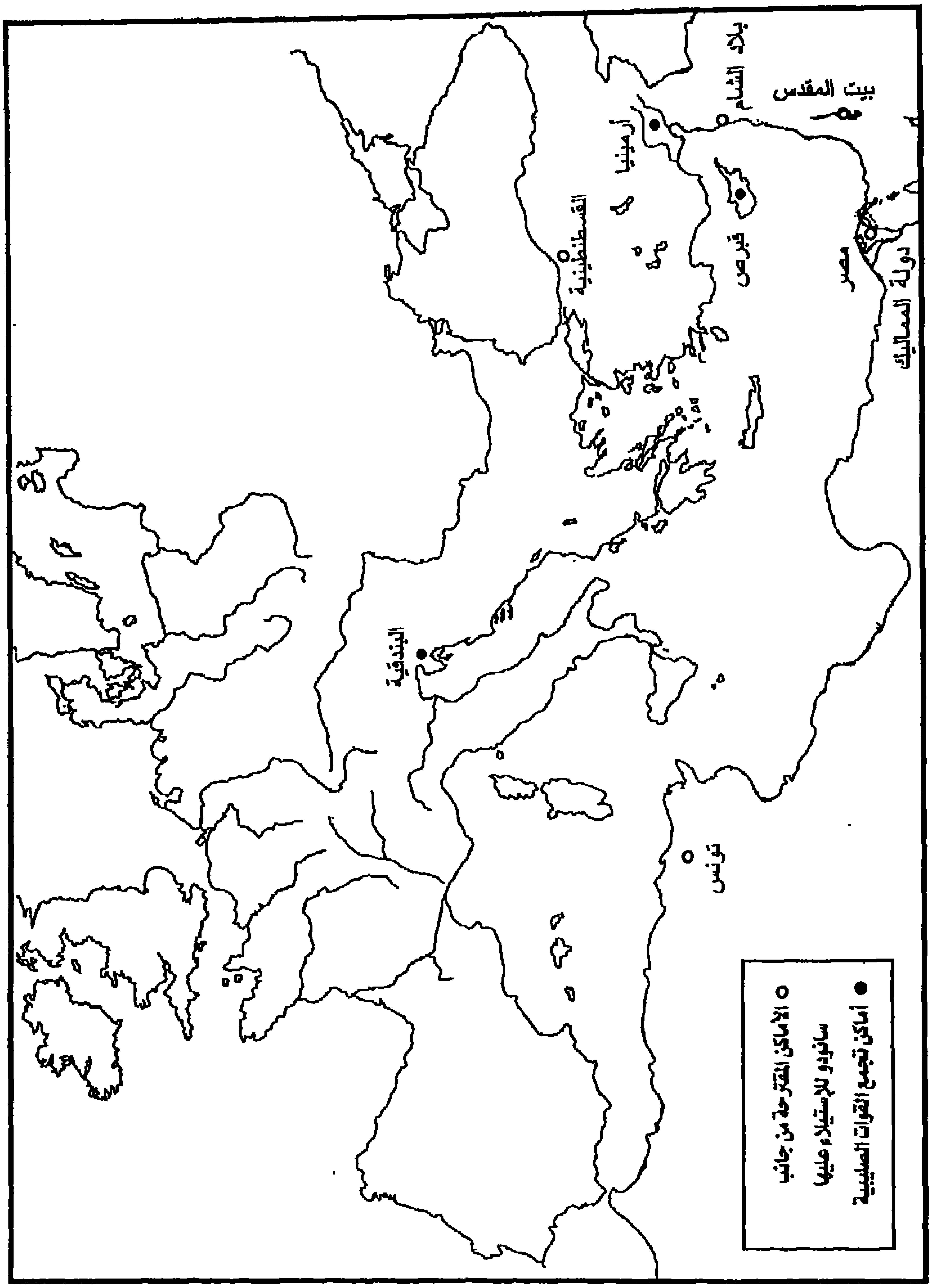


نقلاً عن: أحمد دراج : أورشليم فى خارطة مارينو سانودو للعام ١٣٢١م، ص١٩٧.

خريطة توضيحية لخطوط سير الحملات الصليبية طبقاً لمقترحات دعاة الحروب الصليبية فى القرن الرابع عشر الميلادى



نقلاً عن: حسين النحال: الحروب الصليبية أواخر العصور الوسطى ضد مصر وتونس، ص ١١٤.



خريطة توضح الأهداف التى اقترحها مارينوسانودو للإستئلاء عليها وأهم الأماكن التى اقتراحها دعاة الحروب الصليبية لتكون قاعدة للجيوش الصليبية

خريطة من عمل الباحث

قائمة المصادر والمراجع

بيان بالمختصرات الوارد ذكرها فى حواشى البحث

AHR : American Historical Review .
AEM : Anuario de Estudios Medievales.
BEC : Bibliothéque de L'Ecole des Chartes.
CS : Crusade and Settlement .
CMH : Cambridge Medieval History.
DTC : Dicitionnaire de Theologie Catholique .
HER : English Historical Review.
GDF : Bongars, Gesta Dei Per Francos.
JMH : Journal of Medieval History .
JESHO : Journal of Economic and Social History of the Orient.
PPTS : Palestine Pilgrims Texte Society .
RHC DOC : Arm: Recueil des Historiens de Croisades, Documents Armeniens.
R.H.C-H.occ : Recueil des Historiens de croisades Historiens occidentaux. .
Renaissance Quarterly : Renaissance Quarterly
ODB : Oxford Dictionary of Byzantium.
OCD : Oxford Classical Dictionary .
Studia Medivalia : Studia Medivalia.
Studia Monastica : Studia Monastica.
Studia in Memoria di Federigo Melis: Studia in Memoria di Federigo Melis.
Speculum : Speculum.
TRHS : Transaction of the Royal Historical Society.
Tradtio : Tradtio.
WNGD : Webester New Geographical Dictionary .

أولاً: الخطابات الرسمية

Peter (bishop of spastopolis)

- Letter of Peter bishop of Spastopolis to archbishop of England (1330), in Studien uber Marino Sanudo, pp. 817-819.

Marino Sanudo,

-Letter of Marion Sanudo to Philip VI king of France (4 April, 1332), in Studien uber Marino Sanudo, pp. 791-796.

Marino Sanudo,

-Letter of Marino Sanudo to philip VI king of France, (13 October, 1334), in Studien uber Marino Sanudo, pp. 799-807.

Marino Sanudo,

- Letter of Marino Sanudo to Louis Bourbon (22 October 1334), in Studien uber Marino Sanudo, pp. 808-813.

Marino Sanudo,

- Letters of Marino Sanudo to phylum count Holland (25 October 1334), in Studien uber Marino Sanudo, pp. 815-816.

ثانياً:- المصادر الأصلية الأجنبية:-

Anonymous,

- *Continuation de Guilliaum de Tyre de 1229 de 1261* , dite manuscript de Rothelin, R.H.C.H.occ. Vol 2 (Paris, 1869).

وقد رجعنا إلى الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان:

" تتمة كتاب وليم الصوري" لمؤلف مجهول والمنسوب خطأ لروثلان (١٢٢٩-١٢٦١م)، ترجمة أسامة زيد ، طنطا ٢٠٠١ م.

Boniface VIII, (Pope),

- *Les Registstres*, ed. Digard, G. and others (Bibliotheque des ecoles francaises de Athenese et de Rome, ser. 1 (Paris, 1884 – 1939).

Fidenzio Padua,

- *Liber Recuberationis Terrae Sanctae*, Biblioteca Bio Bibliogrfica Della Terra Santae dell oriente Francescano, ed .By, Girolamo Golubovich, t.2 (Firenze, 1927).

Hayton,

- *Flos historiarum Terre orintis,* R.H.C-Doc. Arm , t.2 (Paris, 1906).

Henry II,

- Consilium, ed. M.L. de mas latrie in Historie de l'u de chypre, vol. 2.

Joinville,

- Chronicle of the Crusade of St, Lewis, ed. And trans. By Frank Marzials, (London, 1965)

وقد رجعنا إلى الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان:

جوانفيل : "القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام"، ترجمة حسن حبشي ، القاهرة١٩٦٨.

Nicholas IV, Pope,

- *Les Registres*, ed. Langlois, and Ernest (Bibliotheque des ecoles Francaises de Athens et de Rome,2 Ser, (Paris, 1886).

Oliver of Paderborn,

- *Histora Damiatana*, trans. by J. Gavigan as The Capture of Damietta (Philadelphia, 1948).

Raimond d, Agile

- *Historia Francorum qui ceperunt Jerusalem*, R.H.C- H.occ, vol. III.

وقد رجعنا إلى الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان :

ريموا انداجيل : تاريخ الفرنج غزاة بيت المقدس : نقلة إلى الإنجليزية جون هيوج ولوريتاهيل ، نقلة إلى العربية حسين عطية، الإسكندرية ١٩٨٩م.

Ramon Lull.

- *Liber de Fine*, ed.A.Madre, Raimundi Lulli opera Latina 9, cccm35 (Mallorca).

Robert of Clary,

- *La Conqueste of Constantinople*, trans. By E,H.Mc Neal (Newyork, 1966).

وقد رجعنا إلى الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان :

روبرت كلاري : فتح القسطنطينية على أيدى الصليبيين، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ١٩٦٤م.

Marino Sanudo Sanuto,

- *Liber Secretorum Fidelium Crucis Super Terre Sanctae Recuperation et Conservatione,* ed. J, Bongars, GDF,Vol.2 (Hanover,1611).

وقد رجعنا إلى الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب تحت عنوان:

- Marino Sanudo, *Sedcrts For true Crusaders to help them to Recover the holy land*, translat ed, by, Stewart, PPTS (London , 1896).

وقد رجعنا أيضا إلى الترجمة العربية لهذا الكتاب أنظر:

مارينو سانودو: كتاب الأسرار للمومنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها، ترجمة سليم رزق الله، راجعة سمير الخادم، القاهرة ١٩٩١م.

- Lettres inedits et memories de Marino Sanudo l'ancien 1334-1337, ed. L. Dorez and C. de la Ronciere, BEC 56 (1895).

Thatcher, Oliver,

-*A source Book for mediaeval History*" selected Documents illustrating the history of Europe in the middle ages (New York, 1905).

Villehardouin, (G.),

-*La Conqueste de Constantinople*, ed by, E. Farel (Paris,1939)

وقد رجعنا إلى الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان :

فلهاردين : مذكرات فيلهاردوين وفتح القسطنطينية، ترجمة حسن حبشي، جدة ١٩٨٢م.

ثالثاً:- المصادر الأصلية العربية:

ابن أيبك الدوادار (ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣٣م) أبو بكر بن عبد الله :

- "الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية " وهو الجزء الثامن من " كنز الدرر وجامع الغرر"، تحقيق أو لرخ هارمان, القاهرة ١٩٧١م.

ابن حبيب (ت٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧م) الحسن بن عمر:

-" تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه" الجزء الأول، تحقيق : محمد محمد أمين ، مراجعة د. سعيد عاشور ، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٧٦م.

ابن شداد (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٨- ١٢٣٩م) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف رافع بن تميم:

-" النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية " المعروف بسيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٦٤ م.

ابن البيطار: (٦٤١ هـ- ١١٤٨م) ضياء الدين بن محمد عبد الله :

- مختار الجامع فى الأدوية المفردة، تحقيق أحمد فريد، القاهرة، د.ت.

ابن عبد الظاهر (ت٦٩٢-١٢٩٢م) محى الدين أبو الفضل عبد الله ابن رشيد الدين.

-الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٩٧٦.

ابن واصل (٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليم :

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ٥أجزاء - جـ ١، ٢، ٣ تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال- القاهرة ١٩٥٧م ، جـ ٤، ٥ تحقيق الدكتور حسنين ربيع- القاهرة (دار الكتب) ١٩٧٢- ١٩٧٧ م.

ابن مماتي (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) أبو المكارم أسعد بن الخطير :

- " قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣م.

بيبرس الدودار (٧٢٥هـ-١٣٢٢م) ، ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصورى.

-زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة، تحقيق زبيدة عطا ، جـ ٩، القاهرة ٢٠٠١م.

أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا إسماعيل :

-"المختصر في أخبار البشر-٤جـ، تحقيق محمد زينهم ويحي حسن، القاهرة ١٩٩٩م".

الأصطخري (عاش في القرن ٤هـ/ القرن ١٠ م) أبو اسحق بن محمد

- "المسالك والممالك " تحقيق محمد جابر عبد العال ، القاهرة ١٩٦١ م.

الأصفهاني (٥٩٧ هـ/١٢٠١ م) عماد الدين محمد بن محمد أبو بكر:

-" الفتح القسي في الفتح القدسي " تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة ٢٠٠٣ م.

الأدريسي (ت ٦٥٠ هـ / ١١٦٠ م) أبو عبد الله محمد بن إدريس:

-" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " تحقيق ابراهيم شوكه، العراق ١٩٧١ م .

الحريرى (عاش فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) أحمد بن على:

-الإعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين، الإسكندرية ١٩٨٤م.

القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨) أحمد بن على أحمد بن عبد الله:

-" صبح الأعشى في صناعة الأنشا " ١٤٠ جزء - القاهرة ١٩١٣- ١٩٣٣ م .

المقريزي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) تقي الدين أبو العباس أحمد:

-" السلوك لمعرفة الدولة الملوك " ثلاثة أجزاء , الجزء الأول والثاني نشرها محمد مصطفى زيادة - القاهرة ١٩٣٤- ١٩٤٢م والجزء الثالث حققه دكتور سعيد عاشور , القاهرة ١٩٧٠م .

المراكشى : (١٠٦٥هـ-١٦٥٥م) أبو الحسن على بن إبراهيم الأندلسى:

- أرجوزة الفواكه الصيفية والخريفية، تحقيق عبد الله بنصر العلوى، أبو ظبى١٩٩١م.

رابعاً:- المراجع الثانوية الأوربية:

Atiya (A.S.),

-*The Crusade of NicoPolis* (London, 1934).

-*The Crusade in the later middle ages* (London, 1938).

-*Crusade, commerce and culture* (Bloomington, 1962).

-*The Crusade in the fourteenth century* , Setton (ed), A history of the crusade, Vol.3.

Barber, (J,),

- *James* of Molay. The last Grand Master of Templars, *Studia monastica*, vol. 14 (1971).

- *The New knight hood* (Cambride, 1994).

-Beazly ,(C.),

- *The down of modern geography* (Newyork, 1949).

Bell, (M.),

- *A short history of the Papacy* (London, 1921).

Bonner ,(A.),

- *Selected Work of Ramon lull* 1232 - 1316 (Newjercy, 1981).

Brand, (W.),

- *Pierre* Dubois modern or medieval, *AHR*, Vol. 35 (1935).

Cardini, (F.),

-I costi della crociata. L, aspetto economico del progetto di Marino Sanudo il vecchhio (1312- 1321), *studi in memoria di fedrigo Melis* , vol.2 (Giannini,1968).

Christiansen, (E.),

-*The Northern crusades. The Baltic and the Catholic frontier 1100- 1525* (Minneapolis,1980).

Corbett, (J.A),

-*The Papacy , Abrief History* (Newyork, 1959).

Curry, (A.),

-*The hundred years War* (London, 1993).

Edbury,(W.)

-*The kingdom of Cyprus and Crusades 1191 – 1364* (Cambridge, 1991) .

Edwards,(W.),

-*Notes on Europe history*, 3 vols (London,1964).

Eliyahu, (A.),

-The Vention cotton in Syria in the later Midle Ages, *Studia Medievelia* (1976).

-*Levant trade in the later middle ages* (Newjercy, 1983).

Fawtier,(R.),

-*Histoire* du moy en age l, Europe occidentale 1270 de 1328 (Paris, 1940).

Fory, (A.),

-*The* order of mountjoy, *Speculm* 46 (1971).

-*The* military orders In the crusading Proposals of the late thirteenth and early fourteenth centuries, *Traditio* 36 (1980).

Geankoplos, (D.),

-Emperor Mihchhhael Palaelogus and the west (Harverd, 1959).

Geffry, (H.),

-The Crusades Ahistory of armed pilgrimae and Holy War (London, 2003).

Greschat,(M.),

-Il grand libro del papl (Sanpaolo, 2002).

Grierson, (P.),

-Medieval European coinage (Cambridge, 1998).

-Byzantine Coinage,(Washington,1999)

Hadgson, (A.)

-Venice in the thirteen and fourteenth century (London , 1910).

Hillgarth, (N.),

-Ramon lull and lullism in fourteenth century (Oxford, 1971).

Holzman, (R),

-Wilhelm von Nogart (Freiburg, 1898).

Horace, (M.),

-Lives of the popes in the middle ages, vol. 1 (London, 1931).

Housley, (N.),

-Pope clement V and Crusade of 1309 – 1311, *JMH*, vol. 5(1982).

-Avignon papacy and the Crusade n 1305- 1368 (Oxford, 1986).

-The later Crusade from Lyon to Alcazar 1274- 1580 (Oxford, 1992).

-Document on the later crusade. 1274-1580, ed. Trans by, Housley, (Newyork, 1996).

Johnstone, (H.),

- *France the last captain CMH (1968), vol., 3.*

Kedar, B. and Schein, S.,

-Un projet de passage particulier propose pas l'order de l'hopital 1306-1307, *BEC* 137 (1979).

Kuhner, (H.),

-*Encyclopedia of the papacy* (London, 1959) .

Kunstmann, (F.),

-*Studien uber Marino Sanudo* den Altern mit einem anhage seiner unge- druckten briefe,Abhandd lungen der Historischen classe der konigliche Bayer ischen Akademie der Wissens chhaften 7 (1853) .

Laiou,(A.),

-*Marino* Sanudo Torsello and the Turks, the back ground to the Antiturkish

- league of 1332- 1334, *Speculum* 45 (1970)

Lane, (f.) ,

-*Venation* shipping during The commercial revolution *AHR* 38 (1933).

Larner, (G.)

- *Italy In the age of dante and petrarch 1216- 1380* (London- 1983).

Lodge(R.),

-*The close of the middle ages* (London, 1922) .

Lunt, (E),

- The first Levy of papal annates , *AHR* 18 (1982).

Luttrel, (A.),

-*The Hospitalarres in Cyprus after 1291* (London, 1968).

Magnocavallo, (A.) ,

- *Marino Sanudo eil suo progetto di crociata* (Bergamo, 1901) .

Mas latrie (M.L.de)

-*Historie de L'ile de chypre sous le regne des princes de la maison de Lusignan,* 3 vols., vol. 1, Histoire, vol. 2, Documents, (Paris, 1852-1861).

Margrat ,

-*Ahisory of medieval church 590-1500* (London, 1972).

Mollat,(G.),

-*Les paps d Avignon 1305-1378* (Paris, 1982).

Moore,

- (W), The penguin Encyclopedia of places (middlesex, 1971).

Newman,(p),

-*Ashort history of Cyprus*(London, 1940).

Odena, (T.),

-De"Alexandrinis,, El comercio Prohibido con los muslmanes yel papado de Avignon duran te le primera mitad del siglo, *AEM*, vol. 10 (1980).

Oman, (ch),

-A history of the art of war in the middle ages,2 vols. (London, 1924).

Orton, (C.),

-A history of Europe 1198- 1378 (London, 1965).

Prawer, (J.),

-The Latin kingdom of Jerusalem, Europe an colonialism in the middle ages (London,1972).

Rayan, (J.),

-International of the oriental mission and crusade activities of the Papacy under Nicholas IV 1288- 1292 (Newyork, 1972).

Roulx (D.),

- Le Franace en orient au XIv siecle (Paris – 1896).

- *Schein*, (S.), *The West and the crusade, attitude and attempts 1291- 1312* (Cambridge, 1979).

Setton (K.),

-The Papacy and the Levant 1204- 1571,2vols (Philadelphia, 1976).

Smith, (R.),

- Government in Latin Syria and the commercial privileges of foreign merchants, relation between west and east in the middle ages. ed. baker (Edinburgh, 1973).

Stephanus (B.),

-Vitae paparum avenionensium, ed. Mollat (Paris, 1914).

Thorau, (p.),

-The Battle of Ayn galut, aReexamined, *Crusade and Settlement* (Cardiff, 1985).

Throop, (P.),

-*Criticism of the Crusade, Astudy of Public opinion crusade propagnda*(Philadelphia, 1975).

Turbevilie, (A.),

- *Heresies* and the inquistion in the middle ages c.1000 – 1305, *CMH*, vol6 (1968).

Tyerman, (G.),

-*England and the crusade 1095- 1588* (London, 1988).

-*Marino* Sanudo Torsello and the last crusade lobbying in fourteenth century, *TRHS*(1982).

La monte (J.)

-*Feudual monarchy in the latin kingdom of jerusalem* (Newyork, 1970).

Leopold,(A.),

-*How to Recover the holy land, the crusade proposals of the late thirteen and early fourteenth centuries* (Burlington, 2000).

Vacante, (A.),

-*DTC* (Paris, 1913).

Morgan, (J.),

- *Histoire de peuple Armenien* (Paris, 1977).

خامساً: المراجع العربية والمعربة

اسحق عبيد تاضروس (دكتور) :

- الدولة البيزنطية في عصر باليولوج , بيروت ١٩٨٢.

السيد الباز العريني (دكتور) :

- المغول ، بيروت ١٩٨٦م.

أحمد دراج (دكتور) :

- أورشليم فى خارطة مارينو سانودو للعام ١٣٢١م، بحث منشور ضمن كتاب بحوث مؤتمر مصادر تاريخ القدس القاهرة ١٩٩٨م.

أحمد رشاد :

- السياسية الخارجية للإمبراطورية البيزنطية في القسطنطينية من استعادة القسطنطينية عام ١٢٦١م حتى دخول العثمانيين ١٤٥٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة حلوان ١٩٩٩م.

آمال حامد :

- مجمع ليون الثاني ١٢٧٤م دراسة في مشروع الوحدة بين القسطنطينية ورما في القرن الثالث عشر الميلادي ، رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب, جامعة المنصورة ١٩٩٩م.

الأمين عبد الحميد أبو سعده (دكتور) :

- العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والقوى الإسلامية في المشرق في عهد الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوج ١٢٥٩- ١٢٨٢م/ ٦٥٧- ٦٨١هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة طنطا ١٩٩٢م

بيرتولد شيولير:

- المغول فى التاريخ، ترجمة يوسف شلب، دمشق ١٩٨٩م.

توماس ما ستناك :

- السلام الصليبي، ترجمة بشير السباعي ، القاهرة ٢٠٠٣م.

جوزيف نسيم يوسف (دكتور) :

- العدوان الصليبى على بلاد الشام هزيمة لويس التاسع فى الأراضى المقدسة، الإسكندرية ١٩٨٤م.

جوناثان رايلى سميث :

- ما الحروب الصليبية، ترجمة محمد فتحي الشاعر، القاهرة ١٩٩٦.

حسين محمد عطية (دكتور) :

- إمارة إنطاكية الصليبية والمسلمون ١١٧١-١٢٦٨م / ٥٦٧-٦٦٦هـ، الإسكندرية ١٩٨٩ م .
- سفارات الأرمن إلي المغول وأثرها علي العلاقات الأوروبية المغولية ، بحث منشور ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحروب الصليبية. الإسكندرية ٢٠٠٠م.
- طبائع الفرنج في الحملات الصليبية في ضوء المصادر اللاتينية، بحث منشور ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، الإسكندرية ٢٠٠٠ م.

حسن عبد الوهاب (دكتور) :

- تاريخ جماعة الفرسان التيوتون فى الأراضى المقدسة ١١٩٠-١٢٩١م/ ٥٨٦-٦٩٠هـ، الإسكندرية ١٩٨٩م.

حسين النحال (دكتور) :

- الحروب الصليبية أواخر العصور الوسطى ضد مصر وتونس، ١٣٦٥-١٤٠٧م، منصورة ٢٠٠٣.

درويش النخيلى (دكتور) :

- السفن الإسلامية علي حروف العجم. الإسكندرية ١٩٧٤م.

زينب عبد المجيد عبد القوي (دكتور) :

- الإنجليز والحروب الصليبية، القاهرة ١٩٩٦ م .

سعاد ماهر (دكتور) :

- البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية ، القاهزة ١٩٧٥ م.

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :

- الحصار الاقتصادى على مصر زمن الحروب الصليبية، بحث منشور ضمن كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى، بيروت ١٩٧٧ م .
- سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى ، بحث منشور ضمن كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى، بيروت ١٩٧٧م .
- أوروبا العصور الوسطى ، جزءان ، القاهرة ١٩٧٨م .
- الحركة الصليبية ، جزءان ، القاهرة ١٩٨٦م .

سمير الخادم (دكتور) :

- الشرق الإسلامي والغرب المسيحي عبر العلاقات بين المدن الإيطالية وشرقي البحر المتوسط ، بيروت ١٩٨٨م.

سهير نعينع (دكتور) :

- الحروب الصليبية المتأخرة حملة بطرس لو سينان على الإسكندرية ١٣٦٥م / ٦٧ هـ، الإسكندرية ٢٠٠٣م .

شارل ديل :

- البندقية جمهورية أرستقراطية ، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق إسكندر ، القاهرة ١٩٤٨م .

عمر كمال توفيق (دكتور) :

- مقدمات العدوان الصليبى الإمبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية ٩٦٩-٩٧٦م ، الإسكندرية ١٩٦٦م.

على حسن (دكتور) :

- النشاط التجارى فى شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى ١٢٥٠-١٥١٧م ، القاهرة ١٩٨٠م .

عادل زيتون (دكتور) :

- العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، دمشق ١٩٨٠م .

عفاف صبره (دكتور) :

- العلاقات بين الشرق والغرب وعلاقة البندقية بمصر فى الفترة ما بين ١١٠٠-١٤٠٠م ، القاهرة ١٩٨٣م .

عزيز سوريال عطية (دكتور) :

- الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ترجمه فيليب صابر ، دار الثقافة ١٩٩٠م.

فايز نجيب إسكندر (دكتور) :

-بلاد الكرج بين المسلمين والبيزنطيين ، الإسكندرية ١٩٨٨م .

-الأشرف خليل بن قلاوون وفتح قلعة الروم ١٦/ يونيو ١٢٩٢ / ١١ رجب ٦٩١هـ، بحث ضمن كتاب حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، القاهرة ٢٠٠١.

فايد حماد عاشور (دكتور) :

- الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين والمغول فى العصر المملوكى ، بيروت ١٩٩٥م.

كليفورد بوزورث :

- الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى دراسة فى التاريخ والأنساب، ترجمة حسين على اللبودى، الكويت ١٩٩٥م.

كات فليت :

- التجارة بين أوروبا في البلدان الإسلامية في ظل الدول العثمانية ، ترجمة أيمن الأرمنازي، الرياض ٢٠٠٤ م.

ليلي عبد الجواد (دكتور) :

- علاقة الدولة البيزنطية بسلطة المماليك البحرية ٦٥٩ - ٧٨٤ هـ / ١٢٦١-١٣٨٢ م مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة العدد ٤٦ ،٤٧، ١٩٨٦م.
- الحياة في هرمز في العصور الوسطي ، بحث منشور ضمن أعمال ندوة إقليم الخليج علي مر عصور التاريخ منشورات إتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ١٩٩٦.

محمد عبد الله عنان (دكتور) :

- تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ، القاهرة ١٩٤٧ م.

مصطفى حسن الكنانى (دكتور) :

- العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامى ١١٧١-١٢٩١م/٥٦٧ - ٦٩٠هـ، القاهرة ١٩٨١م .

محمد محمود النشار (دكتور) :

- علاقة مملكة قشتاله وأراجون بسلطنة المماليك (٦٥٨-٧٤١ هـ / ١٢٦١-١٣٤١. القاهرة ١٩٩٧ م.
- نشأة جماعات الرهبان الفرسان الأيبرية النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري ، بحث منشور ضمن كتاب بحوث ودارسات في تاريخ الأندلس ، القاهرة ٢٠٠٣ م.

محمود سعيد عمران (دكتور) :

- الحملة الصليبية الخامسة ، الإسكندرية ١٩٨٥م .
- "وليم آدم واستعادة الأراضى المقدسة" بحث منشور ضمن أعمال الإطار التـاريخى للحركة الصليبية، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ١٩٩٦م.

ممدوح حسين وشاكر مصطفى (دكتور) :

- الحروب الصليبية فى شمال أفريقيا وأثرها الحضـاري ٦٦٨ هـ - ٧٩٢ هـ/ ١٢٧٠-١٣٩٠ م ، بيروت ١٩٩٨ م.

محمد عبد الغني الأشقر (دكتور) :

- تجارة التوابل فى مصر فى العصر المملوكي ، القاهرة ١٩٩٩م .

موريس كين :

- حضارة أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، القاهرة ٢٠٠ م .

ممدوح مغازى هلول (دكتور) :

- الحياة السياسية وبعض مظاهر الحضارة فى إمارة المورة الصليبية فى عهد أسـرة فيلهاردوان ١٢٠٥ – ١٣١١م ، رسالة دكتوراه غير منشـورة ، كليـة الآداب ، جامعة طنطا ٢٠٠٠م .

محمد عثمان عبد الجليل (دكتور) :

- أضواء على مملكة الآلان القوقازية فى العصر الوسطى ، مجلة كلية الآداب جامعة حلوان ، العدد ١١ ، ١٢ ، ٢٠٠٠م.

محمد عبد المنعم الجمل (دكتور) :

- الدول الإسلامية المستقلة فى المشرق، الإسكندرية ٢٠٠٢م.

ميشيل بالار :

- الحملات الصليبية والشرق اللاتينى من القرن الحادى عشر إلـى الرابـع عشـر الميلادى ، ترجمة بشير السباعى ، القاهرة ٢٠٠٣م.

نظير حسان سعداوى (دكتور) :

- تاريخ إنجلترا وحضارتها فى العصور القديمة والوسطى ، القاهرة ١٩٦٨م .

نعيم زكى (دكتور) :

– طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، القاهرة ١٩٧٣م .

نبيلة مقامى (دكتور) :

– فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلادى ،القاهرة ١٩٩٤م .

ناجلا محمد عبد النبى (دكتور) :

– مصر والبندقية العلاقات السياسية والاقتصادية فى عصر المماليك ١٣٨٢–١٥١٧م/ ٧٨٤–٩٢٣هـ ، القاهرة ٢٠٠١م.

نرمين عبد الوهاب:

– تاريخ الطب والتطبيب فى الأندلس ٤٧٩–٨٩٧هـ / ١٠٨٦ –١٤٩٢م . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة طنطا ٢٠٠٥

هايد :

– تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ترجمة أحمد رضا جـ ٢ ، القاهرة ١٩٩٠م .

هسى :

– العالم البيزنطى ، ترجمة وتعليق رأفت عبد الحميد ، القاهرة ١٩٩٧م.

هناء بركات :

– التاريخ السياسي لإمبراطورية طرابيزون البيزنطية منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادي حتى سقوطها ١٤٦١م ، رساله ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ١٩٩٨م

وفاء بنت عبد الله المزروع (دكتور) :

– إنشقاق البابوية فى العصور الوسطى وأثرة على الأوضاع السياسية ، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة ، العدد ٣١ ، ٢٠٠٢م .

يوشع براور :

–عالم الصليبين ، ترجمة قاسم عبده قاسم محمد وخلفة حسن ، القاهرة ١٩٨١م .

سادساً: مواقع الإنترنت

- WWWW. Wikipedia. Org .

- http/ history modern. about .Com.

- WWWW. Indian catholic. Com.

- WWW. Catholic. Forum.

- WWW. new advent. Org.

- WWW. Columbia. Encyclopedia, COM.

- http/ en. Wikipedia. Org.

- WWW. Cypnet. Co. uk/Cyprus history.